دلالات
DELALAT

مجلة علمية دورية محكمة
مختصة في دراسات العلوم الإنسانية والتربوية

- تصدر عن -

جامعة طبرق - ليبيا
Tobruk University– libya

رئيس التحرير
د. فوزي عمر الحداد
Fawzi.hadad@tu.edu.ly

العدد الأول / مارس 2021 م

دلالات

مجلة دورية علمية محكمة متخصصة

تصدر عن جامعة طبرق- ليبيا

موقع الجامعة: www.tu.edu.ly

موقع المجلة: d.journal.tu.edu.ly

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية بنغازي: 52/ 2021

تستند المجلة إلى ميثاق أخلاقي يحكم عملية النشر في أعدادها، وإلى لائحة داخلية تنظم عملية التحكيم من خلال لجنة علمية استشارية متميزة من ليبيا وخارجها. المجلة غير مسؤولة عن الأفكار والآراء الواردة في البحوث المنشورة في أعدادها.

تُنشر المجلة الكترونيًا على المنصات الآتية :

هيئة التحرير

د. حسن علـــي حسن	المشرف العـام
د. فـوزي عمر الحـداد	رئيس التحرير
د. علاء جابر الضراط	مدير التحريـر
د. أحمد محمد الميداني	منسق التحرير

لجنة المراجعة والتدقيق اللغوي

د. علي ماضي العبودي	كلية التربية جامعة طبرق
د. فيصل عبدالله حيدر	كلية التربية المرج/ جامعة بنغازي
د. فتحي حسن خطاب	كلية الآداب جامعة سبها
د. فوزية حمد الواسع	كلية الآداب جامعة سرت

الاخراج الفني

أنور الشريف الأمين

اللجنة الاستشارية العلمية

1. أ د. عبدالرحيم محمد البدري	كلية الآداب - جامعة بنغازي
2. أ د. عبدالله سالم مليطان	كلية الآداب - جامعة طرابلس
3. أ د. فتحي رمضان الماقوري	الأكاديمية الليبية للدراسات العليا- طرابلس
4. أ د. فتحي عيسى فرج	كلية الآداب جامعة عمر المختار
5. أ د. مسعود حسين التائب	كلية الآداب - جامعة الزاوية
6. د. أحمد عيسى فرج الحاسي	كلية الآداب - جامعة عمر المختار
7. د. أحمد مزهار	المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين-فاس مكناس/المغرب
8. د. حافظ الصديق منصور	كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة طبرق
9. د. زهرة عبدالعزيز الثابت	كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان/ تونس
10. د. سالمة صالح العمامي	كلية الآداب - جامعة طبرق
11. د. سليمة عمر التائب	كلية الآداب- جامعة مصراتة
12. د. شوكت نبيل المصري	أكاديمية الفنون- القاهرة / مصر
13. د. عادل إبراهيم المحروق	كلية الآداب - جامعة غريان
14. د. عاصم زاهي العطروز	الجامعة الإسلامية- مينسوتا- أمريكا
15. د. عبدالسلام عبدالجليل الصداعي	كلية القانون/ جامعة سرت
16. د. فرحة مفتاح عبدالله	كلية الآداب - جامعة سرت
17. د. فريدة الأمين المصري	كلية اللغات - جامعة طرابلس
18. د. كريمة المبروك الرقيعي	كلية الآداب والعلوم درنة/جامعة عمر المختار
19. د. محمد مفتاح فضيل	كلية الآداب – جامعة عمر المختار
20. د. مهند سامي العلواني	كلية التربية/ جامعة الزاوية
21. د. هاشم منصور مفتاح	كلية الآداب جامعة عمر المختار/درنة
22. د. هدى عطية عبدالغفار	كلية الآداب - جامعة عين شمس/ مصر
23. د. يحيى عمر القويضي	كلية الآداب - جامعة مصراتة
24. د. وليد شعيب آدم	كلية الآداب - جامعة طبرق

مجلة دلالات للعلوم الإنسانية والتربوية

في سياق الحرص على مواكبة التطور في مجال النشر العلمي ورغبة في توفير نافذة رصينة للنشر الأكاديمي، تسعى نحو العالمية، نعلن إطلاق المجلة العلمية المُحكمة: دلالات (DELALAT) المخصصة لنشر الأبحاث الأكاديمية في مجال العلوم الإنسانية والتربوية، وفقًا للضوابط والمعايير المعتمدة عربياً ودولياً.

تهدف المجلة إلى:

- السعي نحو إدراج المجلة ضمن قواعد البيانات العالمية للمجلات ذات معامل التأثير/ Impact Factor، وذلك عبر ضوابط التحكيم والنشر الدقيقة التي تتبعها المجلة.
- توفير نافذة نشر رصينة للباحثين الأكاديميين، وإتاحة الفرصة أمامهم لنشر بحوثهم حسب جودة محتواها العلمي، مع مراعاة الالتزام بقواعد التفكير العلمي منهجاً ولغةً في عرض الأفكار وتقديمها أو تحليلها.
- تغطية التظاهرات الثقافية ذات العلاقة باختصاص المجلة ، مثل الندوات والمؤتمرات ومعارض الكتاب وعرض لأهم المؤلفات الصادرة حديثاً في كل فروع العلوم الانسانية.

رؤيتنا:

مجلّة علميَّة عربية ليبية المنطلق، تسعى للتميز لتكون خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم ودراساتهم في مجالات اهتمام المجلة.

رسالتنا:

نسعى لنقدم محتوى يجعل المجلة مرجعاً علمياً أصيلاً للباحثين وفق المعايير العالمية من حيث الأصالة، والمنهجية، والتميز العلمي.

أهدافنا:

- المشاركة في بناء مجتمع المعرفة من خلال نشر الأبحاث العلمية المحكمة من متخصصين ذوي مستوى رفيع.
- تقديم بحوث مميزة وإنتاج المعرفة التي تخدم المجتمع، ودعم الإبداع الفكري والتوظيف الأمثل للتقنية والشراكة المحلية والعالمية الفاعلة.
- استقطاب الباحثين المتميزين، في عضوية هيئة التحكيم الاستشارية سعياً لتجويد البحوث المقدمة للنشر في المجلة، ولإنشاء بيوت خبرة علمية ذات كفاءة عالية وتميز رفيع.
- تلبية حاجات الباحثين على المستويات المحلية والعربية في مجال بحوث العلوم الإنسانية والتربوية.
- إنشاء محتوى الكتروني فارق للنشر العلمي المتخصص لخدمة الباحثين والدارسين ومؤسسات المجتمع كافة.

شروط النشر في مجلة دلالات

- تنشر المجلة البحوث باللغتين: العربيةّ, والإنجليزية.
- يقبل للنشر في المجلة البحوث, والنصوص المحققة والمترجمة وعروض الكتب الحديثة الصادرة في مجال اختصاص المجلة.
- يشترط في البحث المقدّم للمجلة أن يكون أصيلاً وغير منشور أو مقدّم للنشر لدى جهة أخرى. ويوقع الباحث بذلك تعهداً خطياً مرفقاً بالبحث، حسب النموذج الموجود المرفق بهذه الشروط، ويمكن سحب النموذج من موقع المجلة الالكتروني.
- أن يكون البحث المقدم خاضعاً لأسس البحث العلمي, مدققاً لغوياً وخالياً من الأخطاء اللغوية والإملائية والطباعية، مستوفياً شروط البحث العلمي المتعارف عليها.
- أن يكون البحث المقدّم للمجلة مطبوعًا بوساطة برنامج (Word) وهوامش (2.5سم) وحجم الورقة (A4)ولا يتجاوز البحث (25) صفحة، بما في ذلك الملخصين العربي والإنجليزي وقائمة المراجع والمصادر، ولا يقل عن (15) صفحة، ونوع الخط لبحوث اللغة العربيّة هو(simplified arabic) بنط (14) في المتن وبنط (16) في العناوين, وبنط (12) في الهوامش, ويكون نوع الخط في بحوث اللغة الإنجليزيّة Times New Roman، بنط (14)، والهوامش بنط (12).
- يكتب عنوان البحث واسم الباحث ودرجته العلمية والمؤسسة التي ينتمي إليها وعنوان بريده الالكتروني وهاتفه الشخصي على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث، ثم تتبع بصفحات البحث.
- يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث في متن البحث أو في مراجعه صراحة، أو بأية طريقة تكشف هويته.
- يرفق البحث بملخصين (عربي وإنجليزي) لا تزيد كلمات كل منهما عن 150 كلمة، يليهما كلمات مفتاحية (key words) لا تزيد عن خمس كلمات غير موجودة في عنوان البحث تعبر عن مجالات البحث لتستخدم في التكشيف.
- تدرج الهوامش أسفل الصفحات، وتكون أرقامها متسلسلة حتى نهاية البحث. مع مراعاة ذكر المعلومات كاملة عند ذكر المرجع لأول مرة، وإذا ذكر مرة أخرى فيكتفى باسم الكتاب والصفحة، ويتم وضع قائمة بالمصادر والمراجع في نهاية البحث وترتيبها أبجدياً، ويراعى في كتابة أسماء المؤلفين ذكر الاسم أولا ثم الكنية، أو بالطريقة المكتوب بها على غلاف الكتاب.

- في حالة قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز للباحث نشر بحثه أو تقديمه بأية طريقة لأي جهة نشر أخرى دون إذن كتابي من رئيس التحرير.
- لا يمكن للمجلة قبول أي بحث بدون مراعاة ضوابط النشر السابقة.
- البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء مؤلفيها، ولا تعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو جهة الإصدار.
- ترسل الأبحاث كاملة مستوفية للشروط المعلنة على البريد الالكتروني للمجلة:

Delalat@tu.edu.ly

ت	المحتويات	الصفحة
1	النقد بين الأصالة والمعاصرة (ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور نموذجًا) د. صبحية عودة زعرب	14
2	الاستثناء في سورة هود (دراسة في السياق الدلالي أ. فريحة جاب الله بشير	36
3	حق الحاضنة في مسكن الحضانة (دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون) نورا فرج حمد بشير	63
4	الدعوة إلى الله من خلال حفظ المال كمقصد شرعي للإسلام أ. محمد عبد الله محمد الشيباني	79
5	المرأة من سلطة المقدس إلى سطوة الفقيه (قراءة في صورة المرأة في التصورين السني والشيعي) د. زهرة عبد العزيز الثابت	94
6	جماعة الإخوان المسلمين في ليبيا 1949 – 1968 (مسارات تأسيسها ومواقفها وردود فعل السلطات المحلية والإقليمية والدولية إزاءها) د. وليد شعيب آدم	113
7	مقاومة أحمد الشريف السنوسي للاحتلال الإيطالي و الإنجليزي 1902 – 1918م د. سمية سالم الشعالي	137
8	مكافحة جرائم تعارض المصالح في القانون الليبي و اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد دراسة مقارنة د. محمد محمود الشركسي	153
9	التفكير الإيجابي وعلاقته بدافعية الإنجاز لدى عينة من طلبة جامعة طبرق د. فاطمة حسين عبدالخالق المبروك أ. هنية بالقاسم عيسي الظافري أ. رحاب سعد منيسي صالح	203
10	فاعلية استخدام التعليم الالكتروني في تنمية الأداء المهاري لطلاب كلية التربية بجامعة طبرق في ظل انتشار فيروس كورونا COVID-19 نجلاء الناجي عبد العاطي محمد.	226
11	تقدير الذات وعلاقته بالاندماج التربوي لدى عينة من ذوي الإعاقة البصرية داخل مدارس التعليم الأساسي العام بمدينة إجدابيا عمر عبد الحميد مفتاح المغربي أمال محمد عبد القادر الحبتي	244

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

على بركة الله نطلق العدد الأول من مجلة دلالات، منبر علمي محكم لنشر الأبحاث العلمية الرصينة والدراسات الأصيلة، المنضوية تحت العلوم التربوية وما يتداخل معها من العلوم الإنسانية كافة.

وإذ يسرنا أن نعلن ذلك، فإننا نؤكد أن هذا العمل قد أَمْلَتْهُ الرغبة الصادقة المخلصة في توفير منبر علمي جاد ذي مصداقية أكاديمية يغطي الحاجة المتزايدة من الباحثين للنشر العلمي الرصين.

ويأتي هذا الإصدار إيماناً منا بالمساهمة الجادة والمسؤولة في تجويد البحث العلمي وتعزيز مساره في بلادنا، وتهيئة الفرصة للتبادل العلمي والتفاعل الثقافي مع الباحثين والمؤسسات الأكاديمية التي تشاركنا هدف الارتقاء بمستوى البحث العلمي على الصعيد العربي والدولي.

وسنعمل جاهدين على ضمان المستوى الفني والعلمي اللائق مع الاستمرارية في إصدارها حسب المواعيد المرسومة بحول الله وقوته.

هيئة التحرير

النقد بين الأصالة والمعاصرة
(ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور نموذجًا)

إعداد:
د. صبحية عودة زعرب
أستاذ مشارك – كلية الآداب والتربية - جامعة صبراتة

الاستلام 19/ 11/ 2020 القبول 5/ 1/ 2021

المستخلص:
تكمن أهمية هذه الدراسة في تقديم رؤية نقدية خاصة تجاه النظريات النقدية الحديثة، والمناهج الغربية وكيفية تطبيقها على نص عربي، آخذين في الاعتبار النظر في إشكالية ترهين الخطاب النقدي الحديث والمعاصر، وعدم الانبهار بثقافة الآخر على حساب الحضارة العربية الأصيلة. أما هدف هذه الدراسة، فيكمن في رصد معالم الرؤية النقدية التي انطلقت منها الروائية رضوى عاشور لرصد معالم الحداثة، وكيفية تطبيقها برؤية حداثية وأدوات فنية جديدة لعناصر تراثية، يتصدرها المكان، بوصف الرواية، رواية المكان والفردوس المفقود، وما أثارته من قضايا وموضوعات إشكالية معاصرة، ما تزال تؤرق الإنسان العربي المعاصر، استنادا على العلاقة بين النقد العربي القديم والحديث المعاصر، وتأثرهما بالنظريات النقدية الغربية، وذلك من خلال رصد حركة الشخصية في المكان، وتحليل النص والتكيف مع طبيعته وأسئلته ومفاهيمه، عن طريق منهج لساني مركب ينتمي إلى مقاربة (سوسيو ثقافية)، يرد الظاهرة التاريخية والاجتماعية إلى جذورها ولا يعزل الشخصية عن واقعها، للبحث عن مفهوم الكاتبة للحداثة والقدامة. حيث دعت الكاتبة إلى إعادة قراءة التراث برؤى عصرية واعية.
الكلمات المفتاحية: القدامة، الحداثة، الهوية، المثاقفة، المعاصرة.

Absract
(Modern and contemporary Arab criticism between originality and contemporary) Trio Granada by Radwa Ashour as a model
The importance of this study lies in presenting a special critical view towards modern critical theories, Western approaches and how to apply them to an Arabic

text, taking into account the problem of underestimating modern and contemporary critical discourse, and not being impressed with the culture of the other at the expense of the original Arab civilization. As for the aim of this study, it is to monitor the features of the critical vision from which the novelist Radwa Ashour was launched, to monitor the features of modernity and how to apply them with a modernist vision and new artistic tools for old heritage elements, topped by the place, describing the novel, the narration of the lost place and paradise, and the contemporary problematic issues and topics it raised It still haunts the contemporary Arab man. Based on the relationship between the traditional theories of Arab criticism and the theories of contemporary Arab criticism, and its influence with Western critical theories, through the movement of personality in place, analyzing the text and adapting to its nature, questions, and concepts. And that is through a complex linguistic approach that belongs to a (sociotechnical) approach that returns the historical and social phenomenon to its roots and does not isolate the personality from its reality. It monitors the writer's concept of modernity and antiquity.

Key words: antiquity, modernity, identity, intellectualism, contemporary, originality.

مقدمة:

أهمية الدراسة:

تحاول هذه الدراسة أن تجسد موقفا علميا تجاه النظريات النقدية والمناهج الغربية وكيفية تعاملها مع نص عربي، أو استخدام مناهج تقليدية لتحليل نص حديث ومعاصر والتي كثر اللغط حولها دون حسم لهذه القضية، فضلا عن إشكالية ترهين الخطاب النقدي العربي المعاصر، آخذين في الاعتبار الرفض المطلق والانبهار بثقافة الآخر على حساب ثقافتنا وحضارتنا العربية الأصيلة، كما تحاول هذه الدراسة الاقتراب من الرؤية النقدية التي انطلقت منها الناقدة والكاتبة رضوى عاشور لرصد معالم الحداثة في الرواية التاريخية مقارنة بالبنيات السردية التقليدية. خاصة وقد لمسنا تحديثا لمفهوم التاريخ في أغلب كتاباتها، ليس هذا فحسب بل على مستوى التقنيات الفنية، والبنيات الأسلوبية التي اتبعتها في نص حداثي يصور إرثا تاريخيا، وحضاريا، وجغرافيا قديما. ولما كانت ثلاثية غرناطة تحمل اسم الفردوس المفقود - الأندلس- فقد اتخذنا من شعرية المكان منطلقا لدراستنا لإعادة التواصل مع الثقافة والحضارة العربية الأصيلة المفقودة. فهل استطاعت الكاتبة رضوى عاشور نقد التراث بأدوات نقدية حديثة؟ وكيف عبرت عن رؤيتها؟ وهل ثمة نقد نسوي له أصوله واتجاهاته؟ وما هو مفهوم الحداثة عند رضوى عاشور؟

وقفت هذه الدراسة عند ثلاثية غرناطة بأجزائها الثلاثة (غرناطة 1994)، (ومريمة، والرحيل، عام(1995)، وهي ترصد حدث سقوط غرناطة عام (1492) تقريبا، وتنازل أبي عبدالله محمد الصغير آخر ملوكها عن ملكه للقشتاليين، ليفرض على أهلها فقدان البيت، والأهل، والوطن، وعذابات الهجرة، والرحيل، والاغتراب. من هنا، تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تسلط الضوء على تاريخ مهمل ومهمش، وماض يبعد عنا خمسمائة عام تقريبا، وترصد حياة جماعة من البشر بالأمس البعيد بناء على المشاهدة والمعاينة وقعوا ضحايا لعنف ثقافي وديني وتاريخي، بعيدا عن المواثيق الرسمية، من هنا تصبح دراسة المكان ضرورة ملحة لمعالجة القضايا المعاصرة.

هدف الدراسة:

ويتمثل في إجابة حزمة من الأسئلة وهي:

- ما التقنيات الفنية والدلالية والجمالية التي ارتكزت عليها الكاتبة؟ وهل استطاعت تأسيس اتجاه نقدي أسوة بالمناهج النقدية الحديثة؟
- كيف عالجت الكاتبة الحاضر من خلال الماضي؟ وما العلاقة بين الأصالة والمعاصرة؟

لا تدّعي هذه الدراسة الإجابة على هذه التساؤلات إجابة شافية، إنما تضع المدوّنة السردية بين يدي القارئ، ليكون الإبداع هو الحكم الفيصل في الاعتراف

بهـذا النـوع مـن النمـط الروائـي مـن عدمـه.

إشكالية الدراسة:

لمـا كانـت لغـة الروايـة تنحـو إلى التكثيـف والترميـز والتأويـل، ورصـد الحيـاة الداخليـة للشـخصيات، فقـد احتـوت صـورة للشـخصية الواحـدة عـلى عـدة صـور، وهـو مـا أدى إلى تطويـل مـادة الدراسـة. فضـلا عـن حشـد عـدد وافـر مـن الشـخصيات التـي أرهقـت القـارئ في ملاحقتهـا. إلى جانـب ذلـك إشـكالية فـوضى المصطلحـات التـي تعـج بهـا الروايـة في غيـاب تأصيـل المصطلـح النقـدي تأصيـلا دقيقـا.

منهجية البحث وخطته :

تطمـح هـذه الدراسـة إلى تتبـع التقنيـات التـي ارتكـزت عليهـا الكاتبـة في رؤيتهـا للحداثـة والقدامـة، وذلـك مـن خـلال منهـج لسـاني مركـب ينتمـي إلى مقاربـة (سوسـيوثقافية) لا يعـزل الشـخصية عـن واقعهـا، ويـرد الظاهـرة التاريخيـة إلى جذورهـا التاريخيـة والاجتماعيـة، ويرصـد وعـي الجماعـة التـي تنتمـي إليهـا، خاصـة وأن الروايـة تعـج بالشـخصيات المقهـورة التـي تنسـجم مـع وضـع المـرأة المـتردي؛ لـذا رأت أن تقلـب موازيـن المعادلـة فتجعـل مـن مريمـة بطـلا للروايـة بـدلا مـن الرجـل المقـاوم، مدعمـة هـذه الرؤيـة بآليـات النظريـة الجولدمانيـة، ورؤيتهـا الشـاملة للنـص ومقـولات بيـير زيمـا التـي جسـدها في الحواريـة والبنيـات الخفيـة المضمـرة، والتوليديـة المقـدرة، وهـي في أغلبهـا تنـزع إلى السـيميائية بحيـث تصبـح الكلمـة بنيـة إشـارية دالـة... وتبعـا لذلـك قسـمت خطـة البحـث إلى مقدمـة، ومدخـل تنظـيري، ومحوريـن يحتـوي كل محـور عـلى عنـاصر عـدة، وخاتمـة، ثـم مصـادر البحـث ومراجعـه عـلى النحـو التـالي:

- مدخل تنظيري: تحولات الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر.
- المحور الأول:
  أولا - منهجية رضوى عاشور وأثرها في تطور الحركة النقدية.
  ثانيا - عتبات الموضوع وعلاقتها بالخطاب النقدي المعاصر.
  (الغلاف – العنوان)
- المحور الثاني: الأمكنة التراثية في المنظور النقدي المعاصر.
- أولا - مستويات الأمكنة في الخطاب الروائي.
- ثانيا - صورة المرأة في الماضي مقاربة الحاضر في سياقه.
- الخاتمة، فمصادر البحث ومراجعه.

مهاد تنظيري: تحولات الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر وتطوراته:

لا ريـب أن ثمـة علاقـة وطيـدة تربـط النقـد بالإبـداع، فـلا وجـود لإبـداع بـدون نقـد، ولا نقـد بـدون إبـداع، والمتتبـع للمشـهد الثقـافي العربـي يلمـس دون عنـاء التحـولات والتغـيرات التـي أصابـت الحركـة الإبداعيـة، ومـا أفرزتـه مـن رؤى، ومفاهيـم

ومصطلحات ألقت بظلالها على حركة النقد، وما ينهض به النقاد من فعاليات وجهود للارتقاء بهذه المؤسسة الثقافية. فكيف تعامل النقد مع هذه التحولات، وهل استطاع مواكبة المستجدات في زمن العولمة، وسيطرة الرأي العالمي الأحادي؟

إن هذه الأسئلة الفلسفية تحتاج من يجيب عليها من ذوي الخبرة والاختصاص، لا سيما ونحن نلمس إخفاق النقاد في تأسيس رؤية نقدية عربية يمكن الاستناد عليها. بدءا بالعصر الجاهلي حتى يومنا هذا. مما يعني التلويح بأزمة الحركة النقدية.

إن أزمة النقد تمثل أزمة العلاقة بين ثقافتين مختلفتين، وتثير في الوقت نفسه سؤال الهوية، ومفهوم الحداثة، والمعاصرة، والأصالة، والتراث، ونظرة الشك والريبة والخوف من كل وافد جديد بعدما أجمع أغلب النقاد على أن الحداثة تقوم على أنقاض الأصالة. وهو ما سنتعرض له من خلال تتبع المحطات الزمنية التي مر بها النقد. فمن المعروف أن اليونانيين كانوا هم الأسبق من العرب في تقبلهم فكرة النقد، وذلك بسبب اهتمامهم بالفلسفة من ناحية، والوعي الأبستمولوجي من ناحية أخرى، حيث كان للنظريات اليونانية والفلسفات الأفلاطونية والأرسطية صدى واسع عند كبار نقاد أوروبا، قدامى ومحدثين حتى اليوم. في الوقت الذي انشغل فيه العرب بالمنجز الشعري والسردي. وعلى الرغم من ذلك فقد شهد النقد في العصر الجاهلي حركة نشطة، لكنه كان نقدا فطريا يتناسب مع العصر الذي وجد فيه، فاتخذ النقاد من الصورة الفنية معيارا نقديا ينزع إلى التعميم غير المعلل. وسرعان ما تطور هذا النقد على يد عدد غير قليل من النقاد، لا سيما في القرنين الثالث والرابع، أمثال: الآمدي، وقدامة بن جعفر، والجرجاني، وغيرهم، لكن محاولاتهم كانت فردية ولم تستند على أسس علمية، ولم تتجاوز المقاييس اللغوية والبلاغية. ولم يكتب لها النمو والازدهار[1].

وعلى الرغم من أن النقاد القدامى اعتمدوا المعايير الذوقية الخالصة لكنهم تركوا للخلف إرثا نقديا لا يستهان به. وفي أواخر القرن التاسع عشر وبحلول عصر النهضة نهض النقد على يد ثلة من النقاد والأدباء الذين أتقنوا اللغات الأجنبية وانبهروا بثقافة الغرب، وبخاصة المنجز الثقافي الفرنسي، وقاموا بثورة فكرية جديدة على بنية القصيدة التقليدية، لتأسيس حركة نقدية معاصرة تجمع ما بين المقاييس النقدية العربية والغربية، وعلى رأسهم روحي الخالدي، وأحمد فارس الشدياق، لكن جهودهم كانت فردية لم ترق إلى مستوى مدرسة، إلا أنها تبشر بإرهاصات حركة نقدية جديدة. وفي مطلع القرن العشرين، ظهر نخبة من رجال العلم واللغة والأدب والنقد، أمثال: طه حسين، والعقاد، ومحمد

(1) انظر، عتيق، عبدالعزيز، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ط4، دار النهضة العربية،بيروت،1986،ص7.وانظر، العشماوي، محمد، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1986، ص10.

منـدور، ومحمـد غنيمـي هـلال، واعتمـد أغلبهـم عـلى مـا كتبـه نقـاد الغـرب مـن قواعـد النقـد الأدبـي الحديـث، واتجاهاتـه، ووضعـوا مقاييـس جديـدة للحكـم عـلى النـص مسـتندين عـلى الـرؤى المعرفيـة والفلسـفية والنظريـات العلميـة الأوروبيـة، واسـتطاعوا أن يدشـنوا مرحلـة نقديـة جديـدة، وبـدأ يسـود المشـهد الثقـافي العربـي اتجاهـات ومناهـج نقديـة غربيـة تفاوتـت في حضورهـا وانتشـارها، منهـا مـا هـو تقليـدي مقنـن، ومـا هـو متطـور. فظهـر النقـد الاجتماعـي، والنفـسي، والتاريخـي، والبنيـوي، واللغـوي، والجمـالي. لكـن هـذه المناهـج ظلـت تـراوح مكانهـا، وفي منتصـف القـرن العشريـن ظهـر نخبـة مـن الأسـاتذة الجامعيـين الذيـن ترجمـوا كتـب النقـد، والآداب الغربيـة، وانفتحـوا عـلى النظريـات والدراسـات النقديـة الغربيـة أمثـال: سـعيد عقـل، ميخائيـل نعيمـة، إحسـان عبـاس، وغيرهـم. لكـن تأثـير هـذه الحركـة تفـاوت في تطبيقهـا مـن بيئـة إلى أخـرى، حتـى أصبـح الـصراع بـين القديـم والحديـث عـلى أشـده إلى أن حسـم لصالـح الحداثـة. وفي هـذا المقـام لا بـد وأن نذكـر جهـود رواد الديـوان: (العقـاد، والمازنـي، وشـكري) وتأثرهـم بجماعـة الكنـز الذهبـي الإنجليزيـة، وبخاصـة الناقـد الإنجليـزي (هاملـت)، وأهـم مـا أحدثتـه في الشـعر مـن الفـرق بـين الخيـال والوهـم. وهـو لـم يتيـسر للجماعـات الأخـرى[2]. وهنـا يفـرض النقـد أسـئلته:

هـل يمكـن تطبيـق منهـج غربـي عـلى نـص عربـي ؟ هـل الحداثـة ثمـرة التحـولات النقديـة، أم أن التحـولات ثمـرة الحداثـة؟ لقـد انقسـم النقـاد إلى قسـمين: الأول يدعـو إلى الـتراث، والآخـر يدعـو إلى الحداثـة والنقـد الغربـي لتحليـل النـص.

والحقيقـة، أن ترهـين الخطـاب النقـدي. ليـس بالأمـر السـهل، فهـو يخضـع لعنـاصر مركبـة ومتداخلـة ترتبـط بالهويـة، والمحليـة، والقوميـة، والعاميـة، وثقافـة الآخريـن، وهـذا بالطبـع يحتـاج إلى عمـل جماعـي منظـم، ولا يخـال عـلى القـارئ العربـي الصحوة الأدبيـة التـي شـهدها الوطـن العربـي في بدايـة القـرن العشريـن، عـلى يـد شـعراء البعث والإحيـاء، لبعـث الشـعر العربـي القديـم مـن جديـد. "ومـضى النقـاد والأدبـاء يجـددون ويضيفـون ويخلقـون أدبـا لـم تألفـه العربيـة، وكان لجماعـة الديـوان، وأبولـو، ودعـاة التجديـد أثـر كبـير في تقـدم الأدب وازدهـار الفكـر والثقافـة العربيـة، إلا أن الذيـن فهموا الحداثـة فهمـا هدميـا، أنكـروا هـذا التجديـد وعـدوه امتـدادا لعهـود الانحطـاط"[3].

وهكـذا، ظـل النقـد بـين الجـذب والشـد، وفـوضى الاتجاهـات والمصطلحـات النقديـة حتـى السـتينيات والسـبعينيات، إلى أن ظهـر الخطـاب النقـدي المغاربـي الـذي كان لـه السـبق، والتفاعـل مـع الحركـة النقديـة الحداثيـة الجديـدة، والمناهـج النقديـة الغربيـة، وبخاصـة النقـد الفرنـسي. ولعـل أخطـر دعـوة لمثـل هـذه الحداثـة، "الانقضـاض عـلى الـتراث العربـي وتصفيته،...وقـد أدى هـذا الفهـم إلى التنكـر للشـعر العربـي، ووصفـه بأنـه لا يمتلـك فاعليـة الإبـداع، وأن الحافظـين تراثهـم يختزلـون مـاضي الأسـئلة

(2) انظر، الصايغ، عبد الإله، النقد الأدبي الحديث وتنظير الخطاب، عبادي للدراسات والنشر، صنعاء ،2000، ص 42 – 50.

(3) مطلوب ،أحمد، في المصطلح النقدي، مكتبة لبنان، بيروت، 2010، ص: 202.

وحاضرها في جواب أحادي له هيئة القش، وسلطة الخواء، وأن الانشغال بالتراث ظاهرة مرضية"[4]. ومع انتشار حقول المعرفة الأبستمولوجية والفلسفية، وتطور اللسانيات الغربية الذي أرسى قواعدها سوسير، بدأت التحولات الحقيقية، وأحدثت ثورة عارمة في عالمي النقد والأدب، نتج عنها تيارات ومناهج نقدية حديثة لقيت ترحيبا واسعا من قبل النقاد والأدباء وعلماء اللغة والفلسفة في أوروبا، تمثلت في النظريات الأسلوبية، والسيميائية، والبنيوية، والتفكيكية، كاشفة عن حقول وتيارات ومسارب نقدية أخرى مثل: النقد النسوي، وجماليات التلقي، والتداولية، وعلم الأستاطيقا، والسيميولوجيا، الذي بدأه سوسير وطوره كريماص، وعرف بعلم الدلالة أو العلامة لبنفست والذي يهتم بالدلالات اللغوية وغير اللغوية والتأويل والتعددية. ولعل أهم ما يميز هذه المناهج النقدية، أنها ترتكز على العلوم الإنسانية وغير الإنسانية فعلى الناقد أن يكون ملما بعلم النفس، والاجتماع، والإحصاء، والكيمياء، واللغة، والفلسفة. وهو ما جعل الناقد العربي يعتمد على الترجمة في أغلب الأحيان، ويجد صعوبة في فهم كثير من المصطلحات الغربية وتطبيقها على النص الأدبي العربي. وهنا نسأل: أين نحن من النظريات النقدية الغربية؟ وأين النظريات النقدية العربية؟ وهل ما ينطبق على الإنسان الغربي ينطبق على الإنسان العربي؟ فأنا لاجئة فلسطينية وصاحبة قضية فقدت الهوية والوطن كيف لي أن أطبق منهجا يعلن موت المؤلف مثلا ؟ أو منهجا يهتم بالمركزي على حساب الهامشي؟

المتتبع للخطاب النقدي الحديث والمعاصر يلحظ بوضوح تراجعه وتسييسه، بالرغم من تطور الخطاب النقدي الحداثي المغاربي وتفاعله مع المنهجية الحداثية الغربية. لكن تلك الجهود كانت فردية ولم تسفر عن رؤية نقدية واضحة الملامح، حيث تضج بمصطلحات غريبة ومعقدة يصعب فهمها واستيعابها وبخاصة النقاد الجدد، الذين نشأوا في بيئة عربية ولم يتسنى لهم إتقان اللغات الغربية. من هنا كان لا بد من التنقيب عن نظرية نقدية عربية، بعيدا عن الرؤية الذاتية المتعصبة المقيتة؛ لأن "التعصب لمنهج، أو محاولة فرضه، لا يحقق غايته في زمن تعددت فيه الاتجاهات، وأن التنكر للتراث، يلغي تطور الفكر العربي، ويقطع الصلة بين ماضي الأمة العربية وحاضرها، ويخلق اتجاها يتنكر للحاضر، ويلغي كل جهد بناء بذله المعاصرون"[5].

في ضوء ما سبق، يمكننا القول، إن أزمة الخطاب النقدي المعاصر، وسعيه لمحاكاة المنهجية الحداثية، وتعاطيه مع المنجزات الغربية ضمن محاولات فردية، يعكس افتقار الأمة العربية للثقافة النقدية، ويترجم الحال المتردي الذي وصلت

(4) المرجع نفسه، ص 210 ، للمزيد انظر، الحربي، فرحان ، الأسلوبية في النقد الأدبي، المؤسسة الجامعية، بيروت، 2003، ص: 12 - 14.

(5) مطلوب ، أحمد ، المرجع السابق ، ص 122.

إليه اليوم. وهو ما يدعونا إلى التنقيب عن رؤية رضوى عاشور النقدية، لمعرفة مدى التزامها بالمنهجية النقدية الغربية، مقارنة بالمنهجية العربية، متفحصين الاتجاه النقدي الذي تدعو إليه ورؤيتها الخاصة للحداثة في اعتقادنا، سيظل النقد الأدبي الحديث والمعاصر بين مد وجزر دون الوصول إلى منهج نقدي واضح الملامح.

المحور الأول:

أولا: منهجية رضوى عاشور النقدية، وأثرها في تطور الخطاب النقدي المعاصرة:

لا يمكننا الحديث عن أزمة النقد العربي المعاصر بمعزل عن النقد النسوي، فإذا كان النقد رهين الإبداع، فثمة كاتبات برعن في كتابة الشعر والقصة القصيرة والرواية، أما بالنسبة للنقد النسوي، فلا يمكننا أن نغفل مجهودات نخبة من الناقدات اللواتي أنرن النص الأدبي برؤيتهن النقدية الهادفة. نذكر منهن على سبيل المثال: سهير القلماوي، وسيزا قاسم، ونبيلة إبراهيم، ويمنى العيد، وفاطمة المرنيسي، وغيرهن كثر. وعلى الرغم من تلك الجهود المبذولة، فالنقد النسوي لم يستطع فرض نفسه على الساحة النقدية العربية، لا سيما أن النقد العربي الحديث في مفترق طرق. وتأتي كتابات رضوى عاشور النقدية إرهاصات لترهين مثل هذا النقد، حيث هيأت لها مكانتها العلمية والثقافية الاطلاع على الآداب الأفرو- أمريكية، والإنجليزية، والفرنسية، والروسية، ومحاججة كبار النقاد والأدباء في المستويين العربي والغربي. ترجمت أعمالها إلى الإنجليزية، والإسبانية، والإيطالية، والإندونيسية. وحظيت باهتمام كبار النقاد عربا وأجانب. لكنها انفردت بمنهجية نقدية خالفت فيها أغلب النقاد الذين هللوا للحداثة ومنظريها. ولكي تبرهن على صحة رؤيتها "قدمت قراءة جديدة لكتاب (الساق على الساق فيما هو الفارياق) لأحمد فارس الشدياق، بوصفه يقدم حداثة مناقضة للحداثة الكولونيالية القائمة على القطيعة التاريخية والثقافية مع تراثنا العربي"[6]. ولعل كتابها النقدي الموسوم بـ(الحداثة الممكنة). واختيارها لموضوعات بعينها يدل دلالة واضحة على المنهج الأيديولوجي الذي تنحاز إليه. تقول رضوى عاشور في هذا الصدد:" إن النموذج الغربي الذي يحاول محاكاته المفكرون العرب المحدثون، هو نموذج لحداثة مستحيلة ، لأنه يؤسس لقطيعة مفتعلة أو مزيفة بين الموروث الثقافي العربي والنموذج الحضاري الغربي"[7].

من هذا المنطلق تقدم رضوى عاشور نموذجا نقديا واعيا مفعما بالحس الوطني في خطاب روائي مضاد لكل الخطابات التي تطمس الهوية العربية الأصيلة. وقد عرفت النقد الأدبي بأنه "موقف ومسؤولية، وفعل مقاوم، وموقف فكري، بل وأخلاقي. من قضايا التبعية، وعلاقات الهيمنة، واحترام الذات

(6) عاشور، رضوى، الحداثة الممكنة ، دار الشروق، القاهرة، 2009، ص 12.

(7) مرسي، فاتن، المنديل المعقود، دار الشروق ، القاهرة ، 2016، ص 124.

الجماعية. والموروث الحضاري ليس بالتمجيد الأجوف، بل بتبني رؤى للجديد على موروث عفي ومتين، وهي مسؤولية طرح حداثة ممكنة بديلة لا تخشى التعامل مع نصوص تراثية مهملة، لمواصلتها بمعارف وأفكار للوقت الحاضر والمستقبل أيضا"[8].

وفق هذا المفهوم، تمتلك رضوى عاشور أدوات النقد والحداثة واللغة وتنفتح على الآخر ولكن من موقع الندية لا الدونية، وترى في الحداثة الغربية ومحاكاتها بالتبعية شكلا من أشكال الكولونيالية الاستعمارية الجديدة. وهو ما لمسناه في رواية ثلاثية غرناطة. حيث أعادت صياغة تاريخ العرب في الأندلس وسقوط غرناطة في الماضي، برؤية نقدية مستقبلية لمواجهة القهر والظلم في الحاضر. وأطلقت على تغيير غرناطة المسلمة إلى غرناطة المسيحية مصطلح العالم الجديد بعد استيلاء القشتاليين على بيوت المسلمين، وطردهم منها. والمتتبع لأعمال رضوى عاشور الإبداعية يلمس اختيارها للموضوعات ذات النزعة النسوية التي تنسجم مع الظلم، والاغتراب، والتهجير، فتربط بين ثورة المرأة على الظلم وبين ثورة المضطهدين على الأرض، ولعل اطلاعها على المناهج النقدية الغربية والاتجاهات الفكرية والفلسفية كان حافزا في اختيارها للكتابات النقدية التي تنسجم مع ميولها، فنقرأ منجزا نقديا عن أدب غرب أفريقيا بعنوان: التابع ينهض، تبهر به القارئ، وتفكك مركزية الثقافة الغربية الزائفة لتتحدث عن المسكوت عنه فتنقب عن المهمشين، والمنفيين، والمهملين، ليس في القارة السوداء فحسب بل في كل بقاع الأرض، وهذا بالطبع يحتاج إلى منهج نقدي عميق "الماركسية صورة عنه، وأصداء فيتنام وجيفارا آية له"[9]، وهكذا وجدت رضوى عاشور في "الأدب الأفروالأمريكي ومشروعه التحرري معادلا لمحاولات قهر التمييز والتحرر الوطني في عالمنا العربي"[10]. وتفصح بشكل واضح عن منهجها النقدي وانحيازها إلى المدارس الماركسية، والمادية التاريخية الجديدة، وتتخذ من الواقعية الاشتراكية رؤية فنية لتعيد إلى الطبقات الفقيرة هويتها ورؤيتها المفقودتين. من هنا كان الموقف النقدي لرضوى عاشور يعري ثقافة الرجل الأبيض العنصرية ضد الشعوب الفقيرة. تسعى رضوى عاشور إلى تقديم رؤية نقدية جديدة للعلاقة بين الأصالة والمعاصرة، وليس بالضرورة أن تخضع تلك الرؤية لمعايير الحداثة أو القدامة، وذلك من خلال تأصيل مصطلح (الحداثة الممكنة)، فتعرف الحداثة الأوروبية بقولها: "نظرية الحداثة تعني العلاقة بين الهيمنة الكولونيالية والقطيعة مع التراث الثقافي، وإنها النظرة الاستشراقية للذات التي تقتضي الاعتراف بانحطاط الأنا وتخلفها كشرط للحداثة، وقضية السعي للتحرر

(8) المرجع السابق، ص 122.

(9) دراج، فيصل، من جماليات الأسلوب إلى فعل القيادة، مجلة الهدف، ع1155، 1993،ص35.

(10) مرسي، فاتن ، المرجع السابق ، ص 22 .

والنهوض عبر الحداثة الأوروبية هي ركيزة من ركائز الهيمنة الكولونيالية "[11].

من هنا تعالت الأصوات التي تدعو إلى العودة للتراث، وضرورة نقد عربي له هويته وسماته الخاصة دون أن يعني ذلك الانغلاق على الذات بل الحوار بين الثقافات. ويبدو أن الخطاب النقدي النسوي لم يلق ترحيبا من قبل الباحثين والنقاد في غياب تحديد المصطلح وتشعب اتجاهاته. لذلك سيظل الخطاب النقدي العربي المعاصر والحديث في مفترق طرق في غياب مصطلح نقدي عربي، وهيمنة المصطلحات النقدية الغربية وتفرعاتها. وسيظل الصراع بين الأصالة والمعاصرة سيد الموقف.

وفق هذا المنظور، فمصطلح الحداثة زئبقي ومطاط، ولا يمكن تحديده تحديدا دقيقا، وهو بطبيعته يميل إلى التشويش والفوضى، وخلخلة الثوابت، والخروج على المألوف، والثورة على كل ما يعيق الجدة والابتكار. فليس من المعقول أن ننظر إلى التراث كتلة صماء ثابتة في عالم متغير ومتطور، فما يهمنا من التراث "يكمن في العناصر التراثية التي تحتفظ بالقدرة على إضاءة الحاضر والمستقبل، ومن ثم تنتفي أية قيمة للتراث الذي لا يمتلك طاقة الإضاءة والتحول، وهذا ما يفقده كل أهمية، ولهذا يجب التركيز على ما يكتنزه التراث من قوى حية تدفعنا باتجاه المستقبل، وعليه فإن على المثقف العربي أن يبني صلته بالتراث على النقد والتحليل والتجاوز، لا على الخضوع له من خلال تمجيده والعمل على إحيائه"[12]؛ لذا فالمعاصرة تعد امتدادا للتراث برؤى جديدة، فكيف استثمرت رضوى عاشور الرموز التراثية لصالح الحداثة؟ وهو ما سنتعرف عليه لاحقا.

ثانيا - عتبات الموضوع وعلاقتها بالخطاب النقدي المعاصر:

أهم أداة نقدية أفرزتها النظريات النقدية الحديثة، ولقيت حضورا واسعا لدى النقاد والأدباء، باعتبارها علامة سيميائية دالة تفتح مغالق النص أمام القارئ وتزوده بما يجهله، وقد أشار كل من سعيد يقطين وجيرار جينييت إلى أهمية هذا المصطلح في أغلب مدوناتهم النقدية، دون الوصول إلى معنى دقيق ومحدد له. عرف هذا المصطلح بمسميات عديدة منها: (النص الموازي، والنص المحيط، ومعمارية النص، والمناصة، والتعالق) وكل هذه المسميات "هي بذور يتنامى فيها النص، وهي التي ينبغي على القارئ أن يرتادها محاولا أن يبحث في التقنيات الفنية والدلالية"[13].

وحرصا على خصوصية الموضوع رأينا أن نركز على العتبات المحورية التي تفيد هدف الدراسة، وهي على النحو التالي:

أولا - عتبة الغلاف:

(11) المرجع السابق ، ص 106، للمزيد انظر، عاشور، رضوى، التابع ينهض، دار الشروق ،2016، ص 9 – 11 .

(12) مجموعة باحثين، النقد الحضاري في الوطن العربي، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، 2017، ص279.

(13) شقرون، شادية، الخطاب السردي في أدب إبراهيم الدرغوثي، سحر للنشر، تونس، د.ت، ص9.

هو بمثابة عقد بين الكاتب والناشر لاختيار الغلاف المناسب ومستلزماته، وهو "علامة دالة تقدم بعض عناصر التنبؤ، وتعتبر الصورة بذلك لغة موجهة نحو استكشاف فضاء المعنى[14].

يدفعنا المضمون السابق إلى طرح السؤال التالي: ما العلاقة بين عتبة الغلاف والتنبؤ؟

لا شك أن الغلاف يتكون من وحدتين دالتين: هما الصفحتان الأمامية والخلفية، وكل منهما تحمل بنيات فرعية تلعب الألوان دورا مهما في تشكيلها.

تتضمن الصفحة الأمامية العنوان، يعلو 15هـ اسم المؤلفة، ويتوسط الصفحة صورة لثمرة الرمان، حيث تحتل مكانة مركزية ملحوظة تلفت الانتباه، وتنبثق من حولها الأغصان والأوراق المتناثرة والمتباينة الألوان. في أسفل الصفحة نقرأ الناشر، دار الشروق.

أما الصفحة الخلفية فتتضمن تعليقا لعدد من النقاد حول الرواية، وسيرة موجزة لسيرة المؤلفة الإبداعية في مجالي السرد والنقد، واللغات التي ترجمت إليها الرواية. وهي في مجملها تمد القارئ بنبذة مسبقة عن المؤلفة ومدونة ثلاثية غرناطة وتقنياتها الفنية.

شعرية الغلاف

ما يهمنا في عتبة الغلاف دلالته، حيث يتألف من دلالتين:

الدلالة البصرية (الصورة)

والدلالة اللغوية (التركيب اللساني)

الحقيقة أن الصورة أصبحت أكثر التقنيات الحديثة في التعبير عن الواقع، لا بل "أكثر تأثيرا في النفس وأبلغ وقعا في ذهن المتلقي"[15]، وقد أشار رولان بارط إلى العلاقة بين الأدب والصورة في قوله: "يجب على الكاتب أن يحول الواقع أولا إلى منظور مصور، ثم يمكنه بعد ذلك انتزاع موضوعه من إطار هذه اللوحة لتقديمه إلى قارئه، وعلى ذلك فليست الواقعية تقليدا للواقع بل هي تقليد صورة مرسومة للواقع"[16]. وبالعودة إلى المنظور المرئي لثمرة الرمان على صفحة الغلاف، فسنجدها ترتبط بدلالات أسطورية، وعقائدية، وتاريخية، وهي في أغلبها تشي بالبطولة والجمال والخصب والعطاء والحياة. وقد انشغل القدماء والمحدثون بدلالتها على حد سواء، والرمان من الثمار المقدسة، وردت في الديانات السماوية الثلاث، كما استخدمت في تزيين السجاد لحدة جمالها، وحينما نمعن النظر في فضاء النص، سنجد أن ثمة علاقة تربطه بالصورة المرسومة، حيث يغص النص بصراع الخطابات وتداخلها من الأعراق، والثقافات، والديانات، والطبقات.

(14) الحنصالي، سعيد، بداية ونهاية، دار توبقال، المغرب، 1995، ص 16.

(15) بنكراد ، سعيد، السيميائيات ، دار حوار للنشر، اللاذقية ، 2005، ص 201.

(16) نجم، محمد ، فن القصة ، دار الثقافة، بيروت ، 1966، ص 86 .

وثمرة الرمان" يمكن شقها من المنتصف، فهي تحيل إلى غرناطة بوجه خاص، وإلى الأندلس بوصفها مكان وزمان التقاء ثقافتين، اختلفت ظلال أوراقها مع اختلاف الفصول ومدارات الشمس"[17]. وهناك من ربطها بالتفاحة التي ترتبط بالخطيئة الأولى للإنسان وخروجه من الجنة إلى عالم الشر والفتن والمؤامرات، مثلما لم يحافظ العرب على ملكهم في الأندلس وتغير حالهم إلى النقيض. ويبدو أن الكاتبة قد تأثرت برواية (في ظلال الرمان) للروائي الباكستاني طارق علي، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى شجرة الرمان التي شهدت لقاء العشاق والأحبة، ومأوى الأطفال والطيور عند غروب الشمس، ثم أصبحت شاهدا على رحيلهم بعد سقوط غرناطة[18]. وقد استدعت الكاتبة ظلال شجرة الرمان ومعانيها من خلال التناص القرآني وارتباطها بشجرة الزيتون، بما يتيح لها التآلف والتخالف مع المجتمع الغرناطي كما في قوله تعالى:"...والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون"[19]. فشجرتا الزيتون والرمان تتشابهان في الأوراق والأغصان والمظهر الخارجي، وتختلفان في الثمر بما ليس له نظير، ويبدو أن الكاتبة كانت تسعى لخلق عالم يتسم بالتسامح والسلام والجمال من خلال رمزية ثمرة الرمان؛ لذا حرصت على نقل دلالة شجرة الرمان القديمة إلى دلالة جديدة، واستمدت شرعيتها من القرآن الكريم، لتؤكد أن كل شيء تحول إلى نقيضه بعد سقوط غرناطة، وأن معاهدات السلام بين المسلمين والقس كانت خدعة. ولعل هذا ما جعل رأي عمر عتيق يكتسب كثيرا من المصداقية في قوله "إن صورة واحدة تستطيع أن تختزن قضية كبرى يحتاج التعبير عنها مقالا مطولا " [20]، ولعل دلالة اسم المؤلفة يسعفنا في توضيح الصورة أكثر. فرضوى اسم جبل يقع بالقرب من المدينة المنورة، ويضرب به المثل في الثبات والصمود والتحدي، وهو على خلاف واقع المرأة مما يدل على أن العنوان يثير أيضا المسكوت عن المهمشين الذين غيبوا بفعل الآخرين.

وهكذا سعت الكاتبة إلى أهم وسيلة تواصلية ذات طابع بصري إشاري لتبني عليه خطابا دلاليا "يستعيض بالصورة البصرية عن مبدأ التعبير بالصورة اللفظية"[21].

(17) مرسي، فاتن ، المنديل المعقود، مرجع سابق ، ص 142 .

(18) انظر، علي ،طارق، في ظلال الرمان ، ت: إبراهيم السعافين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 118

(19) سورة الأنعام / آية 99.

(20) مؤتمر فيلادلفيا الدولي ، النقد الحضاري في الوطن العربي، دار فضاءات، عمان، 2017، ص41.

(21) التلاوي، محمد، القصيدة التشكيلية ، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ،1998،ص105.

ثانيا - عتبة العنوان

يتمظهر العنوان (ثلاثية غرناطة) كلوحة فنية يختزن حزمة من الدوال الفنية والجمالية والمكانية، حيث يمثل العنوان بنية محورية مستقلة بذاتها، ويضم فضاء جغرافيا وزمانيا وبشريا، ويتأسس على نمط جملة اسمية تحمل خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هذه أو (هذه حكاية أهل غرناطة). وكأن العنوان يشي بحكاية تستفز القارئ وتثير فضوله لمعرفتها. من هنا يتحول العنوان إلى وحدة دلالية مستقلة تمدنا بكيفية بناء الخبر. وبخاصة حينما تتحول دلالات سقوط المكان في الماضي، إلى دلالات جديدة في الحاضر. وهو ما يدل على براعة الكاتبة في توظيف عتبة العنوان توظيفا محكما ويفسر القول: "إن العنوان، وإن كان يقدم نفسه بصفته عتبة للنص، فإنه بالمقابل لا يمكن الولوج إلى عالم النص، إلا بعد اختيار هذه العتبة، إنها تمفصل حاسم في التفاعل مع النص، فالعنوان عندما يستميل القارئ يكون ترياقا محفزا لقراءة النص، وحينما ينفر القارئ من تلقي النص يصير سما يفضي إلى موت النص وعدم قراءته"[22]؛ لذا حرصت الكاتبة على توظيف تقنية المفارقة لخلخلة عقلية القارئ لاستجلاء عتمة النص وكشف خباياه يقول (إمبرتو إيكو) في هذا الصدد: "إن العمل على تطوير الفكر، لا يعني رفض الماضي بالضرورة، إننا نعيد فحصه ليس فقط بهدف معرفة ما قيل فعلا، ولكن أيضا بهدف معرفة ما كان يمكن أن يقال، أو على الأقل ما يمكننا قوله الآن بناء على ما قيل سلفا"[23]. وأيا كانت عتبة العنوان، سيظل بنية مختزلة لا يبوح بالكثير دون ارتياد المتن.

المحور الثاني: الأمكنة التراثية في المنظور النقدي المعاصر:

أولا - مستويات الأمكنة في الخطاب الروائي:

لما كان المكان هو مصدر الصراعات وتصعيد وتيرة الأحداث منذ الخليقة، فبدونه يفقد الإنسان هويته ووجوده وقيمته. أما في الأدب فيمثل الهدف من العمل الأدبي برمته. ليس هناك أدنى شك من أن المكان والزمان توأمان لا يمكن الفصل بينهما، وهما عنصر متداخلان، ويتبادلان التأثير والتأثر في تشكيل عناصر الرواية. ويأتي فصلهما لضرورة تقتضيها هذه الدراسة. من هنا تصبح دراسة المكان ضرورة ملحة، خاصة وأن الرواية تحمل عنوان الفردوس المفقود، وبهذا المعنى يدخل المكان في علاقة جديدة مع الشخصية يحددها الوعي وحرية الحركة. بناء على هذا المعنى فإن هذه الدراسة ستنطلق من شعرية المكان، "ولشعرية المكان مفهومان: أولهما التقاطب الذي يقيم علاقة جدلية بين عناصر الفضاء الروائي،

(22) أبوعزة، محمد، من النص إلى العنوان ، مجلة علامات، ع 53، ص 408.

(23) الحنصالي، سعيد، بداية ونهاية، مرجع سابق ، ص 20

تحولها إلى ثنائيات تصبح بؤرة التوترات التي توجد بين الفرد والفضاء، ومن ثم ينقسم الفضاء وفق هذه الرؤية إلى فضاءات قائمة على التقابل. فالمدينة تقابل الريف، وأماكن الإقامة الاختيارية: منها البيوت، والإجبارية: السجن. تقابل أماكن الانتقال: الحي، والشارع، والمقهى، والحانة، والبحر، وهذا المفهوم لا ينطبق فقط على الرؤية الهندسية للمكان، بل على الاتصالات العاطفية، والقيم الاجتماعية والأخلاقية. أما المفهوم الثاني، فيتمثل في العلاقة بين الشخصية الروائية والفضاء الذي تقيم فيه، أو تنتقل إليه وطبيعة تعاملها معه، ونظرتها إليه. فشعرية المكان تسلم بتأثير الوجود الإنساني على تشكيل الفضاء الروائي، وتلح خصوصا على أهمية رؤية الإنسان للمكان الذي يأهله"[24].

وفق هذا المضمون يسأل النقد سؤاله: ما هي مستويات المكان في رواية ثلاثية غرناطة؟ وما الدلالات التي تحملها؟ وحرصا على خصوصية المكان، رأينا أن نركز على ما هو جوهري ومهم من مستويات الفضاء.

مستويات المكان في رواية ثلاثية غرناطة:

لعب المكان دورا محوريا في ذاكرة الشخصيات حتى بدا لنا أن تأثيره أقوى من الزمان. وقد تعددت الأمكنة وخضعت إلى ثنائيات: الضيق/ والواسع، المغلق/ والمفتوح، الإجباري/ والاختياري. تصدرت هذه الأماكن مدينة غرناطة بوصفها تشكل مركز الأحداث، وتراوحت فيها الأماكن ما بين اختيارية مثل: البيوت، والمدارس، والمساجد. وإجبارية مثل: السجن، والمحاكم، والخانات. فضلا عن أماكن عامة، مثل: الشوارع، والأسواق، والبحر، والحمامات.

تطل علينا مدينة غرناطة كمكان عدائي بعدما أطلقت عليها الكاتبة العالم الجديد، الذي بدت ملامحه تلاحق الشخصيات منذ اللحظة الأولى لخروجهم من بيوتهم ومدنهم وقراهم، "تطلع إلى عمائر غرناطة وبكى ثم ضحك، كان يقفز على تلة تشرف على المدينة، فيراها تمتد أمامه، يطيل النظر إليها فيملكها بالعينين قبل أن يأتي المساء فيدخلها خلسة في الظلام ليتوارى عن عين الغريب"[25].

يقوم المشهد السابق على ثنائية: البكاء/ والضحك، النهار/ والليل، يتوارى/ يقفز. وكأن الشخصية تمر بحالة هستيرية، مما يدل على فقد الأمن والطمأنينة في مدينتها ومسقط رأسها. فالمدينة محاصرة والدخول إليها يحتاج إلى الحذر والحيطة. لذلك جردت الكاتبة الراوي من اسمه وهويته لأنه أصبح بلا مأوى ولا وطن بعد رحيله ، وعودته إلى المكان لا بد وأن تكون سرية بعيدا عن أعين الغرباء؛ "لأن ضحكة المتواتر في وضعه البائس إشارة إلى خنوعه، الأمر الذي يلغي معنى الهزيمة، ويجعل مواجهتها أمرا مضحكا، وما ضحك المهزوم إلا احتفال بتلاشي

(24) بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1985، ص54.

(25) عاشور ،رضوى، ثلاثية غرناطة ، ط 23، دار الشروق، القاهرة ، 2016، ص 352.

المعنى والانفتاح على السديم"[26]. وتمدنا الألفاظ (خلسة – يتوارى – الظلام – المساء) بأن المكان أصبح عدائيا وكل شيء ينذر بالخطر، علما بأن الكاتبة لم ترسم لنا صورة العدو المتربص، واكتفت بوصفه بالغريب "لذلك يجب أن يكون وصف هذا المكان شيئا حاضرا، وشيئا غائبا، وأن يكون منظرا وذكرى، علما يتبعه حيرة وسؤال، وشعر تليه هزة عاطفية "[27]. ثم تصور الكاتبة التحول الذي طرأ على المكان من خلال علاقته بالإنسان وفقده للملامح الإنسانية والأخلاقية، ليصبح مصدرا للخوف والرعب. ولنقرأ ما يدل على ذلك: "لم تعد المدينة لنا. فلم يعد فيها سوى أقليات تشظت. غرناطة العرب صارت كالغانية، ترقص، وتتعهر إرضاء لأسيادها لأنها خائفة، لا تأمن الآخرين يا علي، احذر القشتاليين، ولكن احذر العرب أكثر، لماذا تريد العودة إلى غرناطة؟ لماذا لا تبقى معي؟"[28].

يستأهل المقطع السابق وقفة مطولة لما يحتوي عليه من بنيات أسلوبية اعتمدتها الكاتبة لتصوير المكان، يتصدرها بنية النفي الدال على الإلغاء والمصادرة (م تعد المدينة لنا)، ثم تتبعه بلكن الاستدراكية التي تشطر العالم والمكان والشخصية إلى شطرين. ويأتي الأسلوب الطلبي (احذر)، ليدل على مدى الفوضى والاضطراب الذي يتصف به المكان. فلم تعد الذات تفرق بين العدو والصديق، فحياتها في خارجه مهددة مثلما هي في داخله، لذا توظف الكاتبة أسلوب الاستفهام الاستنكاري "توظيفا فنيا للتعبير عن المعنى الذي يريد الإفضاء به إلى المتلقي لإثارة انتباهه أو تحفيزه بقبول الفكرة"[29].

وعلى الرغم من صورة المكان السوداوية فلا يمكن أن يكون ذلك مبررا للقرائن التشبيهية لمدينة غرناطة بالجسد المباح للمتعة الجسدية، لتصبح (ترقص وتتعهر إرضاء لأسيادها). وفي هذه الصورة يختفي الجوهر الحضاري لمدينة غرناطة على حساب المظهر الخارجي. وهي إدانة مبطنة لكل العملاء الذين يتعاونون مع العدو على حساب المجاهدين الشرفاء، كما حدث مع الشاب علي المسلم، وصديقه المسيحي بروبرتو البطل، لينتهي الحوار بينهما بالانفصال والفراق. ألا يدل ذلك على محاصرة المقاومة الفلسطينية اليوم؟

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل كل ما في المدينة يشي بخلل العلاقات الاجتماعية والأخلاقية، فحتى البيت الذي يحمي الإنسان ويحمل هويته وذكريات طفولته وأسراره أصبح لا يملكه، في ضوء هذا العالم الجديد "البيت مصادر، ويتوجب لاستعادته دفع مبلغ كبير من المال، والتوسط لدى صاحب النفوذ"[30]،

(26) دراج، فيصل ، ذاكرة المغلوبين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002، ص 73.

(27) حقي، يحيى، فجر القصة المصرية ، ط2، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ، 1981، ص241.

(28) عاشور، رضوى، ثلاثية غرناطة، ط 23، دار الشروق، القاهرة، 2018، ص: 335.

(29) عثمان ،عبدالفتاح، الأسلوب القصصي عند يحيى حقي ، مكتبة الشباب، القاهرة ، 1990، ص205.

(30) الرواية ، ص،486.

وحينما يقابل علي، صاحب النفوذ خوسيه، يطلب منه التنازل عن ملكية بيت عين الدمع، وبيت البيازين معا. وعلى أثر ذلك يتحول كل شيء إلى نقيضه: فقد أصبح البيت ملكا لخوسيه بدلا من علي، ثم يسجن (علي) ثلاث سنوات حتى يتماثل البيت مع السجن الحقيقي. وصورة من هذا القبيل تعادل حياة صاحبه لاسترداده. وهي صورة لا تختلف كثيرا عما وجدناه في رواية عائد إلى حيفا للروائي الفلسطيني غسان كنفاني. وأمام هذا الواقع لم يجد صاحب المكان أمامه من وسيلة سوى الاحتفاظ ببضعة مفاتيح. لقد رحل الجميع الآباء والأبناء والأحفاد وأبناء الأحفاد عن المكان، "ولكن صندوق مريمة باق هناك في البيازين مغلق على الكتب، مطمور في بساتينها، مستقر تحت التراب لا يطوله مرسوم"[31]. عند هذا الحد، يدرك علي بأن المكان لم يعد ملكا له، وأن كل ما يذكره بالتراث والحضارة الإسلامية والثقافة العربية الأصيلة لم يعد موجودا على أرض الواقع، و يجب أن يتوارى عن الأنظار أملا في العودة. وهي رؤية تذكرنا بروايات إميل حبيبي والكنز المدفون في فلسطين. وعلى هذا "ترتبط الصورة بكل ما يمكن استحضاره في الذهن من مرئيات، أي ما يمكن تمثله قائما في المكان"[32].

وتمعن الكاتبة في تصوير غربة المكان من خلال اضطراب العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة والخلافات الزوجية، ليصبح البيت جحيما لا يطاق. "يوما بعد يوم وهو يدق باب – زوجته – سليمة، فيعود منفيا عاريا خارج الأسوار"[33]. ثم أصبح البيت مصدرا للبين والتيه "صار بين مريمة وسليمة ولم يعد يعرف أحدا حتى مات"[34].كما ينذر بالوحشة والقطيعة بين الأصدقاء " كان سعد صامتا، فلم يجد نعيم، فلم يجد نعيم، بدأ من الصمت، المكان خانق يطبق على الأنفاس"[35].

وهكذا، لم نعثر على أية صورة إيجابية في مدينة غرناطة الجديدة. "فهذه الشخصيات التي يراها الناظر، فيخيل إليه متقاربة، يعيش كل فرد منها في عالم منفصل ولا يتصل بالآخرين إلا مصادفة، وفي كل مرة تتكسر إحدى القواقع فتنكشف إحدى هذه الشخصيات، فيفاجأ الناظر بحقيقة مخالفة لكل توقعاته تصدمه وتهدم الصورة التي بناها للآخر"[36] وهي صورة تحيلنا إلى أزمة الإنسان العربي المعاصر المهدد بالموت في أي مكان يتواجد فيه، وبخاصة في خضم التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي نشهدها اليوم.

(31) الرواية نفسها، ص93.

(32) إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص 141.

(33) الرواية ، ص 120.

(34) نفسه ، ص 306.

(35) الرواية ، ص 72.

(36) قاسم، سيزا، بناء الرواية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص 120.

في ضوء ما سبق، افردت الكاتبة مساحة واسعة من الفضاء السردي والذهني للمقهورين، والمقموعين، والمهجرين، فتداخلت الخطابات والصراعات ذات الصلة بالدين، والهوية، والوطن، والجنس دون أن يلغي أحدهما الآخر. ولما كان الواقع الجديد ينهض على طمس الهوية، واللغة والقيم الدينية الإسلامية والثقافة العربية، فمن الطبيعي أن يفرز هذا الواقع صورا متعددة ومتباينة من الرؤى والمواقف والعلاقات. وما يهمنا في هذا المقام أن نتعرف على صورة المرأة التي أفرزها الواقع الجديد باعتبارها أكثر فاعلية في صنع الأحداث وتصاعدها، وقد جاء حضورها مكثفا، وإلا لماذا جاء الجزء الثاني من الرواية باسم مريمة[37]، لتقود الحدث الرئيسي، وتسير جل الشخصيات الأخرى في فلكها؟ فما الصور التي حظيت باهتمام الكاتبة؟ وما الدلالات التي تحملها كل صورة؟ وإلى أي حد تعكس الصور واقع المرأة اليوم؟

ثانيا - صور المرأة في الماضي مقاربة الحاضر في سياقه:

المرأة الضحية:

هي الأكثر انتشارا وهيمنة وقد شغلت مساحة واسعة من عالم الكاتبة الفني والذهني، حيث انتقت الكاتبة نماذج نسوية من فئات فقيرة، تعج بالأجواء الاجتماعية، والمادية، والثقافية الخانقة وتدور حولهن الحكايات، والموضوعات المثيرة في علاقاتهن مع الرجال في مجتمع يحكمه الأعراف والتقاليد التي من المستحيل الخروج عليها. فهي وإن شغلت مساحة واسعة فلا تقدم إلا من خلال وجهة نظر الرجل، ولا نسمع لها صوتا في أغلب الأحيان. نلتقي بأول صور المرأة ضحية الفقر الخالة (فضة)، تعود جذورها لبلاد السود حين باع تجار العبيد جدها لأحد ملوك غرناطة، وتقع ضحية التشتت الأسري حين هاجر (إمبرتو إيكو) في هذا الصدد: الأم على فراق الولد؟ بكت فضة، فبكت مريمة لبكائها"[38]، وفي موضع آخر نعثر على المرأة ضحية الفارق الطبقي. "قبل خمس سنوات طلب ابن عم لنا صبية. بعد عامين من الزواج عادت المرأة إلى دار أبيها وطلبت الطلاق"[39]. كما تجلت صورة المرأة ضحية الشرف والعار. "اكتشف أبوها أنها تخرج لملاقاة شاب. لا أحد يعرف إن كانوا قتلوها أم تركوها في مكان ما تتم حملها وتضع مولودها"[40]، كما تقع ضحية نظرة المجتمع، فهي سيئة السمعة ولا تهاون في مسألة الشرف. "كنت أقول لسي صالح، إن هذه البنت الملعونة صارت تهدد الجعفرية كلها"[41]. تجسد الكاتبة صورة المرأة ضحية التغير الذي

(37) الرواية ، ص 441.

(38) الرواية ،ص 306.

(39) الرواية ،ص 422

(40) الرواية ،ص، 409.

(41) الرواية، ص، 299.

طرأ على المجتمع الغرناطي، ووقعت المرأة ضحية ضعف الرابطة الأسرية وغلاظة العشرة. "يضربها زوجها فيعلو صوتها، تسمع جارتها الصوت فتبكي تعاطفا، ثم تتذكر علقة بداية الأسبوع، فترثي لحالها وتبكي أكثر"[42]. كما تقع المرأة ضحية الواقع السياسي الذي أسلمها لواقع اجتماعي مضطرب. "لا تثق بأحد حتى زوجتك، فقد تختلف معها فتشي بك إلى الديوان"[43].

وتتكرر صورة المرأة ضحية الفقر والعوز؛ مما أوقعها في عالم الرذيلة. "أمسك بي الباستو، وقال: إنه لن يخلي سبيلي إلا لو دفعت له ثمن الترخيص. قلت له: ليس معي نقود. قال: نبيعك ونسدد ما عليك من دين"[44]، وتطل علينا الصبية كوثر التي تقع ضحية حرية اختيارها حتى تقتل، ثم يلاحق أهلها تهديد زوجها وابنته بالقتل، فيؤثر الوحدة والعزلة عن الاختلاط بالبشر. "قتلتم زوجتي وهددتم بقتلي، وقتل صغيرتي إن تفوهت بكلمة"[45]. ثم نلتقي بزوجة سعد سليمة بنت أبي جعفر ضحية القلق الوجودي، حينما ماتت الظبية التي كانت تقوم بتربيتها. لتنبثق أسئلة تنبع من القلق الوجودي، والصراع النفسي الحاد الذي تشعر به. "هل من أماتها الله؟ ظبية جميلة من سرق الحياة منها؟...كيف مات أبي يا جدتي؟"[46]. "هل الله شرير يقصد إيذاءها؟ – وحينما تتذكر وفاة وليدها تصرخ – أخذه الله! لماذا ؟"[47]، تبحث سليمة عن أية وسيلة تخرجها من هذا الواقع الخانق، فتلجأ إلى علاج نساء الحي بالأعشاب، وهناك الكثير من صور المرأة الضحية نحيل القارئ إليها في الصفحات: (430 – 56 – 294)، وهكذا فصورة المرأة الضحية متداخلة ومتشابكة، وكل صورة تحمل جزئية من رؤية الكاتبة بسبب الظلم المسلط على المرأة العربية اليوم.

المرأة المغتربة

ليس أصعب على الإنسان من أن يتنكر لاسمه، فتحويل الاسم العربي إلى قشتالي يعني إنكارا لهويته، وشرعية وجوده، فابنة سعد وسليمة عرفت بعدة أسماء (عائشة وإسبيرانزا وأمل)، أما مريمة فقد أدركت عبث القانون وغياب العدالة، ولم تعد تهتم بتغيير الاسم، لأنه لا يغير من الواقع شيئا. "أعرف نفسي مريمة وهذه ابنتي رقية، فهل يغير من الأمر كثيرا أن يحملني حكام البلد ورقة تشهد أن اسمي ماريا وأن اسمها أنا"[48].

(42) الرواية ،ص 294.

(43) الرواية ،ص، 409.

(44) الرواية، ص 416.

(45) نفسه، ص 337.

(46) نفسه، ص 416.

(47) نفسه ،ص 436.

(48) نفسه ،ص 444.

الحقيقة ليست المسألة في تغيير الاسم فحسب بل في تحويل مجتمع لغويا ودينيا وثقافيا، ليصبح كل شيء مباحا ضد العرب. تتجلى صورة المرأة المغتربة حينما كانت تحمل رضيعها، وفي لحظة انقض عليها قشتالي. "واختطف الصغير من بين يديها باتجاه كلبه الجائع. واصل الكلب وجبته والرجال الضحك حتى أسكتتها طلقة نارية فسقطت على الأرض غارقة بدمها ثم ساد الصمت"[49]. تبدو صورة المرأة المغتربة مسلوبة الإرادة والإنسانية ومرهونة بسعادة الآخرين دون تأنيب ضمير. على هذا النحو، اغتراب المرأة اغترابا مركبا: كونها امرأة أولا، وتعيش في مجتمع وحشي ثانيا. وهناك صورة أخرى لسليمة المسلمة الذي تحول اسمها إلى (جلوريا ألفاريز النصرانية)، ثم حملوها مقيدة في قفة حتى لا يتأثرون بسحرها واتهموها بالكفر لأنها ما زالت على دين محمد عليه الصلاة والسلام رغم التعميد، وحكموا عليها. بـ"الموت حرقا"[50]. فأي قانون يقتل الأطفال ويدعي رعاية الطفولة؟ وأي عدالة تحرق المرأة وتدعي حقوق المرأة؟ أليست هذه الصورة محاكاة للواقع العربي اليوم؟ وهناك نمط آخر من الاغتراب، وهو الاغتراب النفسي الذي يبدو في عدم مسايرة الواقع: "لا أريد أهلي، ولا أريد القرية"[51]، كما تتجلى الغربة في الوحدة والانفصال. والشعور المتزايد بالاضطهاد "قتلوا أختي لا أريد العودة"[52]، كما تتجلى الغربة في الانفصال المستمر عن المجتمع. "وهي طفلة في العراء، لا أهل ولا مال ولا سند ، صبية مقطوعة والمدينة تغص بالمومسات وأولاد الحرام"[53].

والسؤال، ألم تكن كوثر نموذجا لصورة المرأة اليوم؟ ألم يكن اختيار الزوج من حق المرأة؟

المرأة المتمردة:

هي حالة من مناهضة للخنوع والاستسلام، وترتكز على وعي الذات وقدرتها على علاج القضايا التي تواجهها، ولما كانت المرأة تعيش في مجتمع يحكمه العادات والتقاليد الثابتة، فإما أن تكون خاضعة للمألوف، وإما أن تكون متمردة على القيود التي تحد من حريتها وحقها الإنساني في الوجود. تطل علينا المرأة المتمردة من خلال خرق الثقافة الذكورية السائدة، وهي ليس بالأمر الهين، فكثيرا ما تنتهي بنهاية مأساوية، وهو ما أعطى المعنى البطولي للمرأة. فها هي ابنة العشرين عاما ترفض الأعراف وتهرب مع حبيبها وتدخل في دائرة أكثر جرأة من التمرد. "أحببت شابا .طلب الزواج مني، لكن عمي لن يقبل

(49) الرواية ، ص 444.

(50) نفسه ، ص 55

(51) ص، ن.

(52) الرواية، ص 122.

(53) نفسه ، ص 402.

لأنه غريب. فهربت معه وجئنا إلى بلنسية[54]، ثم تتحدى قرار وشروط السلطة الحاكمة "سأذهب إلى عين الدمع إن أردتم أن تأتوا معي، وإن لم ترغبوا في ذلك أذهب لوحدي"[55]، مما يثير الدهشة أن هذا التمرد لا يمثل حالة فردية بل جماعية، تصبو إليه جميع النسوة. لتحقيق هدف سام. "أعلنت بشكل قاطع ونهائي أنها لن تذهب إلا لو قيدوها بالحبال وجروها كالدواب"[56]، وهناك صور عديدة ومكثفة للمرأة، نحيل القارئ للتعرف عليها من خلال الصفحات التالة، مثل: المرأة الحكمة، ص: 292 ، المرأة الوطن: 92 ، المرأة الرمز، ص: 501، المرأة الحلم، ص: 434،406 ، المرأة الجسد، ص: 426. ما يثير الانتباه أن الكاتبة خلقت معادلا موضوعيا لشخصيات الرواية المقهورة، فرسمت صورة تنم عن انحيازها الواضح لقوميتها ودينها وحضارتها العربية الإسلامية وبنات جنسها، فجنحت إلى رسم صورة مناقضة ومهزوزة لشخصيات الملوك، فنقرأ "لقد كانت أم الملكة إيزابيلا معتوهة ويبدو أنها ورثت الجنون إلى حفيدتها "[57]. وهنا يقفز السؤال إلى أذهاننا: ألم يشِ هذا المضمون إلى صورة العالم المجنون الذي نعيش في اليوم؟ هكذا، بدا لنا عالم الرواية. لقد استثمرت المبدعة رضوى عاشور مستويات المكان التراثية، برؤية حديثة دون التفريط في تراثنا وقيمنا وثقافتنا وحضارتنا الإسلامية، لتوازن بين عري المرأة، وعري الأمة العربية، وما آلت إليه في عالم يحكمه الصمت. كما اقترنت صورة المرأة في الماضي بصورة المرأة في الحاضر. وكان النموذج الواحد، يمثل البطل الضحية والمغترب والمتمرد في آن واحد، حيث سيطر المكان المعادي على أغلب مستويات السرد، يثير الفزع والرعب والخوف، مما زاد من خطاب الكراهية والصراع والفقد المستمر. أليست هذه هي صورة العالم اليوم؟

الخاتمة:

في خضم دراستنا الموسومة بـ(النقد بين الأصالة والمعاصرة)، من خلال مستويات المكان في ثلاثية غرناطة للمبدعة المتميزة (رضوى عاشور)، يمكننا أن نستخلص النتائج التالية:

- اعتمدت الكاتبة جملة من الوسائل الفنية والأسلوبية باستحضار المشاهد السردية، وغير المأزومة المشحونة بالصراع والتوتر وغياب صوت المرأة، والحوار المباشر، فهناك من ينوب عنها دائما.
- تعاملت الكاتبة مع مستويات المكان بحرفية متقنة، وكانت المدينة بعناصرها العدائية، هي الأبرز في تأكيد الذات لهويتها، ووعيها، وعلاقتها بالآخر، وهي في

(54) الرواية ، ص441.

(55) نفسه، ص 55.

(56) نفسه ، ص 160.

(57) نفسه ، ص 129.

أغلبها تودي إلى الموت؛ لذا كان تأثير المكان أقوى من الزمان على الشخصية.

- تداخلت صور المرأة وتشابكت بحيث يحمل كل نموذج صور الضحية، والمغتربة، والمتمردة في آن واحد، وقارنت الكاتبة بين حال المرأة في الماضي، وبين حالها في الحاضر وقائمة الممنوعات التي تتعرض لها. وأسقطت هذه الرؤية على حال الأمة العربية اليوم.
- شكل المكان محور الصراع وأساسه، ولم تستطع الكاتبة أن تفك أسر شخصياتها، فأصبحت كل شخصية مقيدة الحركة، وأسيرة المكان التي تتواجد فيه على الرغم من استخدام الكاتبة أسلوب المفارقة بين المكان الواسع/ والضيق، المفتوح/ والمغلق، المتحرك/ والساكن، مما جعل أغلب الشخصيات تشعر بغربة نفسية، واجتماعية، ووجودية قاتلة.
- كانت جهود النقاد القدامى إرهاصات لبداية نظرية نقدية عربية، لكن النقاد المحدثين لم يكملوا ما بدأه القدامى. ومال أغلبهم للثقافة الغربية، وانقسموا بين مؤيد للتراث ومعارض له. حتى أصبح النقد حصيلة محاولات فردية في مفترق طرق، ومن ثم لا يمكننا ترهين الخطاب النقدي الحديث والمعاصر تبعا للمتغيرات والتحولات الجذرية الثقافية والسياسية, وفوضى الاتجاهات والمصطلحات النقدية.
- اتسمت المنهجية النقدية عند رضوى عاشور بمعطيات الفكر الماركسي، والرؤية الاشتراكية لمقاربتها لواقع الحروب والهزائم، واستشراف المستقبل، وهي رؤية تنسجم مع عالم الفقراء والمشردين نجدها عند كثير من النقاد أمثال: لويس عوض، ومحمود أمين العالم، وغسان كنفاني، وآخرون،... ولا تبتعد هذه الرؤية عن دستويفسكي، وجوركي، وبلزاك، وديكنز، وغيرهم.
- بدأت الرواية بحدث تاريخي معاصر وهو سقوط بغداد، وانتهت بعبارة تحمل دلالات سيميائية تأويلية "لا وحشة في قبر مريمة"، الدال على التراث العربي الأصيل، واحتفظ حفيدها بالمفتاح ليظل شاهدا على هوية مفقودة في الحاضر. ربما يجد ذاته في المستقبل القريب. مما يدل على القطيعة بين التراث والثقافة الغربية المهيمنة. ليظل الصراع بين الأصالة والمعاصرة محتدما في غياب نظرية عربية ذات ملامح واضحة. وهو ما يؤكد رؤية رضوى عاشور المنهجية (الحداثة الممكنة)، بغية التواصل بين القديم والحديث، الأصالة والمعاصرة، التراث والحداثة، وذلك بالقراءة الواعية لتراثنا وبعثه من جديد.
- استطاعت الكاتبة أن تستثمر التاريخ لمعاجة قضايا ما تزال تؤرق الإنسان العربي المعاصر، وقدمت نموذجا روائيا نسويا على درجة كبيرة من الوعي والنضج، مؤسسة اتجاها نقديا ضمن الاتجاهات النقدية التي تنمي إلى ما بعد الحداثة.

مصادر البحث ومراجعه :

أولا المصادر:

1. القرآن الكريم.
2. عاشور، رضوى، أ – ثلاثية غرناطة، ط 23، دار الشروق، القاهرة، 2018.
   ، ب – صيادو الذاكرة، دار الشروق، القاهرة، 2016.
3. علي، طارق، في ظلال الرمان، ت: إبراهيم السعافين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1986.

ثانيا : المراجع العربية والمترجمة:

1. إبراهيم، عبدالله، المتخيل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1995.
2. بنكراد، سعيد، السيميائيات، اللاذقية ، دار حوار،2005 م.
3. بوتور، ميشال، أبحاث في الرواية الجديدة، ط 3، دار عويدات، بيروت، 1996.
4. الجزار، محمد، سيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة العامة ، القاهرة، 1998.
5. جينييت، جيرار، خطاب الحكاية ،ت: محمد معتصم وآخرون، المشروع القومي، القاهرة، 1997.
6. الحميداني، حميد، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،1992.
7. دراج ،فيصل، ذاكرة المغلوبين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002.
8. زعرب، صبحية، جماليات السرد، دار المجدلاوي، عمان، 2005.
9. السعافين، إبراهيم، تحولات السرد ، دار الشروق، عمان، 1996.
10. شقرون، شادية، الخطاب السردي في أدب إبراهيم الدرغوثي، دار سحر، تونس، د.ت.
11. العيساوي، ريم، الرمز والدلالة، فوتوكاد، الشارقة، 2017.
12. فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية، القاهرة، 1992.
13. الكردي ،عبدالرحيم، السرد في الرواية العربية المعاصرة، دار الثقافة، القاهرة، 1992 .
14. لوبوك، بيرسي، صنعة الرواية، ت: عبدالستار جواد، دار المجدلاوي، عمان، 2000.
15. مفتاح، محمد، التلقي والتأويل، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2001.
16. يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1989.

الاستثناء في سورة هود
دراسة في السياق الدلالي

إعداد: أ. فريحة جاب الله بشير
قسم اللغة العربية – كلية التربية – جامعة طبرق

الاستلام 15/ 12/ 2020 القبول 5 /2/ 2021

المستخلص

تتبعت الدراسة في مبحثها الأول مفهوم الاستثناء وأحكامه وما انطوت عليه اللغة من إيضاح لتطور دلالته اللغوية، وظهر من خلال الدراسة أن البحث في مصطلح الاستثناء متسع بشكل كبير لدى النحاة الذين أفادوا من فكر علماء الفقه وأصوله، والكلام وآرائه، فكان منطلق النقاش حول العلاقة بين المستثنى والمستثنى منه، وبيان أنواع الاستثناء وإيضاح دلالة كل مصطلح.

فهذه الدراسة حاولت الكشف عن أهمية الأثر الدلالي للاستثناء بشقيه المستثنى والمستثنى منه، وكذلك دلالة العلاقة بينهما ما يفضي إلى تعدد وجوه التفسير التي تتصل بمعرفة المفسر للدلالات المتعددة للاستثناء وما تركب منه من ألفاظٍ لها أكثر من دلالة لغوية، فالأثر الدلالي ينبني عليه إيضاح المعنى المراد من الله سبحانه وتعالى.

التفتت أيضاً هذه الدراسة للقراءات القرآنية، وما لها من أثر في بيان نوع الاستثناء وزيادة قوته واتجاهات دلالته، فاختلاف القراءة يستوجب اختلاف الدلالة التي يقصد إليها الاستثناء.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية – الدلالة – النحو العربي- اللسان العربي.

Abstract

In its first topic, the study traced the concept of exception and its rulings and the clarification of the development of its linguistic significance that the language involved in. It emerged through the study that the search for the term exception was broadly broad among grammarians who benefited from the thought of scholars of jurisprudence and its origins, and the speech and its opinions, so the discussion was based on the relationship between the excluded What is excluded from it, ex-

plaining the types of exception and clarifying the significance of each term.

This study tried to reveal the significance of the semantic effect of the exception with its two parts excluded and excluded from it, as well as the significance of the relationship between them, which leads to the multiplicity of the interpretation that relates to the interpreter's knowledge of the multiple connotations of the exception and the terms that have more than a linguistic connotation composed of it .

This study is also devoted to the Qur'anic readings, and its effect on indicating the type of exception, its increase in its strength, and the directions of its significance. The difference in reading necessitates the difference of the significance to which the exception is intended.

المقدمة:

ترتبط الدراسات اللغوية ارتباطاً وثيقاً بكتاب العربية الأول القرآن الكريم، واختيار دراسة ظاهرة نحوية دلالية في إحدى سوره، يصب في مجرى الاهتمام المتزايد بالدراسات القرآنية ذات التوجه اللساني.

خصوصاً وان الاستثناء باب معروف من ابواب النحو التي تأخذ في كثير من جوانبه دلالات متباينة وخاصة في القرآن الكريم، وفي سورة هود تحديداً التي يتكرر فيها الاستثناء بشكل يلفت النظر إلى دراسته، ذلك أنه تكرر في ثلاث وثلاثين موضعاً من أصل آيات السورة وهي مئة وثلاث وعشرون آية.

وقد نهجت في منهج هذه الدراسة نهجاً يزاوج بين معاني النحو وقواعده وأقيسته ودلالاته، فجاءت تقسيمات الدراسة على هذا النحو:

المبحث الأول: الدلالة النحوية والمعنوية للاستثناء ويتضمن:

1. مفهوم الاستثناء في اللغة.
2. مفهوم الاستثناء في الاصطلاح.
3. أقسام المستثنى.

المبحث الثاني: دلالة الاستثناء في السياق ويتضمن:

الدلالة النحوية والمعنوية للاستثناء.

ولأن طبيعة الدرس النحوي والدلالي تستوجب الخوضَ في نحو المفسرين فلا نكشف سراً إذا ما قلنا إن هذا النحو ينصبُّ على معاني النظم القرآني والكشف عن مراد الله جل وعلا في آي الذكر الحكيم. ولذا فقد اعتمدت في المقام الأول على جهود الإمام الرازي المتوفى 606هـ في تفسيره الكبير: مفاتيح الغيب، ففي هذا الكتاب سعة في تناول مختلف الدلالات التي تظهر في تفسير الآيات، إذ يناقش الرازي ما يفترضه من التساؤلات نقاشاً مستفيضاً يتسم بطابع الشمول المعرفي، فكانت هذه الدراسة تبدأ بآرائه ومناقشاته ثم تتجه إلى مصادر أخرى من مثل: الكشاف للزمخشري المتوفى 538 هـ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي المتوفى 671هـ، وتفسير الجلالين لجلال الدين المحلى المتوفى 874هـ وجلال الدين السيوطي المتوفى 911هـ، وتفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المتوفى 951هـ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني المتوفى 1250هـ، ومعاني القرآن للأخفش المتوفى 215هـ، ومعاني القرآن للفراء المتوفى 207هـ.

المبحث الأول: الدلالة النحوية والمعنوية للاستثناء

1 – مفهوم الاستثناء في اللغة

الاستثناء مصدر الفعل استثنى، وجذره الثلاثي: ثنى، وأصل ألفه ياء: ثنيَ، وحينما ننظرُ في المعجميات[1] نَجِدُ دلالات مختلفةً لهذه المادة اللغوية، روي عن كعب أنه قال:" الشهداءُ ثُنيَةُ اللهِ في الأرضِ، يعني من استثناهُ في الصَّعْقَةِ الأولى، وقد تَأَوَّلَ كعب ـــ رضي الله عنه ـــ قوله تعالى:﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّه﴾ [2] فالذين استثناهم الله عند كعب هم الشُّهداء؛ لأنهم عند ربهم يُرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله، فكأنهم مستثنون من الصعقتين، وهذا معنى كلامه: الشهداءُ ثُنْيَةُ اللهِ في الأرض، وهذا الحديث برواية إبراهيم النخعي كذلك.[3]

وحينما نَتَتَبَّعُ الدلالة اللغوية إلى مُا يُقَرُبُنا من المُصطلح نَجِدُ في المعجم: "واستثنيت الشيء من الشيءِ حاشيتُهُ "..." وقال الراغب الاستثناء إيراد لفظٍ يقتضي رفعَ بعض ما يوجبهُ عمومُ اللفظ، كقولهِ تعالى: ﴿إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾، وما يقتضيه رفع ما يوجبه اللفظ كقول الرجل: لأفعلنَّ كذا إن شاءَ الله تعالى.[4] ومن ذلك قوله تعالى:﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ والعربُ تقول:" حِلفةُ غيرُ ذات مثنوية أي غيرُ مُحللةٍ، والثُّنيَانُ "بالضم" الاسم من الاستثناء كالثَّنوَةِ بالفتح".[5]

2 – مفهوم الاستثناء في الاصطلاح

بعد أن استعرضنا دلالة الاستثناءِ في اللغة وما عَرَضَه أُصحابُ المعجميات من أي الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب، نحاول تلمس مفهوم الاستثناء في اصطلاح النحاة، فنبدأ بأول كتاب جامع لمسائل النحو ذلك هو كتاب أمام النحاة سيبويه ت: 180هـ، إذ يُطالعنا قوله تحت عنوان: هذا بابُ ما يكونُ استثناء بإلا، ويستعرض فيه أحكام الاسم بعد "إلا وأخواتها"، وهو المستثنى، وسنعرض لها عند كلامنا على أحكام المستثنى.[6] قال الرضي الاستربادي ت .686هـ: "حقيقة المستثنى، متصلاً كان أو منقطعاً: هو المذكور بعد "إلا" وأخواتها مخالفا لما قَبْلَهَا نفياً وإثباتا... كون المتصل داخلاً في متعدد لفظا أو تقديراً: من شرطه لا من تمام ماهيتهِ، فعلى هذا: المقطع داخل في هذا الحد، كما في: جاءني القومُ إلاَّ حماراً، لمخالفة الحمار القوم في المجيء". [7]

والمستثنى ينقسم قسمين:

الأول: هو المتصل، وهو المُخرَجُ من متعددٍ أي من شيءٍ ذي عددٍ، قد يكون ملفوظاً به نحو: جاءني القومُ إلا زيداً، وقد يكونُ مُقدراً، نحو: ما جاءني إلاَّ زيدُ، أي

(7) شرح الرضي على الكافية 2/ 76، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، من عمل يوسف حسن عمر.

ما جاءني أحدُ إلا زيد.[8]

والثاني: هو المنقطع، وهو المستثنى الذي "لم يكن داخلاً في المعتمد في المتعدد الأول قبل الاستثناء "..." سواء كان من جنس المتعدد كقولك: جاءني القومُ إلا زيداً، مشيراً إلى جماعة خالية من زيد، أو لم يكن، نحو جاءني القومُ إلا حماراً".[9] والقول بأن المستثنى هو المخرج "بإلاّ وأخواتها" يُخرجُ من التعريف "نحو: جاءني القومُ لا زيد، وما جاءني القوم لكن زيدُ، وجاءني القوم ولم يجئ زيدُ".[10] فالمخرج هو المستثنى، والمخرج مِنهُ هو المستثنى منهُ، وهو المتعددُ الذي أخرج المستثنى، وقد يكون مذكوراً أو مقدراً.

وقد جرى بحثٌ عقلي بين النحاة في مسألة العلاقة بين المستثنى والمستثنى مِنهُ، يدور حول إخراج المستثنى من المستثنى منه، وترتب على ذلك بحث عميق عند المفسرين ـــ كما سنعرض فيما بعد ـــ بقول الرضي: ثم إن الاستثناء مشكل باعتبار معقوليته؛ لأن زيداً في قولك: جاءني القوم إلا زيداً، لو قُلنا إنه غيرُ داخلٍ في القوم، فهو خلاف الإجماع؛ لأنهم أطبقوا على أن الاستثناء المتصل مخرج ولا إخراج إلا بعد الدخول، فإن جاز الشكُ في مثله، لم يصح في نحو قوله: لهُ عليَ دينارٌ إلاّ دَانقاً؛ للعلم بأن "دَانَقاً" مُخرجُ من الدينار، والباقي بعدهُ هو المُقر به، وإنَ به، وإن قلنا داخل في القوم، و"إلا" لإخراجه منهم بعد الدخول، كان المعنى: جاء زيدُ مع القوم ولم يجِيء زيدُ، وهذا تناقضُ ظاهر ينبغي أن يُجنَّبَ كلامُ العُقلاء عن مثله، وقد ورد في الكتاب من الاستثناء شيء كثير، كقوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً﴾ فيكون المعنى لبث الخمسين في جملة الألف، ولم يلبث تلك الخميس، تعالى اللّهُ عن مِثلِهِ علوّاً كبيراً.[11]

ثم يفصلُ الرَّضي آراء النحاة في هذه المسألة فيقول:" قال بعضهم: نختارُ أنَّهُ غّيرُ داخلِ، بل القوم في قولك: جاء القومُ، عامٌّ مخصوصُ، أي أن المتكلم أراد بالقوم جماعة ليس فيهم زيد، وقوله إلاّ زيداً، قرينةُ تَدِلُ السامِعَ على مراد المتكلم، وأنه أراد بالقوم غَيّرَ زيدِ.[12] ثم يناقش هذا الرأي فيقول: "وليس بشيء لإجماع أهل اللغة على أن الاستثناء مخرج ولا إخراج إلاّ مع الدخول، وأيضاً يعتذر دعوى عدم الدخول في قصد المتكلم في نحو: لهُ عليَ عشرةُ إلا واحداً؛ لأن "واحداً" داخلُ في العشرة بقصده، ثم أُخرج، وإلاّ كان مُريداً بلفظ العشرةِ تسعة، وهو محال". [13]

(8) ينظر: المصدر نفسه 2/ 96.

(9) شرح الرضي، 2/ 76.

(10) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(11) شرح الرضي، 2/ 77، والشاهد القرآني من سورة العنكبوت، الآية، (14).

(12) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(13) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

ثم يعرض رأي القاضي عبدالجبار فيقول:" وقال القاضي عبدالجبار أيضا، هو غير داخل لكنَّهُ قال المستثنى والمستثنى مِنْهُ، وآلة الاستثناء بمنزلة اسم واحدٍ، فقولُك: له عليَّ عشرةٌ إلا واحداً، بمعنى: له عليَّ تسعةٌ لا فرق بينها من وجه، فلا دخول هناك ولا إخراج.[14] ويُناقش الرَّضي رأيَهُ فيقول: وهذا أيضاً غير مستقيم لِقَطعِنَا بأن عشرة، في كلامك هذا دالة على المعنى الموضوعةِ هي لهُ مفردة، بلا استثناء، وهو: "إلا"مفيدة للاستثناء، و"واحداً" هو إجماعهم على أن الاستثناء مخرج يبطله.[15] ثم يعلق، فيذكر ما يلزم هؤلاء النحاة في باب البعض وبدل الاشتمال فيقول: ويلزمُ مثل ما فروا مِنْهُ في بدل البعض وبدل الاشتمال كقوله تعالى: ﴿وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ لأن الناس جنس يَعِمُّ المستطيعين وغيرهم، فيكون مستطيعهم، بل لله على مستطيعهم وحده.[16]

وبعد أن يستعرض هذا الآراء يُناقشها، حيث يذكر الرأي الذي يتبناه منسوباً إلى نحاةٍ آخرين دون أن يسميهم فيقول: وقال آخرون وهو الصحيح المندفع عنه الإشكالات كُلِّهَا: ما فرّوا مِنْهُ وما لزمهم: إنّ المستثنى داخل في المستثنى مِنْهُ، والباقي بعد بدل البعض داخل في المبدل منه، والتناقض بمجيء زيد وانتفاء مجيئه في: جاءني القوم إلا زيداً غير لازم، وإنما يلزم ذلك لو كان المجيء منسوباً إلى القوم فقط، وليس كذلك بل هو منسوب إلى القوم مع قولك: "إلا زيداً" كما أن نسبة الفعل في نحو: جاءني غلام زيدٍ، ورأيتُ غلاماً ظريفاً: إلى الجزأين لكنَّهُ جرت العادة بأنَّهُ إذا كان الفعل منسوباً إلى شيء ذي جزأين أو أجزاء، قابلِ كل واحدٍ منها للأعراب: أُعْرِبَ الجزء الأولُ منهما بما يستحقه المفرد إذا وقع منسوباً إليه في مثل ذلك الموقع، وما بقي من أجزاء المنسوب إليه يُجرُ إن استحق الجَرَّ كالمضاف إليه، ويُتبع إن استحق التبعية، كما في التوابع الخمسة، وإن لم يستحق المرفوع، وإن كان جزءَ العمدةِ في بعض المواضع، نحو: ما جاءني القوم إلا زيداً؛ لأنَّ المجموعَ هو المسند إليه).[17]

وبعد هذا التحليل النحوي للعلاقة بين المستثنى والمستثنى مِنْهُ من حيث الإدخال والإخراج يذكر الرضي زبدة القول في هذه المسألة المهمة فيقول: فزبدة الكلام: أن دخول المستثنى في جنس المستثنى منه ثم إخراجه بـ "إلا وأخواتها" إنما كان قبل إسناد الفعل أو شبهه إليه، فلا يلزم التناقض في نحو: جاءني القوم إلا زيداً؛ لأنه منزلة قولك: القوم المُخرَج منهم زيد جاءوني، ولا في نحو:

(14) شرح الرضي2/ 77، والقاضي عبدالجبار، من كبار المعتزلة، وهو صاحب كتاب، المغني في الفقه، قد ترددت آراؤه عند النحاة والبلاغيين حتى أن عبدالقاهر الجرجاني يناقشه في كتابه دلائل الأعجاز، وكأن الكتاب ألف للرد على أرائه.

(15) المصدر نفسه 2 /78.

(16) المصدر نفسه، والصفحة نفسها، والشاهد القرآني من سورة آل عمران، الآية (97).

(17) شرح الرضي، 2/ 78.

لـه عـليً عـشرةٌ إلاّ درهمـاً؛ لأنَّـه بمنزلـة قولـك: العـشرة المُخـرجُ منهـا واحـدٌ لـه عـليَّ؛ لأن المنسـوب إليـه الفعـلُ وإن تأخـر عَنْـهُ لفظـاً لكـن لابُـدَ لـه مـن التقـدم وجـوداً عـلى النسـبة التـي يـدل عليهـا الفعـلُ، إذ المنسـوب إليـه، والمنسـوب سـابقان عـلى النسـبةِ بينهمـا ضرورةً، ففـي الاسـتثناء لمّـا كان المنسـوب إليـه هـو المسـتثنى منـه، فلابُـدّ إذن مـن حصـول الدخـول والإخـراج قبـل النسـبة فـلا تناقـض.[18]

وقبـل أن نختـم هـذا المبحـث نقـول: إن الحـرصَ عـلى تتبـع العَلاقـة بـين المُسـتثنى والمُسـتثنى منـه مـن حيـث الإخـراج والإدخـال كمـا عَرَضَـه الـرَّضي وناقشَـه، يوضـح تفاصيـل اختـلاف المفسريـن واجتهادهـم في إيضـاح هـذه العَلاقة في الآيـات القرآنيـة التي ورد فيهـا الاسـتثناء في سـورة هـود ـــ عليـه السـلام ـــ؛ لأن ذلـك مهـم لكشـف وتبيان مـراد اللـه ـــ سـبحانه وتعـالى ـــ في الآيـات المذكـورة وعـدم تعارض التفسـير مـع آيات أخـرى جـاءت في سـورٍ أخـرى في الكتـاب العزيـز؛ لأن القـرآن يفـسر بعضـه بعضـا. أمـا مـا بقـى مـن مصطلحـات الاسـتثناء كالـكلام التـام، وهـو مـا ذكـر فيـه المسـتثنى منـه، والـكلام غـير التـام وهـو مـالا يذكـر فيـه المسـتثنى منـه، والكلامـان: إمـا موجب وإمـا سـالب، فالموجـبُ مـا لـم يسـبقه نفـي أو شـبهه كالنهـي والاسـتفهام، والسـالب مـا يسـبقه ذلـك، فهـذه المصطلحـات شـائعةٌ معروفـة واضحـةٌ، ولهـا صلـة بأحـكام المسـتثنى التـي سـنعرض لهـا في المبحـث الآتـي. ولابـد مـن القـول: إن الـرضي هـو الوحيـد مـن بـين النحـاة الـذي عـرض لمسـألة العلاقـة بـين المسـتثنى والمسـتثنى منـه، واسـتوعب مـا قيـل فيهـا وناقشـه بمـا عُـرِفَ عنـه مـن عقليـة تحليليـة تركيبيـة، وقـد غلـب عـلى بقيـة كتـب النحـو التـي عالجـت موضـوع الاسـتثناء الدخـول مبـاشرةً إلى أحكامـه النحويـة، والخـلاف فيهـا لذلـك كان كتابـه المصـدر الأسـاسي في هـذه المسـألة.

المبحث الثاني: دلالة الاستثناء في السياق

بعـد أن درسـنا في البـاب الأول مفهـوم الاسـتثناء وأحكامـه فعرضنـا لمفهوم الاسـتثناء ثـم لأحكامـه النحويـة نـدرس في هـذا المبحـث دلالـة الاسـتثناء في السـياق، ونقصـد بهـا رصـد ومتابعـة جهـد المفسريـن في تنـاول أسـلوب الاسـتثناء في الآيـات التـي ورد فيها هذا الأسـلوب مـن سـورة هـود - عليـه السـلام - وإذا كنـا قـد لاحظنـا في المبحـث الأول غلبـة الفكـر النحـوي المحـض عـلى الدراسـة، فمـن طبيعـة الدراسـة في هـذا المبحـث تلمـس الأثـر الـدلالي للاسـتثناء في سـياق الآيـة وهـو يتجـلى في الدلالـة النحويـة والمعنويـة، وهـو مـا عقدنـا لـه المطلـب الأول، ودلالات أخـرى تتعلـق باللغـة أي دلالـة المفـردة، وكذلـك الدلالـة الصرفيـة ... ومـا للقـراءات القرآنيـة مـن أثـر في تعـدد الـدلالات والتحـول مـن دلالـة إلى أخـرى في أثنـاء البحـث مـع ملاحظـة العلاقـة بـين المسـتثنى والمسـتثنى منـه، ومـا تفـضي إليـه مـن دلالـة أوضحهـا وتعقبهـا في أثنـاء تفسـير الآيـات.

(18) شرح الرضي على الكافية، 2/ 78 – 79.

الدلالة النحوية والمعنوية للاستثناء

ممـا يمتـاز بـه نحـو المفسريـن عـن النحـو القاعـدي أنَّـهُ نحـو معنـى، فالمفـسر لا يهمـه أن يأتـي النـص القرآنـي موافقـاً للقيـاس النحـوي وإنمـا المهـم عنـده معانـي النحـو التـي تُعينـه عـلى فهـم الدلالة التـي تقـرَّبُ إلى مـراد اللـه تعـالى في النـص القرآني، لـذا سـنتناول في هـذا الفصـل الدلالـة النحويـة للاسـتثناء في السـياق ناظريـن إلى المـادة التـي بـين أيدينـا دون الانطـلاق مـن كتـب النحـو القاعـدي فهـي دلالـة معانـي النحـو:

ويطالعنـا قولـه تعـالى: في أول آيـة مـن السـورة يـرد فيهـا الاسـتثناء في تسلسـل آيات السـورة قـال تعالى:﴿أَلَا تَعْبُـدُوا إِلَّا اللَّه إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيـرٌ وَبَشِـيرٌ﴾ فتتبـع دلالات هـذه الآيـة الكريمـة في أول تفسـير يقـع بـين أيدينـا وهـو التفسـير الكبـير المسـمى مفاتيـح الغيـب للإمـام الفخـر الـرازي المتـوفى (606هــ)، لمـا لـه مـن قيمـة فصاحبـه يتنـاول بطريقـة وافيـة الـدلالات النحويـة والمعنويـة التـي نحـن بصـدد التكلـم عليهـا الآن فيقـول: اعلـم أنّ في قولـه تعـالى: "أَلَّا تَعْبُـدُوا إِلَّا اللَّـهَ " وجوهـا: الأول: أن يكـون مفعـولا لـه، والتقديـر كتـاب أحكمـت آياتـه ثـم فصلـت لأجـل ألا تعبـدوا إلا اللـه.[19] والثانـي: أن تكـون "أن" مفـسرة لأن في تفصيـل الآيـات معنـى القـول.[20]

وبعـد ذلـك يُبـين رأيـه في هـذا الوجـه فيقـول: " والحمـل عـلى هـذا أولى؛ لأن قولـه: "وأن اسـتغفروا" معطـوف عـلى قولـه: "ألا تعبـدوا" فيجـب أن يكـون معنـاه: "أي لا تعبـدوا ليكـون الأمـر معطوفـاً عـلى النهـي، فـإن كونـه بمعنـى لئـلا تعبـدوا يمنـع عِطـف الأمـر عليـه".[21]

وبعـد ذلـك يذكـر الوجـه الثالـث في هـذه الآيـة الكريمـة فيقـول: "أن يكـون التقديـر "آلـر كتـاب أحكمـت آياتـه ثـم فصلـت مـن لـدن حكيـم خبـير" ليأمـر النـاس أن لا يعبـدوا إلا اللـه، ويقـول لهـم إننـي لكـم منـهُ نذيـر وبشـير".[22] ثـم يقـول: إنـه تعـالى أمـر بـأن لا يعبـدوا إلا اللـه، وإذا قلنـا: الاسـتثناء مـن النفـي إثبـات، كان معنـي هـذا الـكلام النهـي عـن عبـادة غـير اللـه تعـالى، والأمـر بعبـادة اللـه تعـالى.[23] مـن خـلال هـذا يتبـين لنـا أن الاسـتثناء ذو أثـرٍ كبـيرٍ جـداً في السـياق، ودلالتُـه عـلى فهـم معانـي النحـو بالغـة الأهميـة.

وفي هـذه الآيـة يقـول صاحـب التبيـان: (قولـه تعـالى "أن لا تعبـدوا" في "أن" ثلاثـة أوجـه: أحدهـا: هـي مخففـة مـن الثقيلـة، وثانيهـا: أنهـا الناصبـة للفعـل ... وثالثهـا:

(19) مفاتيح الغيب، للإمام الفخر الرازي 17/ 179.

(20) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(21) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(22) مفاتيح الغيب، للرازي 17/ 179.

(23) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

أن تكون "أن" بمعنى "أي" فلا كون لها موضع، ولا تعبدوا "نهى").[24] ويرد في تفسير الجلالين في الآية نفسها ﴿لا تعبدوا .... نذير﴾ بالعذاب إن كفرتم و"بشير" بالثواب إن آمنتم .[25] وبعد ذلك نلقي نظرة على تفسير أبي السعود فلا نجده يبتعد عما قرره الذين سبقوه سواء من الناحية المعنوية أو الناحية النحوية.[26] ونأتي لتفسير فتح القدير حيث يقول صاحبه في قوله تعالى الآية ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ مفعول له حذف منه اللام ... ، وقيل: إن هي المفسرة لما في التفصيل من معنى القول، وقيل هو كلام مبتدأ منقطع عما قبله محكيا على لسان النبي صلى الله عليه وسلم.[27] وبعد ذلك يذكر قول الكسائي والفراء والزجاج حيث يقول: "قال والكسائي والفراء: التقدير أحكمت بألا تعبدوا إلا الله، وقال الزجاج أحكمت ثم فصلت لئلا تعبدوا إلا الله".[28]

ثم نأخذ الآية الثانية التي ورد فيها الاستثناء وهي حسب تسلسل السورة قوله تعالى في الآية السادسة: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾في هذه الآية لابدَّ لنا من توضيح معني كلمة "المستقر والمستودع"، فيقول الرازي: المستقر: هو مكانه، والمستودع:حيث كان مودعاً قبل الاستقرار في صلبٍ أو رَحِمٍ أو بيضةٍ).[29] قال الفراء: (مستقرها حيث تأوي إليه ليلاً ونهاراً ومستودعها موضعها الذي تموت فيه).[30] أما تفسيرها عند الجلالين: ("وما من" زائدة، دابة في الأرض ما دب عليها، إلا على الله رزقُها تكفل بها فضلا منه).[31] وقوله: "في كتابٍ مُبين": "في اللوح المحفوظ" [32] والمعنى: ما من دآبةٍ في الأرض إلا يرزقها الله تعالى.

وبعد ذلك نأتي إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

وهي الآية الثالثة التي نتناولها، وفي معرض تبيان الإمام الرازي لمراد الله سبحانه وتعالى في قوله: "الآية" يقول:)ومعناه أنهم ينكرون هذا الكلام

(24) التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء الكبرى 2/ 688 - 689.

(25) تفسير الجلالين، لجلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي، 173.

(26) ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم، أبو السعود 3/ 183.

(27) فتح القدير الجامع بن فني الرواية والدراية في علم التفسير، الشوكاني، 2/ 480.

(28) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(29) مفاتيح الغيب، للرازي،17/ 185.

(30) المصدر نفسه، والصفحة نفسها، وينظر: فتح القدير 2/ 482.

(31) تفسير الجلالين: 174.

(32) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 9/ 8.

ويحكمون بفساد القول بالبعث فإن قيل: الذي يمكن وصفه بأنهُ سحر ما يكون فِعلاً مخصوصاً وكيف يمكن وصف هذا القول بأنه سحر).[33] حيث يجيب الرازي عن هذا التساؤل فيقول: (قلنا الجواب عنه من وجوه: الأول قول القفال: معناه أن هذا القول خديعة منكم وضعتموها لمنع الناس عن لذات الدنيا وإحرازاً لهم إلى الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم).[34] ثم يبين الوجه الثاني فيقول: (إنّ معنى قوله: ﴿إِنْ هَـٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾هو أن السحر أمرٌ باطلٌ قال تعالى حاكياً عن موسى عليه السلام: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾فقوله: إنْ هذا إلاّ سحر مُبين، أي باطلٌ مبين).[35] ثم يوضح الوجه الثالث فيقول:(إن القرآن هو حاكم بحصول البحث، وطعنوا في القرآن بكونه سحراً؛ لأن الطعن في الأصل يفيد الطعن في الفرع).[36] ثم يسوق الوجه الرابع من دلالة معنى هذه الآية فيقول كاشفا عن قراءة لحمزة والكسائى أفادت تغير في بنية الكلمة فأثر ذلك في المعنى: (الرابع: قرأ حمزة والكسائى﴿إِنْ هذا إلاّ ساحرُ﴾ يريدون النبي صلى الله عليه وسلم، والساحر كاذب).[37] ثم قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (9) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ(10) إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ يشرع الرازي في بيان كلمة "إنسان" والمقصود منها في هذه الآية حيث يقول: (إن المراد منه مطلق الإنسان (...) إنه تعالى استثنى منه قوله: ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات﴾ والاستثناء يُخرِج من الكلام ما لولاه لدخل فثبت أن الإنسان المذكور في الآية داخل فيه المؤمن والكافر).[38] ويقول الشوكاني: (اللام في ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ هي الموطئة للقسم، والإنسان الجنس، فيشمل المؤمن والكافر، ويدل على ذلك الاستثناء بقوله "إلاّ الذين صبروا" وقيل المراد جنس الكافر).[39] وفي هذه الآيات كثير من الدلالات اللغوية سوف أتناولها مثل لفظة الإنسان، والإذاقة في مبحث آخر.

ويذكر أبوالسعود في تفسير قوله تعالى: ﴿ولئن أذقنه نعماء بعد ضراء ...﴾ فيقول: (كصحة بعد سقم، وجِدَة بعد عدم، وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق لمؤذنٌ بلذتهما وكونهما مما يُرغب فيه، وعن

(33) مفاتيح الغيب، للرازي، 17/ 188.

(34) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(35) مفاتيح الغيب، للرازي، 17/ 188. والشاهد القرآني من الآية (81) سورة يونس.

(36) المصدر نفسه، 17/ 189.

(37) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(38) مفاتيح الغيب، للرازي، 17/ 190.

(39) فتح القدير، للشوكاني، 2/ 485.

ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونهما في أدنى ما ينطبق عليه اسم الملاقاة).[40] وقال القرطبي: في قوله تعالى: ("إلا الذين صبروا" يعني المؤمنين مدحهم بالصبر على الشدائد وهو في موضع نصب).[41] ويذكر قول الأخفش في ذلك حيث يقول: (قال الأخفش: هو استثناء ليس من الأول، أي لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات في حالتي النعمة والمحنة).[42] وقال الفراء: (هو استثناء من "وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ" أي من الإنسان، فإن الإنسان بمعنى الناس، والناس يشمل الكافر والمؤمن، فهو استثناء متصل وهو حسن).[43]

وبعد ذلك نتناول قوله تعالى:﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾. (فقد رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رؤساء مكة قالوا: يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهباً إن كنت رسولاً، وقال آخرون ائتنا بالملائكة يشهدون بنبوتك فقال لا أقدر).[44]

وقد ذكر ابن عباس فقال: (قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم، ائتنا بكتاب ليس فيه شتم آلهتنا حتى نتبعك، ونؤمن بك" وقال الحسن: طلبوا منه لا يقول: "أن الساعة آتية").[45] (وقال بعضهم: المراد نسبتهم إلى الجهل والتقليد والإصرار على الباطل).[46] ما سبق هو المسألة الأولى في هذه الآية، أما المسألة الثانية فهي القول بأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يجوز أن يخوض في الوحي والتنزيل، وأن يترك بعض ما يوحى إليه؛ لأن تجويزه يؤدي إلى الشك في كل الشرائع والتكاليف وذلك يقدح في النبوة، وأيضا المقصود من الرسالة تبليغ تكاليف الله وأحكامه فإذا لم تحصل هذه الفائدة فقد خرجت الرسالة على أن تفيد فائدتها المطلوبة منها.[47]

وقد ذكر الرازي مستأنفاً حَدِيثَةُ الذي مضى فيقول: (وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله: "فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك" شيئا آخر سوى أنه عليه السلام فعل ذلك، وللناس فيه وجوه:

الأول: لا يمتنع أن يكون في معلوم الله أنه إنما يترك التقصير في أداء الوحي والتنزيل

(40) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود 3/ 190.

(41) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 9/ 11.

(42) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(43) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 9/ 11.

(44) مفاتيح الغيب، للرازي، 17 /192 – 193.

(45) ينظر: المصدر نفسه، 17/ 193.

(46) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(47) ينظر: مفاتيح الغيب، 17/ 193.

لسبب يرد عليه من الله تعالى أمثال هذه التهديدات البليغة).[48] ثم بعد ذلك يذكر الثاني فيقول: (الثاني أنهم كانوا لا يعتقدون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يُلقى إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فهيأه الله تعالى لأداء الرسالة وطرح المبالاة بكلماتهم الفاسدة وترك الالتفات إلى استهزائهم).[49]

إلى أن يقول: (والغرض مِنْهُ التنبيه على أنه إن أدى ذلك الوحي وقع في سخريتهم وسفاهتهم، وإن لم يؤدّ ذلك الوحي إليهم وقع في ترك وحي الله تعالى في إيقاع الخيانة فيه، فإذا لا بد من تحمل أحد الضررين، وتحمل سفاهاتهم أسهل من تحمل إيقاع الخيانة في وحي الله تعالى).[50]

أما المسألة الثالثة: فهي قوله تعالى: "لعلك" فهي كلمة تفيد الشك فما القائدة فيها؟ قلنا سوف نتناول دلالتها اللغوية، وماذا يُقصدُ بها عند العرب في فصل الدلالات الأخرى. وقال القرطبي في قوله: ("وضائق به صَدْرُكَ" عطف على "تارك" و"صَدّرُكَ" مرفوع به، والهاء في "به" تعود على "ما" أو على "بعض"، أو على "التبليغ والتكذيب" ... "وإن يقولوا" في موضع نصب، أي كراهية أن يقولوا أو لئلا يقولوا، كقوله: "يبين الله لكم أن تضلوا" أي لئلا تضللوا").[51] وقوله: "ضائق" ولم يقل فيها ضيق لنا، وذلك في مبحث آخر حيث تكون دلالة الصرف.

ونعود إلى الإمام الرازي لنعرف معنى "كنز من السماء" كيف ينزل الكنز؟ إذ يقول: "قلنا المراد ما يكنز وجرت العادة على أنه يسمى المال الكثير بهذا الاسم).[52] وقوله: "أو جاء معه ملك" يصدقه ويُبين لنا صحة رسالته.[53]

ثم نأتي إلى قوله تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يقول الرازي: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾ احتمل أن يكون المراد أن الكفار لم يستجيبوا في المعارضة لتعذرها عليهم، واحتمل أنّ من يدعونه من دون الله لم يستجيبوا، فلهذا السبب اختلف المفسرون على قولين: فبعضهم قال: هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين).[54] إلى أن يقول: "والمراد أن الكفار إن لم يستجيبوا لكم في الإتيان بالمعارضة، فاعلموا أنما أنزل بعلم الله، والمعنى فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه".[55] وبعد ذلك

(48) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(49) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(50) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(51) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 9/ 12، والشاهد القرآني الآية 176 من سورة النساء.

(52) مفاتيح الغيب: للرازي، 17/ 194.

(53) ينظر: فتح القدير، 2/ 486.

(54) مفاتيح الغيب، للرازي، 17/ 196.

(55) مفاتيح الغيب، 17/ 196.

يقول: "فهل أنتم مسلمون" أي فهل أنتم مخلصون، ومنهم من قال فيه إضمار والتقدير، فقولوا أيها المسلمون للكفار اعلموا أنما أنزل بعلم الله".[56] وقوله: "فإن لم يستجيبوا لكم" ولم يقل "لك"، فقيل: هو على تحويل المخاطبة من الإفراد إلى الجمع تعظيما وتفخيما.[57] ونلاحظ في تفسير أبي السعود قوله في: "وأن لا إله إلا هو" أي: واعلموا أيضا أن لا شريك له في الإلوهية وأحكامها، ولا يقدر على ما يقدر عليه أحمد".[58]

أما في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ والدلالة في هذه الآية ترتبط بالآية التي قبلها وهي قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ قد ورد عند الشوكاني تفسيرَ لهذه الآية، فقال: "حَبِطَ ما عملوا من خَيْرٍ وبَطل الآخرة، ليس لهم فيها جزاء. وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن مجاهد في الآية قال هم أهل الرّياء".[59]

وننتقل إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾

يقول الرازي: "اعلم أنه تعالى قد بدأ بذكر هذه القصة في سورة يونس وقد أعادها في هذه السورة أيضا لما فيها من زوائد الفوائد وبدائع الحِكَم".[60] وقال أيضا: "المراد من النذير كونه مُهدِّداً بالعاب، ومن المبين كونه ما أعَدَّ اللهُ للمطيعين من الثّواب، والأولى أَنْ يكونَ المعنى أنه نذير للعصاة من العقاب وأنه مبين بمعنى أنه بيَّنَ ذلك الإنذار على طريق الأكمل، والبيان الأقوى الأظهر".[61] وبعد أن بين الإنذار والبيان يشرع في توضيح غرض هذا الإنذار، والبيان فيقول: "ثم بيّن تعالى: أن ذلك الإنذار إنما حصل في النهي عن عبادة غير الله، وفي الأمر بعبادة الله؛ لأن قوله: "أن لا تعبدوا إلا الله" استثناء من النفي وهو يوجب نفي غير المستثنى".[62]

ويقول: "اعلم أنَّ تقدير الآية كأنه تعالى قال: ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه بهذا الكلام، وهو قوله: "إني لكم نذير مبين".[63] وبعد ذلك يشرع في تفسير قوله:

(56) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(57) الجامع لأحكام القرآن، 9/ 13.

(58) إرشاد العقل السليم لأبي السعود، 3/ 192.

(59) فتح القدير، للشوكاني، 2/ 489.

(60) مفاتيح الغيب، للرازي، 17/ 210.

(61) مفاتيح الغيب، 17/ 210

(62) مفاتيح الغيب، 17/ 210

(63) مفاتيح الغيب، 17/ 210

"أن لاَ تَعْبُدوا إلاَّ اللـه" فيقول: فقوله: "أن لا تعبدوا إلا الله" بدل من قوله: "إني لكم نذير" ثم أكد ذلك بقوله: "إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم "والمعنى: أنه لما يحصل الألم العظيم في ذلك اليوم أسند ذلك الألم إلى اليوم كقولهم نهارك صائم وليلك قائم.[64]

وفي تتبعنا لهذه الآيات نأخذ قوله عز وجل: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ يظهر الاستثناء في هذه الآية بـ"إلا" ولكن يجب توضيح المعنى لهذه الآية فيقول الرازي فيها: اعلم أنه تعالى لما حكى عن نوح عليه السلام أنه دعا قومه إلى عبادة الله تعالى حكى عنهم أنهم طعنوا في نبوته بثلاثة أنواع من الشبهات.[65] ويذكر أنواع هذه الشبهات فيقول: فالشبهة الأولى أنه بشر مثلهم والتفاوت الحاصل بين أحاد البشر يمتنع انتهاؤه إلى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة لجميع العالمين.[66] والشبهة الثانية: كونهما اتبعه إلا أراذل القوم كالحاكة وأهل الصنائع الخسيسة قالوا لو كنت صادقاً لاتبعك الأكياس من الناس، والأشراف منهم، ونظيره قوله تعالى في سورة الشعراء الآية (111)﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾.

والشبهة الثالثة: قوله تعالى "وما نرى لكم علينا من فضل" ومعنى، لا نرى لكم من فضل لا في العقل ولا في الرعاية والمصالح العاجلة، ولا في قوة الجدل، فإذا لم نشاهد فضلك علينا في شيء من هذه الأحوال الظاهرة، فكيف نتعرف بفضلك علينا من أشرف الدرجات وأعلى المقامات.[67]

وقوله تعالى: "فقال الملأ" قال أبوإسحق الزجاج، الملأ: الرؤساء، أي هم مليئون بما يقولون "..." وما "ما نراك إلا بشرا" أي آدميا "مثلنا" نصب على الحال و"مثلنا" مضاف إلى معروف، وهو نكرة يقدر في التنوين.[68] والمدقق في هذه الآية يجد فائدة الاستثناء واضحة جليه فهي تفيد الحال: ما نراك إلا بشرا، أي حالك بشراً مثلنا ثم ننتقل إلى قوله ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا" قال الشوكاني: لم يتبعك أحد من الأشراف فليس لك مزية علينا باتباع هؤلاء الأراذل: الفقراء والذين لا حسب لهم، والحسب الصناعات، قال الزجاج نسبوهم إلى الحياكة، ولم يعلموا أن الصناعات لا آثر لها في الديانة.[69] وسوف نتبع دلالات

(64) مفاتيح الغيب، 17/ 212.

(65) المصدر نفسه، 17/ 211

(66) المصدر نفسه، 17/ 211.

(67) مفاتيح الغيب، للرازي: 17/ 211.

(68) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 9/ 22 - 23.

(69) فتح القدير، للشوكاني، 2/ 493.

ومعاني بعض مفردات هذه الآية مثل الملأ، والأراذل، فيكون لنا فيها حديث. ويذكر أبوالسعود قوله: وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي أي ظاهرة من غير تعمق من البدو، أو في أوله من البدو، والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها، وقد قرأ أبو عمرو بها، وانتصابه على الظرفية على حذف المضاف أي وقت حدوث بادي الرأي، والعامل فيه اتبعك.[70] وقوله:" وما نرى لكم علينا من فضل" أي في اتباعه، وهذا جحد منهم لنبوته صلى الله عليه وسلم.[71] وقول في تمام الآية: "بل نظنكم كاذبين "الخطاب لنوح ومن آمن معه. [72]

ثم بعد ذلك ننتقل إلى قوله تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالا إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾.

يقول الرازي: " اعلم أن هذا هو الجواب عن الشبهة الثانية، وهي قولهم لا يتبعك إلا الأراذل من الناس، وتقرير هذا الجواب من وجوه".[73] ثم يذكر هذه الوجوه فيقول: " والوجه الأول أنه عليه الصلاة والسلام قال أنا لا أطلب على تبليغ دعوة الرسالة مالاً حتى يتفاوت الحال بسبب المستجيب فقيراً أو غنياً، وإنما أجري على هذه الطاعة الشاقة على ربَ العالمين، وإذا كان الأمر كذلك فسواء كانوا فقراء أو أغنياء لم يتفاوت الحال من ذلك"[74] ويذكر بعد ذلك الوجه الثاني فيقول: "كأن عليه الصلاة والسلام قال لهم إنكم نظرتم إلى ظواهر الأمور وجدتموني فقيراً "..." فإني لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً إن أجري إلا على رب العالمين".[75]

أما الوجه الثالث ففيه يقول: " في تقرير هذا الجواب أنهم قالوا "ما نراك إلا بشراً مثلنا" إلى قوله: "ما نرى لكم علينا من فضل "فهو عليه السلام بين أنه تعالى أعطاه أنواعاً كثيرة توجب فضله عليهم، ولذلك لم يسعَ في طلب الدنيا، وإنما يسعى في طلب الدين والإعراض عن الدنيا من أمهات الفضائل باتفاق الكل، فلعل المراد تقرير حصول الفضيلة من هذا الوجه".[76] وفي تكملة تفسير آية الاستثناء هذه يطالعنا الرازي في تفسير قوله تعالى: "وما أنا بطارد الذين آمنوا" فيقول: "هذا كالدليل على أن القوم سألوه طردَهم رفعاً لأنفسهم عن مشاركة أولئك الفقراء "..." وقوله تعالى حكايةً عنهم إنهم قالوا ما نراك

(70) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود 3/ 200 – 201.

(71) الجامع لأحكام القرآن، 9/ 24.

(72) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(73) مفاتيح الغيب، للرازي، 17/ 215.

(74) مفاتيح الغيب، 17/ 215.

(75) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(76) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

اتَبعكَ إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي كالدليل على أنهم طلبوا منه طردهم؛ لأنه كالدليل على أنهم كانوا يقولون لو اتبعك لوافقناهم، ثم إنه تعالى حكى عنه أنه ما طردهم".[77] ثم ننتقل إلى قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَالَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾حديثنا في هذه الآية عن الحصر الذي يفيد الاستثناء في قوله تعالى: "إنما يأتيكم به اللهُ إن شاء وَمَا أنتم بمعجزينَ" والمعنى إن إنزال العذاب ليس إلا وإنما هو خلق الله تعالى فيفعله إن شاء الله كما يشاء، وإذا أراد إنزال فإن أحداً لا يعجزه أي لا يمنعه مِنه، والمعجز هو الذي يفعل ما عنده لتعذر مراد الغير فيوصف بأنه أعجزه.[78] وقد ورد "وما أنتم بمعجزين" أي لا سبيل لكم إلى فعل ما عنده، فلا يمتنع على الله تعالى ما يشاء من العذاب إن أراد إنزاله بكم.[79]

وقيل معنى "وما أنتم بمعجزين" أي مانعين، وقيل: ما أنتم بمصونين. وقيل: ما أنتم بسابقين إلى الخلاص، ونضيف أي بفئتين وقيل بالغالبين بكثرتكم لأنهم أعجبوا بذلك.[80] وقد ذكر أبوالسعود قوله تعالى: "وما أنتم بمعجزين" بالهرب أو بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام.[81]

وما زالت قصة سيدنا نوح – عليه السلام – عبر هذه الآيات مستمرة فنأخذ قوله عز وجل: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ هذا الخطاب إلى سيدنا نوح – عليه السلام – ومعنى "لن يؤمن" إقناط من إيمانهم، وأنه كالمحال الذي لا تعلق به للواقع "إلاَّ من قد آمن" إلا من وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه، والمعنى المراد من هذه الآية فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك ومعاداتك.[82]

وأنشد أبو عبيدة قائلا:

ما يقسم الله أقْبل غير مبتئس به واقعد كريماً ناعم البالِ

أي غير حزين ولا كاره.[83]

وقد ورد في قوله تعالى: "وأنه لَنْ يُؤمِنَ" يقرأُ بفتح الهمزة، وإنه في موضع رفع بأوحى، ويُقرأ بكسرها، والتقدير قيل أنه وهو المرفوع بأوحى. وقوله تعالى: "إلا

(77) مفاتيح الغيب، 17/ 215.

(78) المصدر نفسه، 17 /218.

(79) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(80) ينظر: المصدر نفسه، 17/ 218، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 9/ 28.

(81) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، 3/ 204.

(82) ينظر: الكشاف، للزمخشري، 2/ 268.

(83) مفاتيح الغيب، للرازي، 17/ 221.

من قد آمن" استثناء من غير الجنس في المعنى، وهو فاعل "لن يؤمن".[84] وحينما نرجع إلى تفسير القرطبي فنجده يذكر في قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ "أنه" في موضع رفع على أنه اسم ما لم يُسمَّ فاعله. ويجوز أن يكون في موضع نصب، ويكون التقدير بـ "أنه" و"آمن" في موضع نصب بـ "يؤمن"، ومعنى الكلام: ألاّ ييأس من إيمانهم، واستدامة كفرهم تحقيقا لنزول الوعيد بهم).[85] وقوله تعالى: "فلا تبتئس بما كانوا يفعلون" أي: فلا تغتم بهلاكهم حتى تكون بائسا، أي حزيناً. والبؤس: الحزن. [86]

ثم بعد ذلك نتناول قوله تعالى في الآية الآتية، حيث ورد فيها الاستثناء في موضعين، قال تعالى:﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

وعندما نتتبع الدلالة النحوية في هذه الآية نجد أنّ المفسرين قد اختلفوا في نوع الاستثناء، أهو متصل أو منقطع، وذلك بحسب المعاني التي تدل عليه في سياق الآية.

يقول الزمخشري في تتبعه لمعاني الآية والعلاقات النحوية فيها: "حتى" هي التي يبتدأ بعدها الكلام، دخلت على الجملة من الشرط والجزاء. فإن قلت: وقعت غاية لماذا؟ قلت: لقوله: "ويصنع الفلك" أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد، فإن قُلتَ: فإذا اتصلت حتى بـ يصنع فما تصنَعُ بما بينهما من الكلام؟.[87] ثم بعد ذلك يُجيب صاحب الكشاف بأسلوبه الذي اتخذه في تفسيره ومن أماراته أن يتخيل مناظرة بين اثنين تدور في سؤال وجواب مما يقرب آراءه إلى إفهام الناظر في كتابه، فيقول: قلت: هو حال من يصنع كأنه قال: يصنعها، والحال أنّهُ كلما مرَّ عليه ملأٌ من قومه سخروا مِنْه، فإن قلت: فما جواب كلما؟ قلت: أنت بين أمرين: إما أن تجعل سخروا جواباً، وقال استئنافاً على تقدير سؤال سائل، أو تجعل سخروا بدل مر أو صفة لملأ وقال جواباً ثم يستمر في بسط الدلالات النحوية في هذه الآية فيقول: "وأهلك" عطف على اثنين، وكذلك "ومن آمن"، يعني واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله من سبق عليه القول أنه من أهل النار.[88]

وقد خاض المفسرون في دلالة الاستثناء الفكرية، وسنعرض لها في مكانها

(84) التبيان في إعراب القرآن، 797.

(85) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 9/ 29.

(86) المصدر نفسه، 9/ 30.

(87) الكشاف، للزمخشري، 2/ 269.

(88) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

من البحث، ونواصل هنا دراسة الدلالات النحوية والمعنوية وما يفيده الاستثناء ونوعه في الكشف عن المعاني النحوية، فيطالعنا أبوالسعود في قوله: (الاستثناء منقطع إن أريد بالأهل، الأهل إيمانا، وهو الظاهر كما سنعرفه، أو متصل إن أريد به الأهل قرابة، ويكفي في صحة الاستثناء المعلومة عند المراجعة إلى أحوالهم، والتفحص عن أعمالهم.[89]

ثم بعد ذلك نستعرض المواد من قوله تعالى: "وأهلك" عند سوى من ذكرنا المفسرين: والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم" إلا من سبق عليه القول "أي من تقدم الحكم عليه بأنه من المغرقين في قوله تعالى: ﴿وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ على الاختلاف السابق فيهم، فمن جعلهم جميع الكفار من أهله وغيرهم كان هذا الاستثناء من جملة واحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك، ومن قال المراد بهم ولده كنعان وامرأته واعله أم كنعان، جعل الاستثناء، من أهلك، ويكون متصلاً إن أريد بالأهل ما هو أعم من المسلم والكافر منهم، ومنقطعاً إن أريد بالأهل المسلمون منهم فقط: قوله: "ومن آمن" معطوف على أهلك: أي واحمل في السفينة ومن آمن من قومك، وأفرد الأهل منهم لمزيد العناية بهم، أو للاستثناء منهم على القول الآخر.[90] ونتبع تمام الآية في قول القرطبي: "وما آمن معه إلا قليل" قال: (ابن عباس رضي الله عنهما آمن من قومه ثمانون إنساناً، منهم ثلاثة من بنيه سام وحام ويافث. [91]

وبعد ذلك يذكر: وقال ابن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم، نوح وبنوه سام وحام ويافث، وستة أناس ممن كان آمن به، وأزواجهم جميعا. و"قليل "رفع بآمن، ولا يجوز نصبه على الاستثناء؛ لأن الكلام قبله لم يتم إلا أن الفائدة في دخول "إلا" و"ما"؛ لأنك لو قلت: آمن معه فلان وفلان، جاز أن يكون غيرهم قد آمن، فإذا جئت بما" و"إلا" أَوْجَبْتَ لما بعد إلا ونفيت عن غيرهم). [92] ومن هنا يتبين لنا فضل أداة الاستثناء في إيضاح المعنى في هذا الاستثناء المفرغ، أما لفظة "تنور" فقد وردت فيها معاني وتفسيرات عدة لدى بعضهم ولكن سنتناولها في مكانها من البحث.[93]

ونأتي إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ يذكر الزمخشري في قوله تعالى: "إلا من رحم" وهي موضع الاستثناء هنا فيقول: إلا

(89) إرشاد العقل السليم، 3/ 208.

(90) فتح القدير، للشوكاني، 2/ 498 - 499.

(91) الجامع لأحكام القرآن، 9/ 35.

(92) الجامع لأحكام القرآن، 9/ 35.

(93) ينظر: فصل الدلالات الأخرى من هذا البحث.

الراحم وهو الله تعالى، أو لا عاصم اليوم من الطوفان إلا من رحم الله: أي إلا ما كان من رحم الله من المؤمنين، وكان لهم غفوراً رحيماً، في قوله: "إن ربي لغفور رحيم" وذلك أنه لما جعل الجبل عاصماً من الماء قال له: لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم: يعني السفينة.(94) ثم بعد ذلك يقول: وقيل: إلا من رحم استثناء منقطع كأنه قيل: ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ وقرئ "إلا من رحم" على البناء للمفعول.(95)

ونذكر قول صاحب الإنصاف فيما تضمنه الكشاف فيقول في قوله تعالى: "لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم" قال: المراد: إلا الراحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم ... الخ .... قال أحمد: والاحتمالات الممكنة أربعة: لا عاصم إلا راحم ولا معصوم إلا مرحوم ولا عاصم إلا مرحوم ولا معصوم إلا راحم، فالأولان استثناء من الجنس، والآخران من غير جنس.(96) ثم يذكر قول الزمخشري حيث يقول: وزاد الزمخشري خامساً، وهو لا عاصم إلا مرحوم على أنه من الجنس بتأويل حذف المضاف تقديره لا مكان عاصم إلا مكان مرحوم، والمراد بالنفي التعريض بعدم عصمة الجبل، وبالمثبت التعريض بعصمة السفينة، الكل جائز، وبعضها أقرب من بعض.(97)

أما الزاوي فيذكر في قوله تعالى: ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إلا مَنْ رَحِمَ﴾ قوله :وفيه سؤال، وهو أن الذي رحمه الله معصوم، فكيف يحسن استثناء المعصوم من العاصم وهو قوله: "لا عاصم ..."الآية"، وذكروا في الجواب وجوهاً كثيرة. (الوجه الأول)، أنه قال قبل هذه الآية: "﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنّ رَبّى لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فبين أنه تعالى رحيم، وأنه برحمته يخلص هؤلاء الذين ركبوا السفينة من آفة الغرق.(98)

ثم بعد ذلك ذكر مستوفياً ما كان قد بينه فيقول: إذا عرفت هذا فنقول :إن ابن نوح عليه السلام لما قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، قال نوح عليه السلام أخطأت ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ والمعنى: إلا ذلك الذي ذكرت أنه برحمته يخلص هؤلاء من الغرق فصار تقدير الآية: لا عاصم اليوم من عذاب الله إلا الله الرحيم، وتقديره: لا فرار من الله إلا إلى الله "..."وهذا

(94) الكشاف، للزمخشري، 2 /270 – 271.

(95) الكشاف، 2/ 270 – 271. والشاهد القرآني سورة النساء من الآية (157).

(96) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف، للإمام ناصر الدين أحمد،270 – 271.

(97) المصدر نفسه، 271.

(98) مفاتيح الغيب، للرازي، 17/ 232 – 233.

تأويل في غاية الحسن).[99] ثم يذكر (الوجه الثاني)، فيقول: (في تأويل "...." أن هذا الاستثناء وقع من مضمر هو في حكم الملفوظ لظهور دلالة اللفظ عليه، والتقدير: لا عاصم اليوم لأحد من أمر الله إلا من رحم).[100] أما (الوجه الثالث)، فيقول فيه: في التأويل أن قوله: "لا عاصم" أي لاذا عصمة، كما قالوا رامح ولابن، ومعناه ذو رمح، وذو لبن "..." ومعناه ما ذكرنا فكذا هاهنا، وعلى هذا التقدير: العاصم ذو العصمة، فيدخل فيه المعصوم، وحينئذ يصح استثناء قول: "إلا من رحم" منه.[101] ويذكر (الوجه الرابع)، فيقول :قوله: "لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم" عني بقوله إلا من رحم نفسه؛ لأن نوحاً وطائفته هم الذين خصهم الله تعالى برحمته، والمراد: لا عاصم لك إلا الله بمعنى أن سببه تحصل رحمة الله.

(الوجه الخامس)، أن قوله: "إلا من رحم" استثناء منقطع، والمعنى لكن من رحم الله معصوم، ونظيره قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾.[102] ونضيف "إلا من رحم" في موضع نصب استثناء ليس من الأول أي: لكن من رحمه الله فهو يعصمه قاله الزجاج، ويجوز أن يكون في موضع رفع، على أن عاصماً بمعنى معصوم.[103] وقد ورد الخلاف في وجوه الاستثناء: هل هو منقطع أو متصل، وتقدير المعنى وما يحتمله في كلا الحالتين فيقول صاحب التبيان في قوله تعالى: "لا عاصم اليوم" فيه ثلاثة أوجه:

الأول: هو استثناء متصل: "ومن رحم "بمعنى الراحم، أي: لا عاصم إلا الله، والثاني: أنه منقطع، أي: لكن من رحمه الله يعصم، والثاني: أن عاصماً بمعنى معصوم مثل﴿ ماء دافق﴾أي مدفوق فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا، أي إلا من رحمه الله، والثالث: أن عاصماً بمعنى "ذو عصمه" على النسب مثل حائض، وطالق، والاستثناء على هذا متصل أيضا.[104] ونحن بهذا نكون قد استوفينا الآية بما يوضح المعنى. وأثر الاستثناء في الدلالة عليه، وممن ذكروا تفصيلاً في هذه الآية الشوكاني في تفسيره، ولكننا نخشى الإطالة.[105]

وننتقل إلى الآيتين اللتين تليان هذه الآية وقد ورد فيهما الاستثناء بـ إلا وغير، وسوف نتناولهما معاً؛ لأن المعنى شبه مرتبط، ونحن نربط دلالة النحو بدلالة المعنى كما هو متبع في بحثنا هذا قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ

(99) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(100) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(101) المصدر نفسه، 17/ 233.

(102) مفاتيح الغيب، للرازي، 17/ 233، النساء، الآية 157.

(103) الجامع لأحكام القرآن، 9/ 39.

(104) التبيان في إعراب القرآن، 2/ 700.

(105) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، 2/ 500.

ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ۝ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ **يقول الزمخشري في هاتين الآيتين: ("أخاهم" واحداً منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا "نوحاً" و"هوداً" عطف بيان، و"غير" بالرفع صفة على محل الجار والمجرور، وقرئ "غيرِه" بالجر صفه على اللفظ "إن أنتم إلا مفترون" تفترون على الله الكذب باتخاذهم الأوثان له شركاء، ما من رسول إلا وجه قومه بهذا القول؛ لأن شأنهم النصيحة، والنصيحة لا يمحصها ولا يمحضها إلا حسم المطامع، وما دام يتوهم شيئاً منها لم تنجع، ولم تنفع "أفلا تعقلون" إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجراً إلا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك.[106] وقد ورد في قول الرازي: اعلم أن هذه هي القصة الثانية من القصص التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة، اعلم أن هذا معطوف على قوله: "لقد أرسلنا نوحا" والتقدير: ولقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هودا، وقوله: "هودا" عطف بيان.[107] وحينما نتأمل قليلاً في تفسير القرطبي نراه يقول في تفسير معنى عاد: هم عادان: عاد الأولى وعاد الأخرى، فهؤلاء هم الأولى، وأما الأخرى فهو شداد ولقمان المذكوران في قوله: "ارم ذات العماد".[108]**

أما قوله تعالى: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ **يقول الزمخشري في تفسيره "اعتراك "مفعول نقول وإلا لغو، والمعنى: ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء: أي خبلك ومسك بجنون لسبك إياها وصدك عنها، وعداوتك لها مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء، فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من أولئك أن يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد أعلام الكفر، وأوتاد الشرك، وإنما العجب من قوم من المتظاهرين بالإسلام.[109] وقد ذكر صاحب الإنصاف فيما تضمنه الكشاف في تكملة الآية وهي قوله تعالى** ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ **قال: (فإن قلت: (هلا قيل اشهد الله وأشهدكم ..الخ)، قال أحمد وتلخيص ما قاله أن صيغة الخبر لا تحتمل سوى الإخبار بوقوع الاستشهاد منه، فلما كان إشهاده لله واقعاً تحقيقاًعبر عنه بصيغة الخبر؛ لأنه إشهاد صحيح ثابت).[110]**

وننتقل بعد ذلك إلى تفسير أبي السعود حيث يقول في هذه الآية التي بين

(106) الكشاف، للزمخشري، 2/ 275.

(107) مفاتيح الغيب، للرازي، 18 /9.

(108) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي 9/ 50، والشاهد القرآني سورة الفجر الآية (7).

(109) الكشاف، للزمخشري، 2/ 275 - 276.

(110) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، للإمام ناصر الدين أحمد، 275 - 276.

أيدينا فقال: "إن نقول إلا اعتراك" أي: ما نقول إلا قولنا اعتراك أي أصابك "بعض آلهتنا بسوء" بجنون لبسك إياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الألوية والعبودية "..." وإلا لغو لأن الاستثناء مفرغ.[111]

ثم ننتقل إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ذكر الزمخشري قوله: (كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه، والأخذ بنواصيها "..." إن ربي على صراط مستقيم، يريد أنه على الطريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم، ولا يضيع عنده معتصم به.[112] وذكر الرازي قوله: في قوله تعالى: "ما من دآبة إلا هو آخذ بناصيتها" يدل على التوحيد وقوله: "إن ربي على صراط مستقيم" يدل على العدل فثبت أن الدين إنما يتم بالتوحيد والعدل.[113]

ونستعرض معاني هذه الآية حيث يقول فيها القرطبي: ("ما من دآبة" أي نفس تدب على الأرض ،وهو في موضع رفع بالابتداء، "إلا هو آخذ بناصيتها" أي يصرفها كيف يشاء ويمنعها مما يشاء).[114]

هذه هي الدلالات المعنوية العامة للاستثناء، وهناك دلالات لغوية سوف تنال مكانها من البحث وقد ورد في تتبع القرطبي للآية قوله: ("مَا مِنْ دَابَّةَ إلاَّ هُوَ آخذ بناصيتها" وجهه عندنا أن الله تعالى قدر مقادير أعمال العباد، ثم نظر إليها، ثم خلق خلقه، وقد نفذ بصره في جميع ما هم فيه عاملون من قبل أن يخلقهم، فلما خلقهم وضع نور تلك النظرة في نواصيهم).[115]

وبعد ذلك نأخذ قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾.

قال الرازي في هذه الآية: (اعلم أن هذه هي القصة الثالثة من القصص المذكور في هذه السورة، وهي قصة صالح مع ثمود).[116] أما القرطبي فقد ذكر في قوله تعالى: ("هو أنشأكم من الأرض" أي ابتدأ خلقكم من الأرض، وذلك أن آدم خلق من الأرض"...." ولا يجوز إدغام الهاء من "غيره" في الهاء من "هو" إلا على لغة من حذف الواو في الإدراج، "واستعمركم فيها" أي جعلكم عمارها وسكانه).[117]

(111) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، 3/ 217.

(112) الكشاف، للزمخشري، 2/ 277.

(113) مفاتيح الغيب، للرازي، 18 /13.

(114) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 9/ 52.

(115) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(116) مفاتيح الغيب، للرازي، 18 / 16.

(117) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 9/ 56.

وسنتناول فيما بعد المعنى اللغوي والدلالي لقوله تعالى: "واستعمركم فيها"[118] ونتتبع هذه الآية مستوفين معناها من الشوكاني حيث يقول: ("فاستغفروه" أي سلوه المغفرة لكم من عبادة الأصنام "ثم توبوا إليه" أي: ارجعوا إلى عبادته "إن ربي قريب مجيب"، أي قريب الإجابة لمن دعاه).[119]

وبعد ذلك نأخذ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾.

يقول الزمخشري في هذه الآية: ("إن كمن على بينة من ربي" بحرف الشك وكان على يقين أنه على بينة؛ لأن خطابه للجاحدين).[120] ويذكر القرطبي في بقية الآية: ("فمن ينصرني من الله إن عصيته" استفهام معناه النفي، أي لا ينصرني منه إن عصيته أحد).[121] ويسترسل في تفسير بقية الآية فيقول: ("فما تزيدونني غير تخسير" أي: تضليل وإبعاد من الخير، قاله الفراء، والتخسير لهم لا له صلى الله عليه وسلم كأنه قال: غير تخسير لكم لا لي).[122] ويذكر صاحب التبيان أن قوله الذي يبين قوة الاستثناء حيث يقول: ("غير تخسير" الأقوى في المعنى أن يكون "غير" هنا استثناء في المعنى، وهو مفعول ثان لتزيدونني، أي فما تزيدونني إلا تخسيراً، ويضعف أن تكون صفة لمحذوف، إذ التقدير: فما تزيدونني شيئا غير تخسير، وهو ضد المعنى).[123]

ونجد في حال الانتقال إلى قول تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾

أول ما يطالعنا قول الزمخشري في هذه الآية: ("إنا رُسلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلوُا إلَيكَ" فافتح الباب، ودعنا إياهم، ففتح الباب فدخلوا، فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له "..." فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى: "فطمسنا أعينهم" فصاروا لا يعرفون الطريق، فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء، فإن في بيت لوط قوماً سحرة، لن يصلوا إليك جمله موضحة للتي قبله؛ لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره).[124] ويذكر قراءة الفعل "أسر" وقراءة المستثنى مِنْهُ وهو "امرأتك" حيث يقول: (قرئ "فاسر"

(118) ينظر: مبحث الدلالات الأخرى.

(119) فتح القدير، للشوكاني، 2/ 507.

(120) الكشاف، للزمخشري، 2/ 278 – 279.

(121) الجامع لأحكام القرآن، 9/ 59.

(122) الجامع لأحكام القرآن، 9/ 60 – 61.

(123) التبيان في إعراب القرآن . 2/ 710.

(124) الكشاف، الزمخشري2\ 284، والشاهد القرآني سورة القمر، الآية (37).

بالقطع والوصل، و"إلا امرأتك" بالرفع والنصب).[125] وسنتناول القراءة ومدى تأثيرها في تغير نوع الاستثناء وأثر هذا النوع في فهم المعنى الأعرابي للآية.

ونذكر ما ورد في قول الرازي حيث قال: (من النصب وهو الاختيار فقد جعلها مستثناة من الأهل على المعنى: فأسر بأهلك إلا امرأتك "..." وأما عند الذين رفعوا، فيكون التقدير: "ولا يلتفت منكم أحدُ إلا امرأتك" فإن قيل: لا يقم منكم أحد إلا زيد كان ذلك أمر لزيد بالقيام، وأجاب أبوبكر الأنباري عنه فقال: معنى "إلا" هاهنا الاستثناء المنقطع على معنى، ولا يلتفت منكم أحد، لكن امرأتك تلتفت فَيُصيبُها ما أصابهم، وإذا كان هذا الاستثناء منقطعاً كان التفاتها معصية ويتأكد ما ذكرنا بما روى عن قَتادة أنه قال: إنما كانت مع لوط حين خرج من القرية، فلما سمعت هذا العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأصابها حجر فأهلكها).[126]

ثم يواصل حَدَيثُه وبيان قوة القراءة بالرفع والنصب وما يترتب عليهما في بيان نوع الاستثناء حيث يقول: (واعلم أن القراءة بالرفع أقوى؛ لأن القراءة بالنصب تمنع من خروجها مع أهله لكن على هذا التقدير الاستثناء يكون من أهل كأنه أمر لوطاً أن يخرج بأهله ويترك هذه المرأة فإنها هالكة مع الهالكين، وأما القراءة بالنصب فإنها أقوى من وجه أخر وذلك لأن مع القراءة بالنصب يبقى الاستثناء متصلا، ومع القراءة بالرفع يصير الاستثناء منقطعاً).[127] وقد ورد في قول الصاحب التبيان "إلا امرأتك" يقرأ بالرفع على أنه بدل من أحد، والنهي في اللفظ لأحد، وهو في المعنى لوط، أي لا تمكن أحداً منهم في الالتفات، إلا امرأتك، ويقرأ بالنصب على أنه استثناء واحد، أو من أهل).[128] وقد ورد في تفسير الشوكاني إيضاح لدلالة الفعل "يلتفت "وأثرها في توجيه معنى الاستثناء: "ولا يلتفت منكم أحد" أي: لا ينظر أو يشتغل بما خلفه من مال أو غيره، قيل وجه النهي عن الالتفات أن لا يروا عذاب قومهم، وقول ما نزل بهم فيرحمهم ويرق لهم، أو لِئلاً ينقطعوا عن السير المطلوب منهم بما يقع من الالتفات فإنهُ لابد للملتفت من فترة في سيره).[129]

ثم ننتقل إلى قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾.

(125) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(126) مفاتيح الغيب، الرازي، 18/ 36.

(127) المصدر نفسه،18/ 36 – 37.

(128) التبيان في إعراب القرآن، 2/ 710.

(129) فتح القدير، للشوكاني، 2 /515.

لقد ذكر الرازي في تفسير: (اعلم أن هذه القصة السادسة من القصص المذكورة في هذه السورة واعلم أن مدين اسم ابن إبراهيم عليه السلام، ثم صار اسماً للقبيلة، وكثير من المفسرين يذهب إلى أن مدين اسم مدينة بناها مدين بن إبراهيم عليه السلام، والمعنى على هذا التقدير: وأرسلنا إلى أهل مدين فحذف الأهل).[130]

وأما قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ فقد سبق وفسرناه في أول تناولنا الاستثناء، وهذه الجملة مستأنفه، كأنه قيل: ماذا قال لهم شعيب لما أرسله الله إليهم؟ وقد كان شعيب عليه السلام يسمى خطيب الأنبياء وأمرهم بعبادة الله سبحانه وتعالى ونهاهم أيضاً عن أن ينقصوا المكيال والميزان؛ لأنهم كانوا مع كفرهم أهل تطفيف، كانوا إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيلٍ زائد، وكذلك إذا وصل إليهم الموزون بوزن زائد، وإذا باعوا باعوا بكيل ناقص ووزن ناقص.[131] وقوله تعالى : "إني أراكم بخير" أي ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك أو بنعمة من الله تعالى :"..." "و"إني أخاف عليكم" إن لم تنتهوا عن ذلك "عذاب يوم محيط" لا يشذ منه شاذ منكم، وقيل عذاب يوم مهلك).[132]

وبعد ذلك نأخذ الآيتين الأخيرتين من هذه السورة وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ(118) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

يقول الزمخشري فيهما: "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة " يعني لاضطرهم إلى أن يكونوا أهل أمة واحدة: أي ملة واحدة وهي ملة الإسلام كقوله تعالى: "إن هذه أمتكم أمة واحدة" وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار، وأنه لم يضطرهم إلى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل، فاختلفوا، فلذلك قال: "ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك" إلا ناساً هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه).[133] والقرطبي يقول: "ولا يزالون مختلفين" أي على أديان شتى، قالها مجاهد وقَتادة "إلا من رحم ربك" استثناء منقطع، أي: لكن من رحم ربك بالإيمان والهدى فإنه لم يختلف، وقيل: مختلفين في الرزق، فهذا غني وهذا فقير.[134] ويذكر صاحب التبيان في قوله تعالى: "إلا من رحم"

(130) مفاتيح الغيب، للرازي، 18 /40.

(131) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، 2/ 518.

(132) إرشاد العقل السليم، 3/ 231.

(133) الكشاف، للزمخشري، 2/ 298، وينظر: إرشاد العقل السليم 3/248، والشاهد القرآني المؤمنون (52).

(134) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 9/ 114.

قوله: (هو مستثنى من ضمير الأعلى في "يزالون" و"ذلك" يعود على الرحمة، وقيل على الاختلاف).[135] ويذكر أبوالسعود في تفسير قوله: "إلا من رحم ربك" حيث يقول: (إلا قوما قد هداهم الله تعالى بفضله إلى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه أي لم يخالفوه، وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لم يصدر من الحق والمبطل يأباه الاستثناء المذكور).[136] ويذكر الرازي في قوله تعالى: "ولذلك خلقهم" حيث يقول: فيها ثلاثة أقوال ونحن نكتفي بقوله الثاني الذي نلحظ فيه الصحة حيث يقول: فإن قيل: لو كان المراد وللرحمة خلقهم لقال، ولتلك الرحمن خلقهم ولم يقل ولذلك، قلنا: إن تأنيث الرحمة ليس تأنيثاً حقيقياً، فكان محمولاً على الفضل والغفران كقوله: ﴿هذا رحمة من ربى﴾ وقوله: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾.[137]

خاتمة

أول ما لفت انتباهنا هو استفادة النحاة من نتاج الفكر لدى علماء الإسلام في الفقه وأصوله، والكلام وآرائه، فيما يخص مصطلح الاستثناء وتطور دلالته اللغوية، فقد كان مدار البحث العلاقة بين المستثنى والمستثنى منه وبيان العلاقات وإيضاح المصطلحات التي تتقاطع مع هذه العلاقة، فقد كشف البحث أهمية الأثر الدلالي للاستثناء بشقيه، ما أفضى إلى تعدد وجوه التفسير التي تتصل بمعرفة المفسر للدلالات والسياقات المتعددة للاستثناء.

كما جرى تبيان ما للقراءات القرآنية من أثر كبير في بيان أنواع الاستثناء، وتغيير في المعنى المراد حسب اختلاف القراءة القرآنية عن غيرها، وقد بينت الأمثلة الواردة في هذه الدراسة كيف أن الوجوه الإعرابية المتعددة للاستثناء، قد أثرت على المعنى وشكلت سياقات متعددة لتفاصيل الدلالة، ما يجعل العلاقة بين النحاة والقراء والمفسرين أكثر إلحاحاً في هذا السبيل.

والله الموفق.

(135) التبيان في إعراب القرآن، 2، 718.

(136) إرشاد العقل السليم، 3/ 248.

(137) مفاتيح الغيب للرازي، 18/ 79. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 9/ 115 والشاهد القرآني الآية (98) من سورة الكهف، والآية (56) من سورة الأنعام.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، قاضي القضاة محمد بن العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت.
3. الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، الإمام ناصر الدين أحمد، مطبوع بهامش الكشاف للزمخشري، دار المعرفة بيروت، د ت.
4. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، المطبعة الخيرية، ط1، القاهرة 1306هـ .
5. التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: محمد البجاوي، دار الشام للتراث، بيروت، د ت.
6. تفسير الجلالين، لجلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي، مكتبة دار التراث، القاهرة، د ت.
7. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1، 2001.
8. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتاب العربية، بيروت، د ت.
9. شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، ط2 1996، ليبيا .
10. الصحاح للجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، لابن نصر الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، القاهرة 1956.
11. فتح القدير الجامع بن فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر، د ت.
12. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت ، 1983.
13. الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، عالم الكتب، بيروت، د ت.
14. الكشاف، الزمخشري، دار المعرفة، بيروت لبنان، د ت .
15. لسان العرب : لابن منظور جمال الدين محمد الأنصاري، طبعة بولاق، القاهرة ، د ت.
16. المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق: الشنقيطي ، ومعاونه: عبدالغني محمود، طبعة بولاق ، 1318هـ .
17. مفاتيح الغيب، الإمام الفخر الرازي، المطبعة البهية المصرية، ط1 د ت.

حق الحاضنة في مسكن الحضانة
(دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون)

إعداد : نورا فرج حمد بشير
محاضر مساعد كلية الحقوق جامعة طبرق

الاستلام 25/ 12/ 2020 القبول 12 /2/ 2021

ملخص البحث:

يتناول البحث موضوع مسكن الحضانة لعلاقته المباشرة بالواقع الاجتماعي الذي نعيشه، ولما له من آثار على المرأة الحاضنة، وعلى الطفل المحضون ونشأته بشكل كبير، وقد قمت بدراسته وفق آراء فقهاء الشريعة الإسلامية والقانون الليبي الخاص بأحوال الزواج والطلاق، وخلصت إلى النتائج الآتية:

- مسكن الحضانة من أهم الآثار المترتبة على حق الحاضنة في الحضانة.
- للحاضنة الحق في مسكن الحضانة لمدة معينة وتتحدد هذه المدة بمدة حضانة الصغير .
- اختلفت أقوال الفقهاء حول من يجب عليه توفير أجرة مسكن الحضانة ودفعها.
- الحق في مسكن الحضانة يتحقق بتحقق الشروط الواجبة للحضانة ويسقط لأسباب معينة حددها فقهاء الشريعة الإسلامية والقانون.

Research Summary:

This research deals with the issue of custody housing as a topic that has a direct relationship to the social reality in which we live, and because of its effects on the incubator, on the fostered child and his upbringing in a large way, and I studied it according to the opinions of Islamic law jurists and the Libyan law on the conditions of marriage and divorce, and concluded the following results:

• The nursery home is one of the most important implications of the right of custody.

• The incubator has the right to a nursery home for a certain period, and this period is determined by the period of custody of the young.

• The sayings of the jurists differed about who must save and pay the rent for the nursery.

• The right to a nursery home is achieved by fulfilling the necessary conditions for custody and lapses for certain reasons defined by Islamic Sharia jurists and the law.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وأشرف مبعوث للعالمين وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد...

فقد شرع الله الزواج على سبيل الدوام والبقاء، وأن يقوم على المودة والرحمة ويحقق أسمى أهدافه، وهي الاستقرار والسكينة والراحة لتكوين أسرة تساهم في بناء المجتمع، وقد تعترض الزواج مشاكل عديدة يصعب معها استمرار العلاقة الزوجية من دون شقاق وخصام يولد عنه نفور أحد الزوجين من الآخر لذا فقد أباح الدين الإسلامي الطلاق لإنهاء العلاقة الزوجية .

إلا أن الطلاق أصبح ظاهرة اجتماعية خطيرة لتفشيه في مجتمعنا بصورة كبيرة في السنوات الأخيرة، فهي ظاهرة تهدد كيان الأسرة التي اهتم بها الدين الإسلامي بجعلها الخلية الأساسية لبناء المجتمع، ومن أهم المشاكل التي تنجم عن الطلاق هي تربية الأبناء ورعاية شؤونهم وصيانة حقوقهم إذ يحرم الطفل من رعاية الأب والأم له معاً.

ولعناية الدين الإسلامي والمشرع الليبي بتربية الأولاد ورعايتهم ، فقد أُقرت أحكام الحضانة ، وتعد الحضانة من أكثر المسائل التي ينظر فيها القاضي تعقيداً، وعادةً ما تكون النزاعات حول الآثار المترتبة عن الحضانة وهي أجرة الحضانة، ومسكن الحضانة، فممارسة الحضانة تقتضي من الحاضنة بذل جهود ماديةً ومعنوية تستحق معها أجرةً على ذلك، وتربية المحضون تقتضي أن يكون هناك مسكن يعيش فيه المحضون تحت رعاية الحاضنة .

فمسكن الحضانة من أهم الآثار المترتبة عليها، ومن أعقد المسائل التي تعرض على القضاء، ويعد من الموضوعات الحيوية التي تشكل أهمية كبيرة نظراً لكثرة وقوع الطلاق في مجتمعنا وكثرة عرضه على القضاء، ويعد أيضاً من المسائل التي تؤثر في نشأة الاطفال فهم ضحية للطلاق.

اتبعت المنهج المقارن والتحليلي في البحث، فالمقارن بالمقارنة بين آراء الفقهاء في المذاهب الأربعة، بالإضافة إلى مقارنة ما ورد في الشريعة الإسلامية بالقانون، والمنهج التحليلي لتحليل النصوص بهدف فهمها، وقد قسمت دراسة هذا الموضوع على النحو الآتي:

المطلب الأول : مفهوم حق الحاضنة وفيه نتعرف على تعريف الحاضنة ومن الأحق بالحضانة وشروط الحاضنة.

المطلب الثاني : مفهوم مسكن الحضانة ، وذلك بتعريفه، و آراء الفقهاء في حق

الحاضنة في مسكن الحضانة وأجرة مسكن الحضانة وعلى من تجب، وشروط مسكن الحضانة، وأساس استحقاق الحاضنة له، ومسقطات حق الحاضنة في مسكن الحضانة.

المطلب الأول

مفهوم حق الحاضنة

لما كانت الحضانة من الأمور الهامة في تربية الطفل ونشأته وإعداده إعداداً سليماً لتحمل أعباء الحياة، فقد وضع لها المشرع العديد من الضوابط ونظمها بما يتحقق مع مصلحة المحضون، فقد بين من الأحق بحضانة الصغير واشترط في الحاضنة عدة شروط وهذا ما سنتعرف عليه بإذن الله تعالى في هذا المطلب .

أولاً: تعريف الحاضنة:

الحاضنة في اللغة: مأخوذة من الحِضن بكسر الحاء وهو مادون الإبط إلى الكشح، وحَضَنَ بالفتح الطائر بيضه من باب نصر، ودخل إذا ضمه إلى نفسه تحت جناحه، وحَضَنَت المرأة ولدها حضانةً، وحاضنةُ الصبي التي تقوم عليه في تربيته، واحتضن الشيء جعله في حِضنهِ.[1]

فالحاضنة هي من تقوم بحضانة الصغير، وقد اختلف الفقهاء في تعريفها،

فعرفها الأحناف بأنها: " تربية الطفل ورعايته والقيام بجميع أموره في سن معينة ممن له الحق في الحضانة"[2].

وعرفها ابن عرفة من المالكية بأنها: " حفظ الولد في مبيته ومؤنة طعامه ولباسه ومضجعه وتنظيف جسمه "[3].

وعرفها الشافعية بأنها: " حفظ من لا يستقل بأمور نفسه عما يؤذيه لعدم تمييزه كطفل وكبير مجنون و" تربيته" أي تنمية المحضون عما يصلحه بتعهده بطعامه وشرابه" .[4]

أما الحنابلة فالحضانة عندهم هي : " حفظ صغير ومجنون ومعتوه وتربيتهم بعمل مصالحهم"[5].

وبذلك فالحاضنة هي من تقوم بحفظ الولد الذي لا يستطيع القيام بمهامه

(1) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، لبنان، 1986م ، باب الحاء، ص 60

(2) علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط 2،دار الكتب العلمية ،بيروت، 2003م، ج5، ص 202

(3) محمد الخرشي، شرح الخرشي على مختصر خليل، ط2، المطبعة الأميرية الكبرى،مصر،1317ه ، ج4، ص 207

(4) عبدالله بن حسن الحسن الكوهجي، زاد المحتاج بشرح المنهاج، ط 1، طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر، ج3، ص 603

(5) منصور بن يونس البهوتي، كشاف القناع عن متن الإقناع، طبعة خاصة، دار عالم الكتب، الرياض،2003م، ج8،ص 2848

بنفسه عما يؤذيه وتربيته ورعايته.

ثانياً: الحق في الحضانة

الحضانة أبان قيام العلاقة الزوجية هي مشتركة بين الزوجين أي للأب والأم معاً، وقد ثبت ذلك في قوله تعالى: (وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرحَمهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرا)[6] ووجه الدلالة أن الله سبحانه وتعالى وجه الابن إلى أن يعامل أبويه بالعطف والشفقة والحنان في الوقت الذي هم محتاجون إليه في ذلك وأن يدعوا لهما بالرحمة مقابل تربيتهما له في صغره[7]، فدل ذلك على أن الحضانة مشتركة بينهما، ولأن الطفل يكون عاجزاً عن القيام بمصالحه بنفسه فهو لا يدرك ما يضره وما ينفعه لذلك كان من الضرورة وجود شخص يقوم بكل هذه المصالح، ولأن الأبوين هما أقرب الناس إلى الطفل فتقع عليهم أعباء هذه المهام وتقسم بينهما بحسب ما يتناسب مع طبيعة كلاً منهما.

أما إذا حدث الطلاق وتفرق الزوجان فإن الحضانة في الأصل تكون للأم ما لم يوجد مانع يحول دون ذلك، حيث جاءت امرأة إلى النبي "صلى الله عليه وسلم" فقالت : يارسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء ، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني ، وأراد أن ينزعه مني، فقال لها رسول الله" صلى الله عليه وسلم" : " أنتِ أحق به ما لم تنكحي"[8] ووجه الدلالة في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل للأم الحق في حضانة طفلها مادامت حابسة نفسها على الصغير ولم تتزوج.

وقد روي أن عمر بن الخطاب فارق امرأته جميلة بعد أن ولدت له ولده عاصماً، ثم شجر الخلاف بين عمر ومطلقته بشأن حضانة عاصم، كل يريد أن يضمه إليه ، وتنازعا بين يدي أبي بكر الصديق فقضى بمنع عمر من ضم ابنه إليه وأعطاها إياه ، وقال لعمر : " ريحها، ومسها، ومسحها وريقها خير له من الشهد عندك".[9]

ومن أسباب تقديم الأم على الأب في الحضانة :

1. الأم أكثر شفقةً على طفلها من الأب وأكثر صبراً على أعباء الرعاية والتربية.
2. الأم ألين برعاية الأطفال وهي الأقدر على بذل ما يحتاجون إليه من العاطفة والحنان[10].

(6) سورة الإسراء: الآية 24

(7) إسماعيل بن عمر بن كثير، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: تحقيق: أحمد شاكر، ط2، دار الوفاء،لبنان،2005م،ج2، ص 427

(8) سليمان الأزدي السجستاني، سنن أبي داوود، طبعة خاصة، دار الوفاء، لبنان، 2009م، ج3، ص 588

(9) بدائع الصنائع: ج5، ص 203

(10) مصطفى الخن وآخرون ، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، ط3، دار القلم العربي ، دمشق، 1413ه1992-م، ج4 ، ص 192

واختلف في تقديم الأب على من عدا الأم وأمها فقيل الخالة أخت الأم أحق بحضانة الولد من أبيه إذا لم تكن له أم ولا جدة أم لأم، وأن الجدة أم الأب أولى بالولد من الأب، وهي أولى من العمة والأخت وسائر قربات الأب، وقيل إن الأب أولى من الجدة أم الأب ، والأب أولى بالولد من العمة والأخت وسائر قربات الأب، وإذا وقع تزاحم في الحضانة ما بين النساء قدمت الأم لأنه لا يوجد أقرب منها، ثم أم الأم ، ثم أم الأب لأن الجدتين وإن استويتا في القرب لكن إحداهما والتي من قبل الأم هي الأولى وهذه الولاية مستفادة من الأم، فكل من يدلي بقرابة الأم كان أولى لأنها تكون أشفق ، ثم الأخوات فأم الأب أولى من الأخت لأن لها أولاداً فكانت أقرب في الولاية وكذلك هي أكثر شفقةً على الصغير، وأولى الأخوات الأخت الشقيقة ثم الأخت لأم ثم الأخت لأب، وعلى هذا الترتيب المذهب الحنفي والشافعي[11].

وقد اختلفت الرواية عن أبي حنيفة في تقديم الأخت لأب على الخالة، فقد رويت روايتان:

الأولى : إن الخالة أولى من الأخت لأب وهو قول محمد و زفر.

الثانية: إن الأخت لأب أولى ، وعلى هذا الرأي المذهب الحنبلي[12].

أما المذهب المالكي فيرى في حالة التزاحم تقدم الأم ثم أم الأم ثم الجدة من جهة الأم وإن بعدت ، ثم الخالة أخت الأم الشقيقة ثم الخالة أخت الأم لأم ثم الخالة أخت الأم لأب، ثم ينتقل الحق لخالة خالة الطفل وهي أخت جدة الطفل لأمه، ثم للجدة أم الأب ثم الجدة من جهة الأب ، فإن لم يكن أحد مما سبق فالمستحق للحضانة حينئذ الأخوات فتقدم الأخت الشقيقة ثم الأخت لأم ثم الأخت لأب ويلي الأخوات العمات.[13]

وفي القانون نصت المادة 62 ف ب من القانون رقم 10 لسنة 1984م على أن الحضانة في أثناء قيام الزوجية مشتركة بين الأب والأم، وفي حالة افتراق الزوجين فتكون للأم ثم لأمها ثم للأب ثم لأمه ثم لمحارم الطفل من النساء بتقديم من تدلي بجهتين على من تدلي بجهة واحدة، ثم لمحارم الطفل من الرجال، إلا أن القانون قد أعطى للقاضي سلطة الخروج على هذا الترتيب فيما عدا الأم وأمها والأب وأمه متى تبين له مصلحة المحضون فقد نصت الفقرة ج من المادة نفسها على أن للمحكمة ألا تتقيد بالترتيب الوارد في الفقرة السابقة لمصلحة المحضون فيما عدا أم المحضون وأمها وأبيه وأمه.

ثالثاً: شروط الحاضنة:

اشترط فقهاء المذاهب الأربعة عدة شروط في الحاضنة سنعرض لها على النحو

(11) بدائع الصنائع: ج5، ص 205 – 207، زاد المحتاج: ج3، ص 603 – 608

(12) كشاف القناع: ج8، ص 2849

(13) صالح عبدالسميع الآبي الأزهري ،شرح رسالة الثمر الداني لابن أبي زيد القيرواني، طبع باهتمام عبدالله اليسار، ص 412_413

الآتـــي :

شروط المذهب الحنفي:

1 – أن لا تكـون متزوجـة بغـير محـرم للمحضـون سـواء دخـل بهـا أم لـم يدخـل بها لأن المحـرم يعطـف عـلى الصغـير ويحنـو عليـه، ولا يمنـع أمـه من السـهر عـلى راحتـه ، أما لـو تزوجـت بأجنبـي عليـه أو بـذي رحـم ولكـن ليـس محـرم للمحضـون قـد يعاملـه بقسـوة وكراهيـة بخـلاف القريـب المحـرم، إلا أنـه هنـاك رأي آخـر يـرى عـدم سـقوط الحضانـة إذا رأت المحكمـة أن مـن مصلحـة المحضـون في بقائـه مـع أمـه المتزوجـة مـن أجنبـي عنـه، فقـد جـاء في حاشـية ابـن عابديـن: "وأن علمـت أن سـقوط الحضانـة بالـزواج مـن أجنبـي عـن المحضـون لرفـع الـضرر عـن الصغـير فينبغـي للقـاضي أن يكـون ذا بصـيرة ليراعـي الأصلـح للولـد، فإنـه قـد يكـون لـه قريـب مبغـض يتمنـى موتـه، ويكـون زوج الأم مشـفقاً عليـه يعـز عليـه فراقـه، فيريـد قريبـه أخـذه منـه ليؤذيـه ويؤذيهـا، أو ليـأكل مـن نفقتـه أو نحـو ذلـك، وقـد تكـون لـه زوجـه تؤذيـه أضعـاف مـا يؤذيـه زوج أمـه الأجنبـي، وقـد يكـون لـه أولاد يخـشى عـلى البنـت منهـم، فـإذا علـم القـاضي شـيئاً مـن ذلـك لا يحـل لـه نزعـه مـن أمـه لأن مـدار الحضانـة عـلى نفـع الولـد".[14]

2 – أن لا ترتـد فـإن ارتـدت بطـل حقهـا في الحضانـة لأن المرتـدة تحبـس فيتـضرر بـه الصبـي ولـو تابـت وأسـلمت يعـود حقهـا في الحضانـة.

3 – أن تكـون حـرة فـلا حـق لأمـة وأم الولـد في حضانـة الولـد الحـر لأن الحضانـة نـوع مـن أنـواع الولايـة .[15]

شروط المذهب المالكي:

1. أن تكـون بالغـة عاقلـة غـير مسـنة لأن المسـنة قـد تعجـز عـن القيـام بمهـام الحضانـة عـلى أكمـل وجـه. [16]
2. أن تكون أمينة على أخلاق المحضون.
3. أن تكون سالمة من الأمراض المضرة بالمحضون كالجذام والبرص والجرب.
4. أن تكون رشيدة قادرة على حفظ مال المحضون فلا حضانة للسفيهة.
5. أن لا تكـون متزوجـة مـن غـير محـرم للمحضـون، ويشـترط في الـزواج المانـع مـن الحضانـة تحقـق الدخـول لأنـه بغـير الدخـول لا تنشـغل بزواجهـا عـن المحضـون.
6. أن لا تسـافر عـن بلـد الـولي للمحضـون، فـإن سـافرت سـفراً دائمـاً سـقطت

(14) محمـد أمـين " ابـن عابديـن"، رد المحتـار عـلى الـدر المختـار، طبعـة خاصـة، دار عالـم الكتـب، الريـاض، 2003م ج2، ص 639 .

(15) بدائع الصنائع: ج5، ص211_212

(16) شرح الخرشي : ج4، ص 212

حضانتهـا أمـا إذا سـافرت لغـرض التجـارة أو النزهـة فـلا تسـقط.[17]

شروط المذهب الشافعي:

أن تكون حرة فلا حضانة لغير الحرة لأن الحضانة ضرب من ضروب الولاية.[18]

أن تكـون عاقلـة فـلا تصـح حضانـة المجنونـة سـواءً كان جنونـاً دائمـاً أو متقطعـاً لأن المجنـون ليـس لـه رعايـة نفسـه فكيـف لـه رعايـة غـيره.

أن تكون مسلمة لأن المحضون المسلم قد يفتن في دينه .

أن تكون أمينة فالفاسقة لا تؤتمن ولأن المحضون ينشأ على طريقتها.

أن لا تكـون متزوجـة بغـير أب المحضـون مـا لـم يكـن محرمـاً للصغـير كأن كان عمـه أو ابـن عمـه فـلا تسـقط حضانتهـا حينئـذ.

أن ترضـع الصغـير المحضـون فـإن امتنعـت عـن إرضاعـه فـلا حضانـة لهـا عـلى الصحيـح مـن المذهـب.[19]

شروط المذهب الحنبلي:

1. أن تكون حرة فلا حضانة لغير الحرة.
2. أن لا تكون فاسقة لأنها لا توفي الحضانة حقها.
3. أن تكون مسلمة .
4. أن تكون عاقلة.
5. أن لا تكـون مريضـة مرضـاً يحـول دون ممارسـتها للحضانـة كأن تكـون عميـاء ، أو مرضـاً يتنقـل ضرره إلى غـيره.
6. أن لا تكون متزوجة بأجنبي عن المحضون ولو لم يدخل بها.[20]

ونـرى أن الفقهـاء قـد اتفقـوا عـلى بعـض الـشروط وهـي العقـل والبلـوغ و الحريـة والأمانـة والسـلامة مـن الأمـراض المعديـة، وعـدم الـزواج مـن أجنبـي للمحضـون، والإسـلام ، عـدا بعـض فقهـاء الأحنـاف فلـم يعـدوا عـدم الإسـلام مانعـاً مـن حضانـة الأم ، حيـث إن الحضانـة ورعايـة الصغـير تقـوم عـلى الشـفقة والأم هـي أشـفق شـخص للصغـير وأكثرهـم رعايـة لـه، لذلـك لـو كانـت الأم كتابيـة فـلا تمنعهـا مـن الحضانـة،[21] واشـترط الشـافعية أن لا تمتنـع الأم عـن إرضـاع المحضـون الرضيـع، فـإذا امتنعـت فـلا حضانـة لهـا .

أمـا في القانـون فقـد أخـذ القانـون رقـم 10 لسـنة 1984م بشـأن الأحـكام الخاصـة بالـزواج والطـلاق بأغلـب هـذه الـشروط، فقـد جـاء في المـادة 65 منـه ذكـر الـشروط

(17) المرجع السابق

(18) زاد المحتاج على شرح المنهاج: ج3: ص 607

(19) المرجع نفسه : ج3، ص 608

(20) كشاف القناع : ج8، ص 2850.

(21) بدائع الصنائع: ج5، ص 212.

الواجبة في الحضانة حيث اشترط في الحاضن ذكراً أم أنثى أن يكون بالغاً عاقلاً أميناً قادراً على تربية المحضون ورعايته خالياً من الأمراض المعدية ، كما اشترط ألا تكون الحاضنة متزوجة بغير محرم للمحضون لكنه لم يشترط أن يكون ذا رحم محرم للمحضون وألا تقيم به مع من يكرهه.

المطلب الثاني

مفهوم مسكن الحضانة

نظراً لأهمية السكن في حياة الطفل وحاضنته فإسكانهما يعد من أهم مظاهر رعاية المحضون وحمايته وحفظ كرامة الحاضنة ومصدراً لسلامتها، فهو من أوجه الحفاظ على المحضون بالدرجة الأولى، وسنعرض في هذا المطلب لتعريف مسكن الحضانة، وشروطه، وآراء الفقهاء والمشرع الليبي في مدى استحقاق الحاضنة لمسكن الحضانة، وأساس هذا الاستحقاق، ومسقطاته .

أولاً: تعريف مسكن الحضانة

المسكن في اللغة: المسكن بكسر الكاف "المنزل والبيت "وأهل الحجاز يفتحون الكاف والسكن بوزن الجفن أهل الدار.[22]

أما المسكن في الاصطلاح الشرعي: مفهوم المسكن يختلف باختلاف الزمان والمكان فما يعد مسكناً عند أهل البادية لا يعد مسكناً عند أهل المدن.

وبوجه عام يعرف المسكن بأنه كل مكان مسور يستخدم للسكن بصفة دائمة أو مؤقتة وسواء كان ملكاً لساكنه أو مستأجراً له أو مقيماً فيه مجاناً،[23] فمسكن الحضانة هو المسكن الذي تمسك فيه الحاضنة الصغير لرعايته، سواء كانت أمه أم غيرها ، فإذا كانت أماً وكانت العلاقة الزوجية قائمة بينها وبين أب المحضون، فإن بيت الزوجية هو مسكن الحضانة وليس للزوجة أن تمارس الحضانة في مسكن غيره لأن إقرار الزوجة في بيت الزوجية حق للزوج والمحضون، أما إذا كانت الأم معتدة من طلاق فمسكن الحضانة هو مسكن العدة " بيت الزوجية" وليس للزوج إخراجها منه[24] لقوله تعالى: " لَا تُخرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخرُجنَ إِلَّآ أَن يَأتِينَ بِفَٰحِشَة مُّبَيِّنَة"[25].

أما إذا كانت الأم قد طُلقت وانتهت عدتها، ففي هذه الحالة اختلفت آراء الفقهاء

(22) مختار الصحاح: باب السين، ص 129.

(23) نعيمة أقوسيمن، مذكرة بعنوان حق المرأة المطلقة في مسكن الحضانة بين النص والتطبيق، جامعة عبدالرحمن ميرة ،الجزائر، 2015، ص 26.

(24) سليمان الجروشي وسعد العبار، شرح قانون الأحوال الشخصية الليبي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2009م، ص 412.

(25) سورة الطلاق: الآية 1.

فيما إذا كان يتوجب على الأب توفير مسكناً للحضانة أو دفع أجرته من عدم وجوب ذلك إلى عدة آراء.

ثانياً: شروط مسكن الحضانة:

اشترط فقهاء المالكية أن يكون المسكن في مكان آمن للمحضون لحمايته من الإفساد، ويروا بأنه لا حضانة لمن يسكن في مكان مخوف يكثر فيه المجرمون والمفسدون، وذلك حتى يتحقق له الأمن وحمايته من ناحية، وحتى لا تكون البيئة التي يتواجد فيها الصغير قد تتسبب في انحرافه[26] من ناحية أخرى، وأما في قانون الأحوال الشخصية قد اكتفى المشرع في القانون رقم 10 لسنة 1984م بكلمة "مسكن مناسب " ويمكننا تفسير هذه الكلمة بأن يكون المسكن ملائماً للعيش فيه، وذلك بتوفير المتطلبات اللازمة للعيش فيه، وذلك حتى تتمكن الحاضنة من القيام بواجبها اتجاه المحضون على أكمل وجه، وذلك بأن يكون مشتملاً على كل ما يلزم من أثاث وفرش وأواني وغيره ، وتقدير كون المسكن ملائما من عدمه يدخل في اختصاص محكمة الموضوع مراعية في ذلك ما يتناسب مع حال أب المحضون وقدرته المالية.

أما في القانون رقم 9 لسنة 1994 م المعدل للقانون السابق فقد نص على حق الحاضنة البقاء في بيت الزوجية وبذلك عد بيت الزوجية هو مسكن الحضانة ، مايدل على أنه يجب أن تتوافر في مسكن الحضانة كافة الشروط الواجب توافرها في بيت الزوجية، فبالإضافة لشرطي الأمان والملائمة يجب توافر شرط الاستقلالية أي أن يكون مستقلا بالحاضنة والمحضون لضمان حماية المحضون، وحتى يكون في رعاية الحاضنة وحدها وتستقل بتربيته من دون تدخل من أحد .

ثالثاً: آراء الفقهاء في حق الحاضنة في مسكن الحضانة وأجرته وعلى من تجب

في الفقه الحنفي هناك رأيان :

الرأي الأول : إنه لا تجب في الحضانة أجرة السكن ، وذلك لأن وجوب الأجرة على الحضانة لا يستلزم وجوب السكن بخلاف النفقة[27].

فبحسب هذا الرأي لا يجب على الأب توفير سكن للحاضنة ولا للمحضون مادام يعطي الأم أجرة الحضانة، وبذلك يقيم المحضون حيث تسكن الحاضنة سواء كانت تملك مسكنا أم تستأجره .

الرأي الثاني: إنها تجب في مال الصبي إذا كان له مال وإلا فعلى من تجب عليه نفقته، وذلك لأن وجوب أجرة السكن ليس مبنياً على وجوب الأجر في الحضانة بل على وجوب نفقة الولد، إذ إن السكن من النفقة فقد تكون الحاضنة ليس لها مسكن أصلاً،[28] وبهذا جعل السكن من ضمن النفقة وهي واجبة على الأب

(26)شرح الخرشي :ج4، ص 211.

(27) رد المحتار على الدر المختار: ج5، ص 261.

(28)رد المحتار على الدر المختار:ج5،ص 262.

أو في مال المحضون إن كان له مال.
وفي الفقه المالكي اختلفت الآراء على النحو الآتي :
الرأي الأول: يرى أن السكنى على الأب للحاضنة والمحضون معاً ولا تتحمل الحاضنة منه شيئاً وهو مذهب المدونة[29].
ويفهم من ذلك أن الأب ملزم بتوفير السكن للحاضنة والمحضون ويستوي في ذلك إن كان للحاضنة مسكناً مملوكاً لها أم لا.
الرأي الثاني: يرى أن أجرة السكن على الموسر من الأب والحاضنة [30].
بحسب هذا الرأي فإن أجرة السكن تجب على الموسر فيهما، فإذا كانت الحاضنة موسرة والأب معسرا وجبت عليها أجرة السكن، وإذا كانت معسرة والأب موسرا وجب على الأب أجرة السكن ولا يجب على الحاضنة شيء.
الرأي الثالث: و فيه أن الأب إن كان في مسكن يملكه أو يكتريه ولو كان ولده معه لم يزد عليه في الكراء أي لا شيء عليه لأنه في مندوحة عن دفع الأجرة في سكناه، وإن كان يزاد عليه في الكراء أو عليها هي لأجل الولد فعليه الأقل مما يزاد عليه أو عليها لأجله، فإن كان ما زيد عليها أقل أخذته لأنه القدر الذي أضر بها، وإن كان ما يزاد عليه غرمه لأنه مما لم يكن منه بد كما لو كان عنده[31].
وبهذا الرأي فإن الحاضنة لا تستحق أجرة السكن إذا كانت تُسكن المحضون معها في بيت تملكه أو تستأجره ولم تزد الأجرة عليها لإسكانها المحضون معها، أما إذا زادت الأجرة بسبب إسكانها للمحضون معها فإنها تستحق من الأب مازاد عن أصل الأجرة .
الرأي الرابع: يرى أنه لا سكنى للرضيع على أبيه فترة الرضاعة ، فإن خرج من الرضاع كان عليه أن يسكنه[32].
وفي الفقه الشافعي اتفقوا على حق الصغير في المسكن، وذلك يكون على عاتق الأب إن كان موسراً، فكما تجب عليه أجرة الرضاع وأجرة الحضانة فهو في هذه الحالة مجبر أيضاً على توفير مسكن وإعداده إذا لم يكن للأم مسكن مملوك لها تحضن فيه الصغير،[33] وعليه فقد علق الشافعية إلزام الأب بتوفير سكن للحاضنة والمحضون بعدم امتلاك الحاضنة لمسكن تحضن فيه الصغير أما إذا كانت تملك مسكناً فلا يلزم الأب ولو كان موسراً بتوفير مسكن للحضانة.
أما الفقه الحنبلي فلم أعثر في كتبهم على ما يخص مسكن الحضانة أو أجرته،

(29) محمد بن عبدالرحمن المغربي المعروف "الحطاب الرعيني" ،مواهب الجليل شرح مختصر خليل،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ج5، ص 255.
(30) المرجع نفسه :ج5،ص 256
(31)مواهب الجليل:ج5،ص265.
(32)المرجع السابق.
(33) زاد المحتاج:ج3، ص 603.

ولكن قد ذكروا في باب نفقة الأولاد أنه يجبر الرجل على نفقة والديه وولده ذكوراً وإناثاً إذا كانوا فقراء وكان له ما ينفق عليهم. (34)

فإذا عد فقهاء الحنابلة السكن من ضمن النفقة فيلزم الأب بتوفير مسكن للمحضون وللحاضنة.

أما القانون فقد جاء في القانون رقم 9 لسنة 1994 المعدل لنص المادة "70 ف أ" على أنه "لا يجوز المساس بحق المرأة الحاضنة أو معدومة الولي في البقاء في بيت الزوجية بعد طلاقها أو وفاة زوجها ما لم تأت بفاحشة، وإذا انتهت الحضانة أو قام بالحاضنة مانع سقط حقها في السكن " عليه فإن المرأة المتوفى عنها زوجها أو المطلقة إذا كانت حاضنة يعد مسكن الزوجية حقا من حقوقها طيلة فترة الحضانة، فإذا انتهت الحضانة أو قام بالحاضنة مانع من موانع الحضانة سقط حقها في السكن.

وإذا كانت المرأة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها غير حاضنة لكنها معدومة الولي يستمر حقها في السكن ولا يمكن إخراجها منه ما لم ترتكب فاحشة(35)، ويؤخذ على المشرع أنه لم يحدد لحقها في السكن زمناً معيناً فقد تسكن حتى تتزوج أو تموت وهذا فيه اثقال لكاهل الزوج كان على المشرع أن يتنبه له.

ولم يتعرض القانون السابق ذكره للحديث عن أجرة مسكن الحضانة في حالة عدم ملكية أب المحضون لمنزل تسكن فيه الحاضنة، لكنه في المادة 70 من القانون رقم 10 لسنة 1984 والمعدلة بموجب القانون السابق ذكره نصت على أن "يحق للمطلقة الحاضنة أن تسكن في مسكن مناسب مادام حقها في الحضانة قائماً" ولفظ مسكن ورد عاماً فقد يكون مسكناً مملوكا للزوج أو غير مملوك له، عليه فإن المطلقة الحاضنة لها الحق السكنى في مسكن مملوك لأب المحضون أو أن يستأجر لها مسكناً لتمارس فيه الحضانة على الصغير.

وبعد الاطلاع على آراء الفقهاء والقانون أرى أنه يجب على الأب أن يوفر مسكناً للحضانة سواء أكان مالكاً لهذا المنزل أو أن يستأجره أجرةً، ولو كانت الحاضنة غير الأم، فكما تجب عليه أجرة الحضانة يجب عليه توفير مسكن للحضانة أيضاً، وذلك لمصلحة المحضون من الدرجة الأولى وحتى لا يكون ذريعةً للأم التي لا تملك مسكناً خاصاً للتنصل من حضانة أطفالها بحجة عدم السكن أو عدم رغبة أهلها في استقبال أطفالها، وإن كان القانون قد اقتصر في حق السكن على الزوجة بدليل نصه على أن لا يجوز المساس بحقها في البقاء في بيت الزوجية،

(34) موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمود بن قدامة ،المغني و يليه الشرح الكبير لابن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي، ج9، ص 256.

(35) عبدالسلام محمد الشريف، الزواج والطلاق في القانون الليبي وأسانيده الشرعية، ط3، جامعة قاريونس، بنغازي، 1998، ص 333.

وكلمة بقائها دليل على أنها كانت تسكن فيه ولا تسكن فيه غير الزوجة.

رابعاً: أساس حق الحاضنة في مسكن الحضانة:

إذا كانت الحضانة سلطة شرعية تخول من له الحق فيها بحفظ من لا يستقل بأمور نفسه في ذاته وطعامه وملبسه وتربيته ودفع عنه ما يضره، فلا يجوز الإخلال بحق الحضانة ولا بما يترتب عليها من آثار وذلك لتأثيرها الكبير على مصلحة الطفل.

إن أساس حق الحاضنة في مسكن الحضانة ناتج عن طبيعة الحق في الحضانة، وقد اختلف الفقهاء في طبيعة هذا الحق، فانقسم الفقه الحنفي قسمين قسم يرى أن الحق في الحضانة هو مقرر للمحضون، وقسم آخر يرى أن صاحب الحق فيها هي الحاضنة[36]، وانقسم الرأي في الفقه المالكي أيضاً إلى رأيين، الرأي الأول يرى أن صاحب الحق في الحضانة هي الحاضنة، والرأي الثاني: يراها حقاً مشتركاً بين الحاضنة والمحضون[37]، أما الفقه الحنبلي فيرى أنها حق للحاضنة، إذ إنه لا يمكن إجبار الأم على حضانة طفلها لأن الحضانة حق لها لا واجباً عليها[38].

أما قانوناً فقد نص القانون رقم 10 لسنة 1984م في المادة"62 ف ب" منه على أن في حالة قيام الزوجية تكون حضانة الأولاد حقاً مشتركاً بين الأبوين، فإذا افترقا فهي للأم ثم لأمها ثم للأب ...." فبهذا النص يمكننا القول أن القانون جعل الحضانة حقاً للحاضنة، ولكن بالنظر في نص المادة "63 ف ب " نجد أنها نصت على أن :" إذا كان المحضون صغيراً، لا يستغني بنفسه عن وجود أمه، ألزمت بحضانته"، فكيف يمكننا إلزام الأم إذا كانت هي صاحبة الحق في الحضانة، فمن له الحق له الحرية في القيام به أو تركه، فالمشرع لم يستقر من خلال نصوصه على تحديد من هو صاحب الحق في الحضانة.

وأرى بأنه الأفضل لنا في تحديد ذلك هو الرجوع إلى المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، وهو سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني ، وأراد أن ينزعه مني، فقال لها رسول الله" صلى الله عليه وسلم" : " أنتِ أحق به ما لم تنكحي"[39] فقد نص صراحة على أنه حق لها وبذلك فصاحب الحق في الحضانة هي الحاضنة، فإذا سلمنا بأن الحاضنة هي صاحبة الحق في الحضانة، فإن كل ما يترتب عليها من آثار هو حق لها تبعاً لحقها في الحضانة، والمسكن من آثار الحضانة التي لا يمكن أن يستغنى عنها، وإن كل ما شُرِعَ من الحضانة وآثارها

(36) رد المحتار على الدر المختار: ج5، ص 253.

(37) مواهب الجليل: ج5، ص253.

(38) كشاف القناع عن متن الإقناع: ج8،ص 2849.

(39) سبق تخريجه : ص6.

إنمـا تقـررت بالدرجـة الأولى لمصلحـة المحضـون التـي يجـب حمايتهـا.
خامساً: مسقطات حق الحاضنة في مسكن الحضانة
1 - حـق الحاضنـة في مسـكن الحضانـة يـدور مـع قيـام الحضانـة مـن عدمـه، فـإذا انتهـت الحضانـة سـقط حقهـا في منـزل الحضانـة، وبحسـب رأي الفقهـاء فـإن الحضانـة تنتهـي باسـتغناء المحضـون عـن خدمـة النسـاء وقدرتـه عـلى القيـام بحاجاتـه الأوليـة مـن أكل ولبـس ونظافـة بـدون مسـاعدة أحـد، وقـد قـدر مجتهـدو المذهـب الحنفـي ذلـك بسـبع سـنوات للمحضـون الذكـر وتسـع سـنين للأنثـى[40] .
أما المذهب المالكي فقد حدد مدة انتهاء الحضانة ببلوغ الذكر وتزويج الأنثى[41].
وفي المذهبـين الشـافعي والحنبـلي فقـد حُـددت مـدة الحضانـة ببلـوغ المحضـون سـن التمييـز وهـي سـن السـابعة للذكـر والأنثـى.[42]
وقـد أخـذ القانـون بذلـك حيـث نـص عـلى أنـه يسـقط حـق الحاضنـة في مسـكن الحضانـة بانتهـاء الحضانـة، وذلـك بحسـب القانـون رقـم 9 لسـنة 1994 المعـدل لنـص المـادة 70، وتنتهـي الحضانـة بانتهـاء مـدة الحضانـة والتـي حددتهـا المـادة 62 ف أ مـن القانـون رقـم 10 لسـنة 1984 ببلـوغ الذكـر وزواج الأنثـى .
2 - قيـام مانـع مـن موانـع الحضانـة كأن تصـاب بالجنـون أو بمـرض قـد يـضر بالمحضـون فقـد نـص القانـون رقـم 9 لسـنة 1994 المعـدل لنـص المـادة 70 بأنـه إذا قـام بالحاضنـة مانـع سـقط حقهـا في السـكن .
3 - ثبـوت انحـراف الحاضنـة، فالحاضنـة المنحرفـة أخلاقيـاً ليـس مـن مصلحـة المحضـون البقـاء في حضانتهـا لتأثيرهـا سـلباً عـلى أخلاقـه، وإذا ثبـت أنهـا ارتكبـت فعـلاً محرمـاً يسـقط حقهـا في الحضانـة وذلـك لحمايـة المحضـون مـن الضيـاع، وتبعـاً لذلـك يسـقط حقهـا في السـكن وهـو مـا عـبر عنـه المـشرع في القانـون رقـم 9 لسـنة 1994م المعـدل للمـادة 70 عنـه بلفـظ "مـا لـم تـأتِ بفاحشـة".

الخاتمة

مسـكن الحضانـة يعـد مـن أهـم الآثـار المترتبـة عـلى الحـق في الحضانـة، لـذا فقـد نـص عـلى اسـتحقاقه فقهـاء الشريعـة الإسـلامية والقانـون، وإن حـق الحاضنـة فيـه هـو حـق مؤقـت، يبـدأ مـع بدايـة الحضانـة وينتهـي بانتهـاء مدتهـا، وحسـناً فعـل المـشرع الليبـي عندمـا نـص عـلى هـذا الحـق لكـن تؤخـذ عـلى نصوصـه عـدة انتقـادات :
ذكـر الحـق في مسـكن الحضانـة في مـادة واحـدة مـن دون التطـرق إلى تفاصيـل هـذا

(40) بدائع الصنائع: ج 5،ص 213
(41) شرح الخرشي : ج4، ص 207
(42) زاد المحتاج بشرح المنهاج:ج3، ص600_ كشاف القناع عن متن الأقناع: ج8، ص 2855

الحق، وكان الأفضل أن يتوسع فيه لأهميته، وتأثيره الكبير في مصلحة المحضون.
ذكر المشرع بأن الحاضنة لها الحق في بيت الزوجية، وكان على المشرع الإبقاء على لفظ "مسكن" المذكور في القانون الذي تم تعديله، أفضل من استعماله للفظ بيت الزوجية المذكور في القانون المعدل له لأن الزوجة المطلقة طلاقاً بائناً أو إذا كانت الحاضنة غير الأم لا تبقى في بيت الزوجية، وإذا كانت حاضنة لابنه فإنه يجبر الزوج على توفير مسكن لها لأجل المحضون.
نصه على أن المرأة غير الحاضنة لكنها معدومة الولي لها الحق في البقاء في بيت الزوجية بعد طلاقها أو وفاة زوجها، ولا يمكن المساس بهذا الحق ما لم تأتِ بفاحشة، ففي هذا النص إجحاف كبير بحق الزوج كان على المشرع أن يتداركه، فلم يحدد مدة بقاء الزوجة في بيت الزوجية بمدة معينة، فبحسب نص هذه المادة فإن بيت الزوجية يصبح من حق الزوجة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها إلى أن تتزوج أو تموت، وهذا من غير المعقول العمل به لما فيه إثقال لكاهل الزوج، ولم يحدد أو يشترط أي شرط عدا أن تكون معدومة الولي، فكان للمشرع على الأقل أن يخفف من غلو هذا النص بتحديد مدة استمرار العلاقة الزوجية بمدة معينة حتى تستحق الزوجة البقاء في بيت الزوجية، أو أن يشرع لها القانون نصاً يوجب على الدولة أن توفر لها مسكناً مادامت معدومة الولي، وبذلك تتكفل بحمايتها "أي الدولة " وعدم تحمل الزوج مسؤولية ذلك بعد طلاقه لها.
أغفل المشرع النص على أجرة السكن في حالة عدم ملكية الأب للمسكن.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: كتب التفسير:

1 - إسماعيل بن عمر بن كثير،عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، تحقيق: أحمد شاكر_ ط2،دار الوفاء،لبنان،2005م.

ثانياً: كتب الحديث:

2 - سليمان الأزدي السجستاني، سنن أبي داوود، طبعة خاصة ،دار الوفاء، لبنان، 2009م.

ثالثاً: كتب الفقه

3 - علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م .

4 - محمد أمين المعروف "بابن عابدين"، رد المحتار على الدر المختار، طبعة خاصة، دار عالم الكتب، الرياض، 2003م .

5 - صالح عبدالسميع الآبي الأزهري، الثمر الداني "شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني"، طبع باهتمام عبدالله اليسار، بدون سنة نشر.

6 - محمد أبو عبدالله الخرشي، شرح الخرشي على مختصر خليل، ط2، المطبعة الأميرية الكبرى، مصر، 1317ه.

7 - محمد بن عبدالرحمن المغربي المعروف" بالحطاب الرعيني" ، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

8 - عبدالله بن حسن الحسن الكوهجي ، زاد المحتاج بشرح المنهاج، ط1، طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر، بدون سنة نشر

9 - مصطفى الخن_ مصطفى البغا_ علي الشربجي، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، ط3، دار القلم العربي، دمشق، 1413ه_1992م .

10 - منصور بن يونس البهوتي، كشاف القناع عن متن الإقناع، طبعة خاصة ، دار عالم الكتب، الرياض ، 2003م.

11 - موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمود بن قدامة، المغني ويليه الشرح الكبير لابن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي، بدون سنة نشر.

رابعاً: كتب اللغة:

12 - محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، لبنان، 1986م.

خامساً: كتب فقهية حديثة:

13 - سليمان الجروشي_ سعد العبار، شرح قانون الأحوال الشخصية الليبي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2009م.

14 - عبدالسلام محمد الشريف، الزواج والطلاق في القانون الليبي وأسانيده الشرعية، ط3، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي،1998م.

15 – نعيمة أقوسمين، مذكرة بعنوان حق المرأة المطلقة في مسكن الحضانة بين النص والتطبيق، جامعة عبدالرحمن ميرة، الجزائر، 2015م .

سادساً: النصوص القانونية :

16 – القانون رقم 10 لسنة 1984،بشأن الأحكام الخاصة بالزواج والطلاق وآثارهما، صدر في 19 أبريل 1984م ، وزارة العدل، موقع الكتروني https://aladel.gov.ly/home/?p=1246

17 – القانون رقم 9 لسنة 1923ه_ 1994م، بشأن تعديل بعض أحكام القانون رقم 10 لسنة 1984م بشأن الزواج والطلاق وآثارهما. صدر في 29 يناير 1994م، وزارة العدل، موقع الكتروني https://aladel.gov.ly/home/?p=123

الدعوة إلى الله من خلال حفظ المال كمقصد شرعي للإسلام

أ. محمد عبد الله محمد الشيباني
محاضر مساعد - كلية العلوم والآداب جالو- جامعة بنغازي

الاستلام 20/ 12/ 2020 القبول 4/ 2/ 2021

المستخلص

يبيّن هذا البحث ما جاء في الدّين الإسلامي من حفظ لأموال الناس، من خلال تشريعات مَنعت أسباب تبذيره؛ كعدم الأهلية، ومنعت أسباب تعطيله؛ كالاكتناز والاحتكار والربا ونحوه، وتشريعات أخرى نظّمت حركته الاقتصادية؛ كالاستثمار والهبات ونحوها، فأوجبت- بشروط- إخراج جزء منه لمستحقيه، وجعلته الركن الثاني من أركان الإسلام، وهو الزكاة، وحفّزت على الإنفاق طواعية على المحتاجين، ووضعت ضوابط عادلة لإقراضه وتعامله بين الناس، وبيّن البحث أنّ لهذه المعاملات المالية تأثيراتها الإيجابية على نفوس المتلقّين لهذه الأموال، وبذلك يسود التراحم والتعاطف والمحبة بين الناس، ويبتعد شبح الغِلّ والحسد والكراهية، وما يتولد عن هذه الأمراض القلبية من مشاحنات، وربما مشاجرات وجرائم تترتب عليها عداوات بين الناس، ووضّح البحث أنّ هذه التشريعات التي تُصلح المجتمع اقتصاديا واجتماعيا، تصْدُق على كل المجتمعات في العالَم، وفي ذلك بيان لعالمية هذا الدّين، ومن خلال هذه التشريعات؛ يدعو الباحث غير المسلمين إلى التمعّن في بحثه، لعلّه يكون مدخلا لاطّلاعهم على بقية المقاصد الشرعية للإسلام، فينبذون الرُّهاب من نفوسهم، ويعتنقون هذا الدّين؛ لينعموا بما فيه من خيري الدنيا والآخرة، ومن تلك النِّعم: حفظ أموالهم، وعيْشهم في الدنيا سعداء مطمئنين، وفي الآخرة في جنّات النعيم- إن شاء الله- خالدين.

الكلمات المفتاحية: الدّين- الإسلام- المال- الدعوة.

Abstract:

The Invitation to Allah By Conserving Wealth As an Islamic Legal Purpose

This research defines Islamic teachings on wealth preservation through its rulings that include prohibiting the loss of wealth such as owner's incapacity, and prohibiting disabled wealth such as hoarding, monopoly, and usury. Similarly, such

rulings include the permissibility of economic mobilization such as investment and donation, the duty of zakat to be offered to its beneficiaries as the second pillar of Islam, the incentive to voluntarily offer charity to the poor, and the formulation of terms and conditions for lending and transactions. This work clarifies that financial transactions have positive effects on the self of those properties' recipients, such as spreading compassion, sympathy, and affection, blocking stinginess, envy, and hate. The money, by comparison, induces diseases of the soul such as struggle, dispute, crime and enmity. This research explains that those rulings that economically and socially reform society are suitable for all societies in the world, and this proves the universality of that religion. The researcher calls on all non–Muslims to look closely at this research, since it may introduce them to Islam's divine purposes. Therefore, they may embrace this religion, and enjoy the graces of the world and beyond, which include the preservation of their wealth, tranquillity in worldly life, and serenity in afterlife.

Key words: Religion, Islam, Money, Invitation.

المقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

وبعد.

فإنّ نعَم الله- تعالى- على عباده لا تحصى، وإنّ من أجلّ هذه النعم وأعظمها؛ نعمة الإسلام ، ولهذا الدّين مقاصد وكليات تحقق غاياته وتنشد أهدافه، ونظرا لمحدودية صفحات البحث- التزاما بالنظام المتبع في المجلّة- فسيقتصر الباحث على أحد هذه المقاصد وهو: حفظ المال، ويسقطه على بعض مسائل المعاملات المالية التي سيوردها في خطة البحث.

سبب اختيار الموضوع: بيان اهتمام الدّين الإسلامي بتنظيم حياة الإنسان، من خلال مقاصده الشرعية، ولعل حفظ المال هو المقصد الذي وقع عليه اختيار الباحث؛ لأن المال هو عصب الحياة، وهو أحد أشكال القوة، وأبرز أسباب النزاع بين الأفراد والأمم، حيث إن الإنسان جُبِل على حُبّه، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا[1]﴾ ، ومن خلال هذا المقصد الشرعي، يتبيّنّ أنّ الامتثال للشريعة الإسلامية يؤدي إلى تطهير النفوس من أمراضها؛ كالحقد والحسد ونحوها، والتي تنتج غالبا عن المعاملات المالية، وتؤدي إلى مشاحنات وعداوات، تُفضي إلى شرخ في النسيج الاجتماعي للأمة.

أهمية الموضوع: إن أقرب زخارف الحياة الدنيا للنفس الإنسانية هو المال، الذى وصفه المولى- تعالى- بأنه زينة، قال تعالى:﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً[2]﴾، ووصَفه تارة بأنه من الشهوات، فقال تعالى:﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ[3]﴾، ووصفه تارة أخرى بأنه فتنة، فقال تعالى:﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ[4]﴾، وحتى لا تتلقفه أيادي ناقصي الأهلية، وعبَدة الدينار والدرهم، فيسيئون استعماله أو يعطّلونه بالاكتناز ونحوه، فقد جعل الإسلام حفظ المال من كلياته ومقاصده، فوضع تشريعات تنظم التعامل به، وتقي المجتمع من فِتَنه، وتطهّر النفوس من تبعات هذه الفتن، وتضبط غريزة حُبّ المال الجَمّة؛ ليحيا المسلم حياة طيبة مطمئنة في دنياه، وترجع نفسه إلى ربِّها راضية مرضية في أخراه، والمتمعّن في هذه التشريعات يدرك أنها تتجاوز كونها دواء لتلك الأمراض، إلى أنها وقاية وجُنّة منها، وربما يكون هذا المتمعّن من غير المسلمين، فيدرك الدواء والوقاية، ويقْدرهما حق قدرهما، فيكدح إلى ربه كدحاً، وإنه لملاقيه.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى الدعوة إلى الله من خلال حفظ الإسلام للمال،

وما يظهره هذا المقصد من رقيّ الدّين الإسلامي وعالميته، التي تتجلى في اهتمامه بالجانب الإنساني، المتمثل في وضع حلول جذرية للقضايا الاقتصادية والاجتماعية، والعمل على تكوين مجتمع متآلف متآخ كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وعندما تتضح للقارئ الكريم هذه الصورة المشرّفة عن الإسلام، فإن المسلم يزداد بها إيمانا مع إيمانه، وربما جعلت غيره يعكف على دراسة هذا الدّين أو الدخول فيه، ومن أهدافه أيضا نُصرة الإسلام، وتخفيف حدة الرُّهاب منه، والعمل على نزع هذا الرهاب من قلوب غير المسلمين، الذين ظنوا بالإسلام الظنون، بسبب مَن أساؤوا فهْم الإسلام، فتطرفوا في أعمالهم وفي معاملاتهم، فاستغل أعداء الإسلام هذا التطرف فأذاعوا به، وهنا يأتي دور المسلمين عامة، والدعاة خاصة، في الدفاع عن الإسلام، وإزالة الغشاوة عن أبصار وبصائر أولئك الذين أصابهم الرهاب من الإسلام والمسلمين، لينظروا إلى هذا الدّين نظرة فاحصة متمعنة، ولعل ما يتناوله البحث من بيان لتزكية النفوس من خلال حفظ المال؛ ليصبح المجتمع مجتمعا متآلفا متراحماً، هو إحدى وسائل الدفاع عن الإسلام والدعوة إليه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ[5]﴾.

إشكالية البحث: إنَّ القصور عند بعض المسلمين في فهم مقاصد الشريعة، أو الانحراف عن هذه المقاصد اتباعا للهوى وتحقيقا لغايات شخصية، وما ترتب عليه من عنف في غير محله، جعل كثيرا من غير المسلمين ينظرون إلى الإسلام نظرة عدائية، ويتهمونه بالإرهاب! ويعرضون عنه، وهنا تكمن إشكالية البحث... ويبذل الباحث جَهده لتخفيف أو إزالة الرُّهاب من أولئك الذين أصابهم الرُّهاب من الإسلام وأهله، وذلك بطرحه لمقصد من مقاصد الدّين الإسلامي- وهو حفظ المال- وبيان ما يترتب عليه من حياة سعيدة ينشدها كل إنسان على هذه البسيطة، ومن بين الإشكالات التي يودّ الباحث إثارتها - لعلها تلقى اهتماما- هي قلة المصادر والمراجع بكليات منطقة الواحات النائية، وكذلك عدم توافر الامكانيات والمؤسسات تتبنَّى نشر البحوث الدعوية بألسن مختلفة؛ لتطرق سمع المدعوين، فتجعلهم يتفكرون في عالمية هذا الدّين، وشموليته، واهتمامه بمصالح الإنسان، وبنائه لمجتمع يأمر بالبر والمعروف، وينهى عن الظلم والمنكر؛ ترفرف عليها السعادة في الدنيا والآخرة.

منهج البحث: وحتى يستوي هذا البحث، ويحقق أهدافه الدعوية، فقد اتبع الباحث منهجا استقرائيا تحليليا، استقى بواسطته مادته العلمية من مصادر ومراجع – جزى الله أصحابها عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء- ورتّب هذه المادة ودوّنها في بحثه، وتصرّف في بعضها، وأضاف إليها ما خطر بباله من

(5) سورة فصلت، الآية 33.-

أفكار وعبارات، لعلها تكون غُرزا في صناعة نسيج هذا البحث، فتحقق أهدافه – بإذنه تعالى-.

خطة البحث: تتضمن خطة البحث مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرسا للمصادر والمراجع ؛ أما المقدمة فقد احتوت على سبب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه المتمثلة في تبليغ رسالة الإسلام من خلال المقاصد الشرعية للمباحث المختارة، وتضمنت أيضا إشكالية البحث، والمنهج المتبع في جمع مادته من مصادرها ومراجعها، وعَرْضها في خطة شملت المباحث التالية:

المبحث الأول: النهي عن اكتناز المال.

المبحث الثاني: الأهلية شرط لنفاذ العقد.

المبحث الثالث: ليس البيع كالربا.

المبحث الرابع: تأثير عدالة الإسلام في حفظ المال.

وتندرج تحت كل مبحث تعاريف ومسائل تأتي في متن البحث إن شاء الله- تعالى- وبالله التوفيق، وعلى نبيّه الخاتم أتمّ الصلاة وأزكى التسليم.

المبحث الأول: النهي عن اكتناز المال:

المال لغة: ما يُملك من الذهب والفضة، ثم أُطلق على كل ما يملك من الأعيان[6].

المال اصطلاحا: "هو ما يميل إليه الطبع، ويمكن أن يدّخر إلى وقت الحاجة"[7].

جعل الله المال وسيلة لتبادل المنافع بين الناس، وجعل له ضوابط تحفظه من العبث والغَرَر، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِى جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا[8]﴾، قياما: أي قواما لكم، تنفقون منه على أنفسكم ومَن تلزمكم نفقته، من مؤنة وكُسوة وكل ما يُصلح شأنكم، وفي قراءة أهل المدينة: (قِيَمًا)، والقيَم: جمع قيمة، فهو قيمة لكل شيء فيه صلاح المعاش والدّين[9]، واستثمار المال أو هبته؛ وهو الوسيلة لنموّ اقتصاد المجتمع وتحريك عجلته، بينما اكتنازه يؤخر نموّ اقتصاد المجتمع، ويشلّ حركته؛ لذا توعد المولى (ﷻ) مكتنزه بعذاب أليم يوم الدّين، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم

(6) ينظر: لسان العرب/ جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت- لبنان، مادة: مَوَل، (ب، ط)، 2004م.

(7) جامع الأمهات لابن الحاجب/ تحقيق، محمد عز الدين الغرياني، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس- ليبيا، ط3، 2010م.

(8) سورة النساء، الآية 5.

(9) ينظر: تفسير الطبري/ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار السلام- مصر، ط3، 2008م، 3/ 2142. وينظر: تفسير القرطبي/ أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، دار البيان العربي- القاهرة، ط1، 2008م، 3/ 186(بتصرف).

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ[10]﴾، وقال (ﷺ): " تعِسَ عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أُعطِّى رضي وإن لم يعط لم يرض"[11]، وشَرع المولى- ﷻ- تشريعات تحفظ المال لأصحابه، وتنمّيه لهم، وتحفّزهم على بذله، وتنظّم حركته بين الناس، ومن هذه التشريعات على سبيل المثال لا الحصر:

1 - الزكاة : فقد فرضها الإسلام، وجعَلها رُكنا من أركانه الخمسة؛ لتحقق مقاصد شرعية تعود بالنفع على المجتمع من خلال مصارفها الثمانية، ولو بقي هذا المال الذي توفرت فيه شروط الزكاة جامدا ولم يُزكَّى، لتناقص عاما بعد عام بفعل الزكاة، حتى يتلاشى، ففي فرض الزكاة تحفيز لذي المال على استثمار ماله، فيكون بذلك قد أخرجه من الاكتناز إلى الإنفاق، ومن الجمود إلى الحركة، التي تعود بالنفع على الكثيرين، وبذلك تتحقق مقاصد كثيرة للشريعة الغراء، أبرزها في هذا الجانب، مقصد حفظ المال.

2 - زكاة الفطر : وعد الله مُخرجها بالفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ [12]﴾، أي : أدّى زكاة فطره وصلى صلاة عيده[13].

3 - صدقة التطوع: حث الإسلام على التصدّق بالمال على المحتاجين، وبذْله في الأعمال الخيرية كالمساجد ودور الرعاية وماء السبيل ونحوها...، ووعد الله المنفقين أموالهم رجاء الخَلَف من الله وتصديقا بذلك الخَلف، بأن يرشدهم إلى أسباب الخير والصلاح والجَنّة، ويبارك لهم فيها، فتنمو وتزداد، رغم أنها - بالظاهر- نقصت بالبذل، وذلك بأن يحفظها الله من الجوائح، كالسرقة والحرائق والأمراض ونحوها مما يتلف المال، وتوعّد البخلاء الممسكين للمال المكذّبين بالدّين، بأن يسهّل لهم طريق الشرّ والنار، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ[14]﴾، كما حثّ النبي(ﷺ) على بذل المال تطوعا من غير عِوض، وتحريكه في المجتمع، فقال: لا حسد إلا في اثنتين: " رجل آتاه الله مالا فسلّطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلّمها"[15]، وقال(ﷺ): " ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان،

(10) سورة التوبة، الآية 34.

(11) صحيح البخاري/ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، المكتبة الثقافية- بيروت، (ب. ط) ، (ب. ت)، ك: العلم، ب: الاغتباط في العلم والحكمة، 8/ 92.

(12) سورة الأعلى، الآيات 14 - 15.

(13) ينظر: تفسير الطبري، 10/ 8595. وينظر: تفسير القرطبي، 10/ 273(بتصرف).

(14) سورة الليل، الآيات 5 - 10.

(15) صحيح البخاري، 2/ 220.

فيقول أحدهما: اللهم اعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم اعط ممسكا تلفا"[16].

4 - توزيع بعض الأموال الواردة للدولة على المسلمين: فقد بيّن الله لنا هذا التشريع بتقسيمه لأموال الغنائم بين المسلمين، لتأخذ مكانها في دورة اقتصاد المجتمع، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ[17]﴾.

(4) الاحتكار: وهو رصْد الأسواق، أي انتظار ارتفاع أثمان السلع، ليخرجها المحتكر وقد اشتد الطلب على شرائها فيبيعها بأضعاف ثمنها؛ لذلك منع الشرع الحُكرة في كل شيء يضر بأهل البلد، سواء كان طعاما أو غيره من الأموال، والاحتكار صورة من صور اكتناز المال وحجْبه على الناس- ولو مؤقتا- وهم له طالبون، فهو منع لأصحاب الحاجات من الوصول إلى حاجاتهم، وتحكّم ظالم في رغباتهم، ومشروعية منعه قوله(ﷺ): " لا يحتكر إلا خاطئ"[18]، وقوله(ﷺ): " الجالب مرزوق والمحتكر ملعون"[19]، وقول عمر(ر): " لا حُكرة في سوقنا..."[20].

(5) أعمال الزراعة: كالمزارعة والمساقاة:

المزارعة: هي الشركة في الزرع، وعقدها غير لازم قبل البذر، وتصح إذا سلِم المتعاقدان من كراء الأرض بممنوع، وتساويا في الربح، وأما المساقاة فهي: عقد في خدمة شجر وما ألحق به، بجزء من غلته أو بجميعها، بصيغة، ولا يلزم العامل عمل ما يبقى بعده؛ كبناء حائط وحفر بئر ونحوه[21]، وقد جاءت مشروعيتها في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ[22]﴾ ، وقال(ﷺ): " ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة"[23]، فبيّن الحديث النبوي أن الأجر يحصل لمن قام بفعل الغرس أو الزرع،

(16) صحيح البخاري، 2/ 231. صحيح مسلم/ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء16 التراث العربي- بيروت، (ب. ط)، 1999م، ب: المنفق والممسك،2/ 700، رقم(1010).

(17) سورة الأنفال، الآية 41.

(18) صحيح مسلم، 3/ 1227، سنن أبي داود 3/ 269.

(19) سنن ابن ماجة/ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة(ت273ه)، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار19 إحياء الكتب العربية، القاهرة،(ب، ط)، ب: الحُكرة والجلب، 2/ 728، رقم(2153).

(20) إسعاف المبطأ برجال الموطأ / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مكتبة دار الآفاق الجديدة- المغرب، (ب، ط)،20 1999م، ص569

(21) ينظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير/ شمس الدين محمد عرفة الدسوقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (ب. ط)،21 (ب. ت)، 3/ 372،539(بتصرف).

(22) سورة الواقعة، الآية63.

(23) صحيح مسلم، 3/ 1189.

دون أن يذكر صفته كونه مالكا للأرض أو عاملا فيها، ولعل الأجر يشملهما!
المقصد الدعوي: من الأمثلة السابقة، يتضح جليًّا للقارئ الكريم، أن اكتناز المال بصوره المختلفة، يسبب أضرارا لأفراد المجتمع ومؤسساته، تتمثل في سدّ طرق العمل أمامهم؛ مما يؤدي إلى ارتفاع نسبة البطالة، وزيادة أسعار السلع، وقطع عُرى المحبة والتراحم بين الناس، وعدم تفريج كربات المكروبين، وعدم انتفاع الفقراء بمال المُوسرين، وهذا يولّد في صدور أولئك المحرومين ضغينة وكراهية للأغنياء، ينشأ عنها انحرافات في السلوك، وارتفاع لمعدل الجريمة بأنواعها؛ من اعتداء واحتيال ونصب وسرقة وتهريب...إلخ؛ لذلك فإن شريعة الإسلام تمنع اكتناز المال واحتكاره، وتحث على التعامل به في أوجه كثيرة؛ كالاستثمار والهبة ونحوها، وبذلك فإنها تزكّي النفوس من أمراضها، وتقي المجتمع من الانحرافات الناتجة عن تلك الأمراض، وما يترتب عليها من عداوات، وفي تلك المعاملات الاقتصادية والاجتماعية الناجعة، التي بيّنها هذا المبحث، دعوة إلى غير المسلمين للتدبر والتأمل في هذه التشريعات، ومن ثم إلى اعتناق هذا الدّين القويم.

المبحث الثاني: الأهلية شرط لنفاذ العقد:

الأهلية لغة: أهل الأمر، أي: وُلاته وخاصته[24]، والأهلية اصطلاحا: يعني بها التمييز، وضابطه حصول الرضا[25].

جعَل الشارع ضوابط للعاقد تجتمع في لفظة الأهلية، فإذا توفرت فيه كان أهلا لإقامة عقد صحيح لازم، وإذا لم تتوفر فيه، كان عقده باطلا أو موقوفا، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم[26]﴾، فيخرج من الأهلية: العاقد غير المميز، كالصغير، والمجنون المطبق، والمريض فاقد الوعي، والسكران الطافح، والأخرس، وحيث أنّ ضابط التمييز هو، حصول التراضي عند

(24) ينظر: لسان العرب، 1/186.

(25) ينظر: بلغة السالك لأقرب المسالك/ أحمد الصاوي، دار الفكر، بيروت، (ب. ط)، (ب. ت)، 2/4.

(26) سورة البقرة، الآية 282.

التبايع بالإيجاب والقَبول من العاقدين، ومعلوم أن غير المميز جاهل بما يبيع ويشتري، وبما يترتب على هذه المعاملة من أبعاد، كرواج البضاعة وكسادها، ونسبة الربح...إلخ؛ لذلك فإنه لا يتأتى منه التراضي، فحكَم الشرع بأن بيْعه غير منعقد، والمولى- ﷻ- يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا[27]﴾.

المقصد الدعوي: من خلال ما سُرد في هذا المبحث، يتضح جليا مدى اهتمام الإسلام بالإنسانية، ونصرته للضعفاء، فلوليِّ الأمر أن يكلّف وصيًّا يدير أموال من بهم نقص في عقولهم، نتيجة مرض أو سبب عارض؛ كصغر أو سكْر، وقد حكَم الشارع بعدم لزومية بيع مسلوبِي الإرادة؛ كالمكره والمحجور عليه حتى يستردا إرادتهما، ولو أنفذ الشارع عقود هذه الفئات الفاقدة للاستواء، لضاعت أموالهم، وبعد أن يدركوا ما صاروا إليه من غُرْم أو فلس، فإن نفوسهم ستمتلئ كمدا وحقدا على من أخذ أموالهم وهم لا يشعرون، فقصَد الشارع حِفظ أموال وحقوق هؤلاء الضعفاء، ليقي نفوسهم من تلك الأمراض، فيعيشوا بنفوس زكية، فيهنؤوا ويَسعدوا في ظل الإسلام، وفي ذلك دعوة للدخول في هذا الدّين، الذي يحفظ الأموال، ويُسعد نفوس الضعفاء والأقوياء على حدّ سواء.

المبحث الثالث: ليس البيع كالربا:

البيع لغة: مصدر باع، والبيع: بمعنى الشراء أيضا، فهو من أسماء الأضداد، والابتياع: الشراء[28]، قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ[29]﴾، أي: باعوه بثمن زهيد، وقال (ﷺ): " لا يبيع الرجل على بيع أخيه..."[30]، أي: لا يشتري على شرائه، والبيع اصطلاحا: هو عقد معاوضة على غير منافع ولا متعة لذّة[31]، وتعارف الناس، على أنّ الذي يدفع الثمن مشترٍ، والذي يعطي السلعة بائع.

الرّبا لغة: الزيادة والنماء[32]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[33]﴾، أي تشققت قشرتها وانتفخت حين خروج النبات، والربا

(27) سورة النساء، الآية 29.

(28) ينظر: لسان العرب، 2/ 193.

(29) سورة يوسف، الآية 20.

(30) صحيح مسلم، 3/ 1154، 1412.

(31) ينظر: بلغة السالك، 3/ 4952.

(32) ينظر: لسان العرب، 6/ 91.

(33) سورة فصلت، الآية 39.

شرعا: الزيادة في أشياء مخصوصة، وهذه الأشياء هي: الذهب، والفضة، والبُرّ، والشعير، والتمر، والملح، وتنسحب أحكامها الشرعية على ملحقاتها، فيتْبع الذهب والفضة، الأوراق النقدية والفلوس، فحكمها حكم النقدين سواء بسواء، ولكل صنف توابعه[34].

أنواع الربا: (1) ربا النَّساء، أي ربا التأخير، وهذا النوع من الربا معروف في الجاهلية، وهو أن يؤخِّر الدائن الأجل للمدين إذا عجز عن السداد في موعده، ويزيد عليه قيمة الديْن.

(2) ربا الفضل: هو استبدال صنف ربوي بجنسه متفاضلا، كمرطة من تمر جيد، بمرطتين من تمر رديء، وهذه الجودة لا تعلل ذلك التفاضل؛ لأنهما من جنس واحد، فإذا اختلفت هذه الأصناف جاز التفاضل، على أن يكون مناجزة، يدا بيد[35].

حكم الربا : حرام، بنص الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، وعقده مفسوخ مطلقا[36].

علة الربا: تدور علة الربا حول أمرين اثنين وهما: (1) المطعومية والاقتيات والادخار، وتتحقق هذه العلّة في الأصناف الأربعة: البر والشعير والتمر والملح (2) الثمنية: أي أنها خُلقت لأن تكون ثمنا لأي سلعة في كل مكان وزمان، كالذهب والفضة[37].

الأضرار الاقتصادية للربا: (أ) تكدُّس الأموال في أيدي فئة محدودة من الناس، وهم المرابون، وهو من أشكال اكتناز المال الذي يسبب أضرارا للمجتمع، فيخلق فيه طبقات اجتماعية واقتصادية، ويَحْرم افراده من الانتفاع بهذه الأموال (ب) تصبح كمية النقود أكبر بكثير من السلع التي تقابلها، فينشأ ما يعرف بالتضخم النقدي (ج) يقع المرابون- بأفعالهم- في البطالة المقنّعة؛ لأنهم فئة غير منتجة في المجتمع.

الأضرار الاجتماعية للربا: (أ) يؤدي التعامل الربوي بالمدينين إلى عجزهم عن ردّ المال في الأجل، فيربون مرة تلو المرة، فيَثقل كاهلهم بالديون أضعافا مضاعفة، وتمتلئ نفوسهم حنقا وحقدا على ذلك المرابي، فتتولد الكراهية والفُرقة في المجتمع، والله يدعو إلى اللحمة والاجتماع. (ب) تتكوّن طبقات اجتماعية تتناسب طردا مع الطبقات الاقتصادية، التي تكونت نتيجة التعامل بالربا، فيطرأ عن ذلك هُوّة عميقة بين الأفراد والأُسر، تمنعهم من التقارب، ومن إقامة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، كالصداقة والمصاهرة والشراكة والخُلطة ونحوها.

(34) ينظر: المعونة، 2/ 155.

(35) ينظر: بلغة السالك، 2/ 14.

(36) ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(37) ينظر: بلغة السالك، 2/ 22.

المقصد الدعوي: إن المتاجرة بالمال من جنسه دون عِوض، تنمّي مال المرابي وتثقل كاهل المدين، وتوغل صدره، ولا ينعكس هذا التعامل بالنفع على المجتمع؛ لخلوّه من سلعة بين الطرفين، وهذا الخلوّ يجعله في حكم المال المكنوز؛ لذلك توعّد الحق- عز وجل- المال الربوي بمحوه ونزْع بركته، وحكَم بتحريمه بين عباده، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[38]﴾، **وقال تعالى:** ﴿يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ[39]﴾، **وعندما يحرّم الإسلام الرّبا، فإنه يقي المجتمع من الأزمات الاقتصادية التي يسببها هذا التعامل المتطرف؛ كالتضخم النقدي وغلاء الأسعار...إلخ، ويقيه من حبس المال واكتنازه عند فئة محدودة من الناس، قال تعالى:** ﴿مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ[40]﴾، **كما أن تحريم الربا يقي المجتمع من تفشي البطالة والفراغ بين أفراده، وما يترتب على ذلك من مفاسد، ويقيه أيضا من أمراض النفوس التي تتولد بين الدائن والمدين؛ بسبب الربويات التي تثقل كاهل المدين، وهذه الوقاية تجعل المجتمع يعيش في رخاء اقتصادي، وسِلم اجتماعي، يتحقق معه التقارب المنشود، وتغمر أفراده السعادة، وتعمهم المودة، فحريٌّ بأولي النُّهى الذين يبحثون عن حلول اقتصادية واجتماعية لمجتمعاتهم، ويتوقون إلى الرحمة والمودة في معاملاتهم، وإلى السعادة في حياتهم، أن يعتنقوا هذا الدين الحنيف، الذي يحل البيع ويحرّم الربا واكتناز المال واحتكاره.**

المبحث الرابع: تأثير عدالة الإسلام في حفظ المال:

العدل لغة: مصدر، ضد الجور، وهو ما قام في النفوس على أنه مستقيم[41].

العدل اصطلاحا: هو تسوية نافعة بين الأشياء، أخذا من المعتدي وردّا على المستحق، يحصل بها الصلاح والأمن، وهو أيضا إبلاغ الحق إلى ربِّه، ولو بدون اعتداء ولا نزاع[42].

(38) سورة البقرة، الآية 275.

(39) سورة البقرة، الآية 276.

(40) سورة الحشر، الآية 7.

(41) ينظر: لسان العرب، 11/ 430.

(42) ينظر: التحرير والتنوير، 3/ 91.

سيتناول الباحث في هذا المبحث بعض المعاملات المالية، ومن خلال التشريعات الإسلامية المنظمة لهذه المعاملات، يسلّط الضوء على عدالة الإسلام، التي تعمل على تزكية النفوس من خلال حفظ أموال الأطراف المتعاملة، ومن هذه المعاملات:

(1) القراض: وهو دفع مالكٍ مالا من نقد مضروب، مسلَّم، معلوم، لمن يتّجر به، بجزء معلوم من ربحه، قلّ أو كثر، بصيغة[43]، وبذلك أباح الشرع عائدًا من المال للطرفين حسب اتفاقهما، من المعاملات التي شاعت قبل الإسلام، وأقرّها الإسلام؛ لحاجة الناس إليها، فقد ضارب النبيّ(ﷺ) في مال خديجة(ر)، في تجارة إلى الشام قبل البعثة، وعمل بالمضاربة بعض الصحابة، منهم ابني عمر: عبد الله وعبيد الله(ر. عنهم) في زمن خلافة أبيهم (ر)[44].

(2) الإكراه الشرعي: وهو أن يُجبَر شخص على فعل تتأتى منه مصلحة شخص آخر أو جماعة، ولا سبيل لتحقيق هذه المصلحة إلا من هذا السبيل، والإكراه الشرعي ليس بإكراه؛ لأن المكرِه هنا، هو ولي الأمر حاكما كان أو قاضيا، ومثاله بالنسبة للفرد: لو هدمت بئرٌ في مزرعة شخص فغار ماؤها، فإن القاضي يجبر جاره على مده بالماء بثمن أو بدونه، إلى أن يصلح بئره ويجد الماء، ولو لم يكره صاحب الماء على ذلك، لأصبحت المزرعة كالصريم، ومثاله بالنسبة للجماعة: لو جَرف السيل طريقا تؤدي إلى قرية ولا يوجد مسلك سواها، فإن القاضي يجبر صاحب أرض أخرى لتُشق منها الطريق، ويُعوّض عن أرضه[45].

(3) وضع الجوائح: والجائحة لغة: الشدّة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال[46]، والجائحة اصطلاحا: تلف الثمار أو الزرع بعد بيعه وقبل قبضه، بسبب غير مقدور على دفعه؛ كالجراد والريح والفأر... ونحوها من الآفات[47]، وقد وضَع الشارع الجائحة على المشتري إذا أصابت ثلث المحصول أو أكثر، وكان قد دفع ثمن زرع وهو لا يزال في حقله، أو دفع ثمن ثمار على رؤوس أشجارها قبل أن يضمها إليه، على أن يتحملها البائع عنه، ويرجع عليه بثمن الثلث الهالك، لقوله(e): " لو بِعت من أخيك تمراً فأصابته جائحة، فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئا؛ بم تأخذ مال أخيك بغير حق؟ "[48] فإذا كانت الجائحة أقل من ثلث المحصول، تحملها المشتري؛ لحملها على القليل، ولا يرد إليه ما دفع من مال[49].

(43) ينظر: بلغة السالك، 2/ 226.

(44) ينظر: إسعاف المبطأ، 597.

(45) ينظر: إسعاف المبطأ، 629.

(46) ينظر: لسان العرب، 3/ 233.

(47) ينظر: القوانين الفقهية/ أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزَيّ، دار الحديث، القاهرة، (ب، ط)، (ب، ت)، 2/ 127.

(48) صحيح مسلم، 3/1190.-

(49) ينظر: القوانين الفقهية، 2/ 211.-

المقصد الشرعي: من الأمثلة السابقة يتضح لنا مدى اهتمام الشرع بحفظ المال، كما يلي:
في المعاملة الأولى: أباح الشارع جزءًا من الربح لرب المال الذي بذل ماله وخاطر به، وأباح للذي عمل بذلك المال جزءًا آخر، نظير مخاطرته وضربه في الأرض، ومعاناته النَصَب والجهد، وترَك الشارع تحديد قيمة تلك الأجزاء من الربح للطرفين حسب التراضي، أو قيمة المِثل، وفي ذلك حفظ للمال وتزكية للنفوس، من خلال عدالة الإسلام.
وفي المعاملة الثانية: تتجلى عدالة الإسلام التي تحقق المصالح العامة، وتحفظ أموال الناس، من خلال جبر صاحب الماء على مدّ جاره بالماء؛ ليسقي شجره وزرعه، وأيضا، من خلال شق الطريق؛ ليصل الناس إلى مساكنهم، مع تعويض صاحب الماء، وصاحب الأرض.
وفي المعاملة الثالثة: تظهر عدالة الشارع بوضعه ضوابط لرد المال للمشتري، أو ترْك ذلك المال للبائع، حسب مقدار ما أهلكته الجائحة، وفي ذلك حفظ لمال الطرفين وذرء للخلاف وجلب للتوافق والمودّة.
المقصد الدعوي: إذا تأملنا التشريعات المتعلقة بالمعاملات السالفة، أدركنا أنها تكفل حق من أعطى ماله لمضارب ليعمل به، كما أنها تكفل حق ذلك المضارب وتقدّر له جهده ونصَبه، وتحفظ مال المسلم من الضياع ولو بإكراه فرد- دون أن يتضرر- في سبيل حفظ مال غيره، وتُبعد شبح الغُرم عن المشتري والبائع، وتخفف الضرر عنهما إذا هلكت سلعتهما بسبب قاهر، إلى غير ذلك من التشريعات، التي تضع الحلول للقضايا والمعاملات، ولا شك أنّ هذه التشريعات منبثقة من أصل من أصول الإسلام وهو العدل، الذي يحفظ أموال الناس من التلف والضياع، على اختلاف أحوالهم ودرجاتهم، ويترتب على تحقيق هذا المقصد دفع للغبن والحقد والحسد، فلا يحسد الفقير صاحب المال، بل له أن يعمل بماله عن تراض، ولا يتحسر صاحب المزرعة على مزروعاته إذا فقد ماءه، ولا يغبن الشاري إذا هلكت سلعته بسبب قاهر قبل استلامها، وبهذا المقصد الشرعي الذي يعدل بين الناس، فيحفظ أموالهم ويزكي نفوسهم، ويحفّزهم على العمل والإنتاج، ويقضي على البطالة بينهم، يعيش المجتمع في محبة ووئام، وتكافل وتكامل... فهل من متأمل لهذا المقصد؟ وهل من مجيب لداعي الله على بصيرة؟

الخاتمة والتوصيات:

بعد الانتهاء- بتوفيق من الله تعالى- من كتابة هذا البحث المتواضع، يسرد الباحث نتائجه بشيء من الإيجاز في النقاط التالية:
(1) بما أن المال هو عصب الحياة والمحرك الرئيس لاقتصاد الأمم، فقد جعله الإسلام من كلياته الخمس، وأمر بعدم تعطيل ذلك المحرك بحجة اكتنازه،

وأمـر باسـتثماره وتداولـه، بالطـرق التـي شرعهـا الديـن الإسـلامي الحنيـف، وفي ذلـك طاعـة للـه ورسـوله، وحفـظ للأمـوال، وتزكيـة للنفـوس.

(2) حـرّم الإسـلام الربـا وتوعّـده بالمَحْـق؛ لمـا يسـببه مـن أضرار اقتصاديـة واجتماعيـة بالفـرد والمجتمـع، وأحـلَّ بدلـه البيـع وبـارك فيـه، وأمـر بإنفـاق المـال وجوبـا كالـزكاة وتطوعـا كالصدقـة وبذلـك حفـظ للنـاس أموالهـم، وزكّـى نفوسـهم مـن أمراضهـا، وربّاهـا عـلى الأخـلاق الفاضلـة، كالتكافـل والكـرم والإيثـار والتنفيـس عـلى المكروبـين.

(3) الدعـوة إلى الإسـلام ونصرتـه مـن خـلال الترغيـب فيـه، وإزالـة الرُّهـاب مـن نفـوس غـير المسـلمين، الذيـن امتـلأت نفوسـهم خوفـا مـن المسـلمين، وكرهـا للإسـلام، ولعـل مـن أهـم عوامـل الترغيـب فيـه، حفظـه لمـال الضعفـاء وناقـصي الأهليـة، والعمـل عـلى تزكيـة نفوسـهم.

(4) يـوصي الباحـث بتطبيـق أسـباب حفـظ المـال، فإنـه يقـضي عـلى البطالـة، وعـلى خطـر الجريمـة، وعـلى الانحرافـات المختلفـة، والعالَـم في حاجـة إلى دعـاة يدلُّونـه عـلى هـذا الـدواء.

(5) يـوصي الباحـث بترجمـة الرسـائل العلميـة والأبحـاث الأكاديميـة- لا سـيما الدعوية منهـا- إلى لغـات العالـم المختلفـة، ونشرهـا في أرجـاء المعمـورة، وهـذا العمـل هـو شـكل مـن أشـكال الدعـوة، وتبليـغ كلام اللـه- تعـالى- ورسـوله (ﷺ) القائـل: " بلِّغـوا عنـي ولـو آيـة..."[50].

وصـلى اللـه عـلى خاتـم النبيئـين، وآلـه الطاهريـن، وصحبـه الغـرّ الميامـين، ومـن تبعهـم بإحسـان إلى يـوم الديـن، والحمـد للـه ربّ العالمـين.

فهرس المصادر والمراجع:

اعتمد الباحث ترتيبا هجائيًّا لقائمة المصادر والمراجع، وأخرج القرآن الكريم من هذا الترتيب؛ لمنزلته الرفيعة:

- القرآن الكريم.

1. إسعاف المبطأ برجال الموطأ / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مكتبة دار الآفاق الجديدة، المغرب، (ب. ط)، 1999م.
2. بلغة السالك لأقرب المسالك/ أحمد الصاوي، دار الفكر، بيروت، (ب. ط).
3. التحرير والتنوير/ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، (ب، ط)، (1997م).
4. تفسير الطبري/ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار السلام، مصر، ط 3، 2008م.
5. تفسير القرطبي/ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، دار البيان العربي، القاهرة، ط 1، 2008م.
6. جامع الأمهات لابن الحاجب/ محمد عز الدين الغرياني، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس- ليبيا، (ب. ط)، 2010م.
7. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير/ شمس الدين محمد عرفة الدسوقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (ب. ط)، (ب. ت).
8. سنن ابن ماجة/ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.
9. سنن أبي داود/ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، دار الحديث، القاهرة، (ب، ط)، (1988م).
10. صحيح البخاري/ أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي، المكتبة الثقافية، بيروت، (ب. ط)، (ب. ت).
11. صحيح مسلم/ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، دار الحديث، القاهرة، (ب. ط)، (1991م).
12. القوانين الفقهية/ أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزَيّ، دار الحديث، القاهرة، (ب. ط)، (ب، ت).
13. لسان العرب/ جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، (ب. ط)، 2004م.
14. المعونة على مذهب عالم المدينة/ القاضي عبد الوهاب البغدادي، دار الفكر، بيروت، (ب. ط)، (1999م) .

المرأة من سلطة المقدس إلى سطوة الفقيه
قراءة في صورة المرأة في التصورين السني والشيعي

إعداد د. زهرة عبد العزيز الثابت
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - القيروان/ تونس

الاستلام 3/ 1/ 2021 القبول 14/ 2/ 2021

المستخلص

خلق الله المرأة وأولاها منزلة مهمّة شأنها شأن الرجل، فخصها بسورة باسمها هي "سورة النساء" وجعلها سكنًا لآدم ورفع منزلتها، فنظّم حياتها وأمّن حقوقها الإنسانية بأن حفظ لها حقها في الميراث والزواج والمهر والطلاق، واعتبر وجودها ضروريًا في حمل الرسالة إلى جانب آدم. ولكن المؤسسة الدينية الفقهية سعت من جانبها إلى توضيح صورة المرأة كما ترسمها القرآن الكريم، وتعقبت آياته محاولة أن تميط اللثام عمّا غمض فيها، غير أنها انزاحت عن معاني القرآن محاولة تثبيت فوارق جندرية غائرة بين الجنسين، ورسم صورة للأنثى مناهضة لما أقرّه نص الوحي الإسلامي. وتطمح هذه الورقة العلمية إلى قراءة الصورة التي رسمها عقل الفقيه عن المرأة في المرجعيتين السنية والشيعية اللتين اعتبرتا المرأة ضلعا أعوج، ومصدرا للفتنة، وناقصة عقل ودين.. معتمدين في ذلك نصوصا فقهية متفرقة من المرجعيتين اللتين ذكرنا، ومستأنسين بالمنهجين الاستقرائي والمقارني.

الكلمات المفاتيح: الفقه – المرأة - ضلع أعوج – الفتنة .

Absract

God created woman , and gave her special status, as man, also, God named « a surah » in the Holy Qur'an in her name « Surat al –Nisaa », made her a residence for « Adam », so he organized her life and secured her human rights by preserving her right to inheritance, marriage, dowry, and divorce. And considered her presence is essential in carring the message along with Adam.However, the religious jurisprudential establishment, on its part, sought to clarify the image of wolen as drawn by the Holy Qur'an, and followed its verses « Ayat » in an attempt to explain it. None the less, al-faqih abandoned the meanings of the Holy Qur'an, and tried to fix deep

gender diffrences, and to paint a female image in opposition to what was approved by the text of islamic revelation.

This paper aims to read the al–faqih's perception of women in the the Sunni and Shi'ite references, which considered women a crooked rib, a source of lust, an impure creature, and deficient in reason and religion . And this is done through various jurisprudential « Faqih 's texts from the two references, using the inductive and comparative approaches.

Keywords : Al–fikh – woman – a crooked rib – lust – deficient in reason and religion – impure.

مقدمة البحث

لم تحظ المرأة في العصور القديمة بمنزلة مهمة في المجتمع الذكوري، ناهيك أنها كانت مهيضة الجناح مسلوبة الإرادة لا حق لها في أبسط الأمور بالحياة؛ لذلك اضطهدت وعذبت ووئدت واستبيح جسدها ونكل بها أيما تنكيل، لأنه لا سيادة في وسطها المجتمعي إلا للرجل الذي فرض عليها هيمنته حتى صارت أسيرة له، وفي تبعية لنواميسه الذكورية التي شيدها، فنشأت كائنا ضعيفا لا هوية له، واغتصبت حقوقها الإنسانية لأنها كانت في المنظور الذكوري باعثا على الخوف والريبة، فأخشى ما يخشاه الرجل أن تمسك المرأة بزمام السيادة كما كانت في الأساطير القديمة وفي المجتمعات الأمومية، فيهوي صرحه الذي بناه وتتلاشى سيادته التي وطّن نفسه عليها.

وظلت المرأة على ذاك الوضع إلى حين أن عرف الإنسان الدين الذي نظّم حياته، وكفل إلى حدّ ما حقوق الجنسين، وأعيد الاعتبار للمرأة خصوصا في المسيحية والإسلام، إذ إن النص الديني المقدس نظّم علاقة الرجل بالمرأة ونبه إلى قيمتها في المجتمع ومنحها بعض حقوقها الإنسانية، كحقها في الميراث والزواج والمهر والطلاق وغيرها.. وحاولت المؤسسة الدينية الفقهية في الإسلام أن تجتهد لتدرك كنه هذه الحقوق، محاولة بذلك أن ترسم ملامح منزلة المرأة في المجتمع الإسلامي، لكنها لم تنصف المرأة حقها بل إنها أمعنت في رسم صورة مهينة لها، انتهت إلى اعتبار المرأة كائناً خطيراً مخيفاً.

ونروم من خلال هذه الورقة العلمية النبش في صورة المرأة كما رسمها متخيل الفقيه المسلم السني منه والشيعي، الذي اعتبر المرأة ناقصة عقل وضلعا أعوج وذاتا تبعث على الفتنة. عدتنا في ذلك نصوص استقيناها من المدونتين الفقهيتين السنية والشيعية، وقد استضأنا في قراءة هذين النصين لاستجلاء صورة المرأة بالمنهج الاستقرائي التحليلي والمنهج المقارني، فكيف تصور الفقيه المرأة قديما؟ وإلى أي مدى كانت أدواته المنهجية ناجعة في طرق قضية المرأة وترسم صورتها؟

1 – صورة المرأة في النصوص المقدسة

تبوأت المرأة منزلة مهمة في النصوص الدينية المقدسة، فهي قد حضرت في التجارب النبوية حضورا باهرا، غير أن مكانتها تباينت من ديانة إلى أخرى. فاليهودية قد حطت من شأن المرأة معتبرة إياها من سقط المتاع، لأنها تحملها وزر الخطيئة ووزر إخراج آدم من الجنة؛ لذلك قللت من شأن المرأة واعتبرتها رمزا للشرور والأعمال الدنيئة، "فالمتدبر لذكر النساء في التوراة يجد أغلبهن غير صالحات من حيث العبادة أو الخلق وكأن التوراة تعرض فضائحهن

لا فضائلهن"[1] ، فحواء هي صاحبة المعصية الأولى وبعض النساء اللائي ذكرن عبدن الأوثان، وأخريات زانيات كتامار وراحاب وزوجة فوطيفار وابنتا لوط، وفئة منهن خادعات ماكرات كإزابيل ورفقة، بل إنّ اليهودية قد بخست المرأة حقوقها سواء في الزواج أو الميراث أو الطلاق في نصها التأسيسي وفي التلمود. خلافًا للإسلام الذي اعترف بالمرأة كيانا فاعلا في الحياة إلى جانب الرجل، فهو قد خص المرأة بسورة باسمها، وهي "سورة النساء"، وسورة أخرى باسم "مريم"، واعتبرها سكنا للرجل ، بل إن وجودها ضروري للاستخلاف على وجه البسيطة. ووضح الإسلام حقوقها في الزواج والميراث، وبيّن للرجل آداب التعامل معها، فهما قد خلقا من نفس واحدة وخلقت المرأة سكنا له. فقد جاء قوله تعالى: "هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا" [2].

ولمّا كان نص الوحي الإسلامي نصاً قابلاً في كثير من مواضعه للتأويل، وكتاباً مفتوحاً يحتمل القراءة والتأويل ، عمدت المؤسسة الدينية الفقهية إلى قراءة فراغاته موهمة المتلقي بـ"قراءة فعالة منتجة تعيد تشكيل النص وإنتاج المعنى"[3]؛ لأن المسلمين أصبحوا منذ "انقطاع الوحي يعيشون ما يسمى بالوضع التأويلي"[4]. وكان موضوع المرأة من المواضيع التي استفزت الفقيه، فانبرى لتفسير الآيات المتعلقة بالأنثى وصناعة تبريرات تثبت السلطة الذكورية والعلاقة التراتبية بين الجنسين، إذ الناظر في أحكام النساء لدى الفقهاء يلحظ أنهم "يقدّمون فيها دعامة دينية لسلطة الرجل على المرأة باسم الإسلام، معربين بما يستنبطونه من أحكام عن مركزية لاهوتية قضيبية"[5]. ويستشف ذلك من خلال الاتهامات التي وجهها الفقيه إلى المرأة وهو يقرأ نصّ الوحي ويتدبر آياته المتعلقة بقضايا المرأة، فذهب إلى اعتبارها ناقصة عقل ودين وضلعا أعوج ومصدرا للفتنة وكائنا نجسا.

2 – صورة المرأة في متصوّر الفقيه المسلم

* المرأة الضلع الأعوج: تضرب قصة الضلع بعمقها في الأسطورة السومرية إذ هو ضلع الآلهة نن – تي، أو سيدة الضلع التي أنقذت حياة الإله إنكي، بعد أن أصيب في ضلعه جراء أكله من النباتات التي حرمتها الألهة ننخرساج، فقد خاطبت هذه الآلهة إنكي قائلة:

(1) زكي علي السيد أبو غضة، المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى 2003، ص.19.

(2) انظر الأعراف7 :189.

(3) علي حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 1993، ص.9.

(4) عبد المجيد الشرفي، الإسلام والحداثة، الدار التونسية للنشر، تونس، سلسلة موافقات، 1999، ص.17

(5) الشاهد لعادل خضر ص.16، ضمن كتاب رجاء بن سلامة، بنيان الفحولة، دار المعرفة للنشر، تونس، د.ت.

"يا أخي ما يؤلمك
إن ضلعي هي التي تؤلمني
لقد أولدت من أجلك الآلهة
نن – تي(أي سيدة الضلع أو السيدة التي تحيي)".[6]

وتكشف هذه الأسطر أن الإله الذكر كان في تبعية للآلهة الأنثى التي بدت متحكمة في حياته؛ لأنها ماسكة لسلطة الحياة والموت، لكن هذه الصورة سرعان ما تتغير عند الرحيل الثقافي من الأسطورة إلى اليهودية، حين تتحوّل سيدة الضلع إلى مجرد ضلع أُخِذ من الرجل. وذلك عندما "أَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلَهَ آدَمَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ ثُمَّ تَنَاوَلَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلاَعِهِ وَسَدَّ مَكَانَهَا بِاللَّحْمِ وَعَمِلَ مِنْ هَذِهِ الضِّلْعِ اِمْرَأَةً أَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ"[7]. وتكشف هاتين الآتين على "مدى التفنن والمكر في تحوير التاريخ بما يتناسب وحقيقة المخيلة البشرية وبنيتها الثقافية"[8]. بل إنّهما قد أبانتا عن سعي إلى سحب النفوذ من الأنثى لتصبح في تبعية للذكر، إذ منه منبتها ومن ضلعه خلقت فكانت عظما من عظامه ولحما من لحمه[9]، بل إنها على نظيره قُدَّتْ، لأنه "لَمْ يَجِدْ لِنَفْسِهِ مُعِينًا مُشَابِهًا لَهُ"[10].

ويلحظ القارئ الحصيف للنصوص التراثية في الإسلام أن هذه الأسطورة قد استشرت في تلافيفها، فالمتدبر لتفسير الطبري مثلا يقف عند ثلاثة أحاديث تناقلها السلف تؤكد خلق حواء من ضلع آدم، وهي كالآتي:

الحديث الأول: "حدّثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة "وخلق منها زوجها" يعني حواء خلقت من آدم من ضلع من أضلاعه"[11].

الحديث الثاني: "حدثني موسى بن هارون قال: ثنا عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط عن السدي قال: أُسكن آدم الجنة، فكان يمشي فيها وحشا، ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ وإذا عند رأسه امرأة قاعدة، خلقها الله من ضلعه فسألها: ما أنت؟ قالت: امرأة. قال: ولمَ خلقتِ؟ قالت: لتسكن إليّ"[12].

الحديث الثالث: "حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن إسحاق، قال: ألقي على آدم – صلى الله عليه وسلم – السِنة، فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم، عن عبد الله بن عباس وغيره، ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الأيسر ولأم مكانه لحما، وآدم نائم لم يهبب من نومته، حتى

(6) صموئيل كريمر، من ألواح سومر، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، د.ت.، ص.248.

(7) سفر التكوين 2: 21 – 22.

(8) إبراهيم محمود، الضلع الأعوج، ص.86.

(9) انظر: التكوين 2: 23.

(10) التكوين 2: 20.

(11) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص.341.

(12) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء، فسوّاها امرأة، ليسكن إليها، فلما كشف عنه السِنة وهبَّ من نومته رآها إلى جنبه، فقال: فيما يزعمون - والله أعلم- : لحمي دمي وروحي، فسكن إليها"[13].

وجليٌّ في هذه الأحاديث أن متصور خلق المرأة من ضلع آدم إنما يغتذي من المتخيل، ومما ترسب في ذاكرة المفسر المسلم من الإسرائيليات، ذلك أن خطاب الطبري يمتح في أصل معناه مما انتهى إليه من أخبار أهل التوراة؛ لأن المفسر مهووس بإماطة اللثام عما ورد غامضا في قول القرآن في سورة النساء: "يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا"[14]، وما كان له أن يرفع هذا الغموض إلا بالاستناد إلى النص التوراتيّ، فكان هذا النص المرجعي عاضدا لخطاب المفسر الذي كانت معانيه في تفسير هذه الآية امتدادا للمعاني التوراتية، فأكد بذلك تبعية المرأة للرجل وأفضليته عليها في أصل التكوين، وهي ليست إلا محاولة لطمس كيان الأنثى نسفا لهويتها، وهو ما نعثر عليه أيضا في كتب الصحاح، فالبخاري في صحيحه يذكر حديثا جاء فيه قوله: "حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَمُوسَى بْنُ حِزَامٍ قَالَا: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ زَائِدَةَ عَنْ مَيْسَرَةَ ٱلْأَشْجَعِيِّ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِذَا ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ"[15].

ويذهب ابن حجر العسقلاني في أثناء تعقيبه على هذا الحديث إلى أن حواء " خلقت من ضلع آدم الأيسر وقيل من ضلعه القصير"[16]، محاولا بذلك تكريس تبعية المرأة للرجل ودونيتها، إذ العوج في المرأة إنما هو في لسانها[17]؛ لذلك فلا استقامة لها، ولا اكتمال إلا بالرجل، لأنه خُلِق وصيا عليها في عرف الفقيه.

ونكاد نقف عند التصور نفسه حين نرحل نحو الفكر الشيعي، إذ يستوقف القارئ الحصيف في المدونة الشيعية حديث لا يخلو من طرافة، جاء فيه أن ابن سلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "فَأَخْبِرْنِي عَنْ آدَمَ خُلِقَ مِنْ حَوَّاءَ أَوْ خُلِقَتْ حَوَّاءُ مِنْ آدَمَ؟ قَالَ: بَلْ حَوَّاءُ خُلِقَتْ مِنْ آدَمَ، وَلَوْ كَانَ آدَمُ خُلِقَ مِنْ حَوَّاءَ لَكَانَ الطَّلَاقُ بِيَدِ النِّسَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ بِيَدِ الرِّجَالِ. قَالَ: فَمِنْ كُلِّهِ خُلِقَتْ أَمْ مِنْ بَعْضِهِ؟ قَالَ: بَلْ مِنْ بَعْضِهِ، وَلَوْ خُلِقَتْ مِنْ كُلِّهِ لَجَازَ الْقَصَاصُ فِي النِّسَاءِ كَمَا يَجُوزُ فِي الرِّجَالِ. قَالَ: فَمِنْ ظَاهِرِهِ أَوْ بَاطِنِهِ؟ قَالَ: بَلْ مِنْ بَاطِنِهِ، وَلَوْ

(13) المرجع نفسه، صص.342-341.

(14) النساء 4 : 1

(15) البخاري، الصحيح، حديث رقم 4889.

(16) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج10، ص.19

(17) انظر المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

خُلِقَتْ مِنْ ظَاهِرِهِ لَانْكَشَفْنَ النِّسَاءُ كَمَا يَنْكَشِفُ الرِّجَالُ؛ فَلِذَلِكَ صَارَ النِّسَاءُ مُسْتَتِرَاتٍ. قَالَ: فَمِنْ يَمِينِهِ أَوْ مِنْ شِمَالِهِ؟ قَالَ: بَلْ مِنْ شِمَالِهِ وَلَوْ خُلِقَتْ مِنْ يَمِينِهِ لَكَانَ لِلْأُنْثَى كَحَظِّ الذَّكَرِ مِنَ الْمِيرَاثِ، فَلِذَلِكَ صَارَ لِلْأُنْثَى سَهْمٌ وَلِلذَّكَرِ سَهْمَانِ، وَشَهَادَةُ اِمْرَأَةٍ مِثْلُ شَهَادَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ. قَالَ: فَمِنْ أَيْنَ خُلِقَتْ؟ قَالَ: مِنْ الطِّينَةِ الَّتِي فَضُلَتْ مِنْ ضِلْعِهِ الْأَيْسَرِ"[18].

والمتمعّن في هذا الحديث يلحظ أنه يرشح نفسا ذكوريا، وأن الفقيه إنّما يهفو إلى تثبيت ملامح الهيمنة الذكورية، وهي هيمنة تدعّمت بأفضلية الذكر على الأنثى التي يمكن أن نوضّحها بالرسم البياني التالي:

آدم	حواء
الأصل الذي خلقت منه المرأة (حواء).	مخلوق من ضلع آدم
الظاهر	مخلوق من باطن آدم
اليمين	مخلوق من شمال آدم
خلق من أفضل الطين.	مخلوق من الطينة التي فضلت من ضلعه الأيسر.
بيده الطلاق	لاحق لها في الطلاق
له سهمان في الميراث	لها سهم واحد في الميراث

فهذا النص إذن نص يمعن في تقرير تبعية المرأة للرجل، بل يحاول أن يكرّس نظرة دونية للمرأة بحجج تبدو واهية. فالمرأة خلقت من آدم؛ لأنه قوّام عليها. فهو مالك لزمام سلطة الطلاق، وهي خلقت منه لأنه الأفضل، إذ حظه في الميراث أكثر من حظ الأنثى، وهي خلقت من باطنه؛ لأنها عورة وجب حجبها والتستر عليها، بل هي لا قيمة لها ما دامت قد خلقت من بقايا الطينة التي خلق منها آدم. إن هذا الخطاب الشيعي ذكوري بامتياز وهو يضمر تخوفا من الجنس الأنثوي، لذلك يعمد إلى تصميته وحجبه واستنقاصه، لتظل المرأة في عرف الرجل "فضلة تاريخه أو حصيلة ما عرف به تاريخيا، أي ملحقة به ومنضمة إليه، ليكون جسده هو الأصل وهي مرئية باسمه"[19].

* المرأة الفتنة :

يقف المتقفّي لأثر كلمة "فتنة " في مظانها المعجمية على مداليل متنوعة لهذا المفهوم، إذ الفتنة في لسان العرب مثلا دالة على معاني الابتلاء والامتحان والاختبار والإحراق بالنار والمحنة والكفر والمال والأولاد، وهي أيضا الإعجاب، "فيقال فُتن

(18) المجلسي، بحار الأنوار، الجزء11، ص.102.

(19) إبراهيم محمود، الجسد البغيض للمرأة، ص.162.

الرجل بالمرأة وافتتن، وأهل الحجاز يقولون: فتنته المرأة إذا ولهته وأحبها"[20].
وتذكر صوفية بن حتيرة أنها تعني "المرأة الجميلة، وهي تتضمن فكرة المرأة القدرية التي تفقد بإغرائها الرجال سيطرتهم على نفوسهم، لما تتوفر عليه من جاذبية قاهرة تهزم إرادة الرجل المتمنعة، وتحيل دوره إلى دور سلبي لا يملك إلا أن ينقاد إلى جاذبيتها"[21]. ولكن المتأمل في نص الوحي الإسلامي يعدم وجود معنى للفتنة اتصل بالمرأة، على الرغم من تواتر هذه اللفظة في اثنين وعشرين موضعا من هذا النص[22]. بل إن القرآن الكريم تطرق إلى خطيئة آدم وحواء في العالم السماوي، ولكنه لم يذكر أن حواء كانت سببا في فتنة زوجها وإخراجه من الجنة إلى الأرض، ومن رحاب المقدس إلى فوضى الدنيوي. بل أكد أن الشيطان هو الذي أزلهما فأكلا من الشجرة، وكان اقتراف المحظور عملا ثنائيا تقاسمه الزوجان معا.

لكن الناظر في المدونة الفقهية يلحظ أن فتنة المرأة شكلت قضية جوهرية عند الفقهاء المسلمين، وأنهم حملوا المرأة مسؤولية خروج آدم من الجنة وغضب الله منه، لأن حواء فتنته حين أغرته بمذاق الشجرة التي نهى عنها الرب. فكانت المرأة رمزا للفتنة. وإن متصفحا لجامع الأحكام يتنبه إلى أن صاحبه القرطبي قد أقر بأن المرأة فتنة، وأنها أحبولة من حبائل الشيطان، ونبه من مغبة خطورتها، فهو القائل في تفسير الآية الرابعة عشرة من (آل عمران): "قوله تعالى: "من النساء" بدأ بهن لكثرة تشوق النفوس إليهن؛ لأنهم حبائل الشيطان وفتنة الرجال، قال رسول الله (ص): مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ"[23]، بل إننا نلفي المفسر يجنح بخياله العجيب، فيعتبر أن في النساء فتنتين، إحداهما: "أن تؤدي إلى قطع الرحم؛ لأن المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأمهات والأخوات، والثانية: يبتلى بجمع المال من الحلال والحرام"[24].
وعليه إذن تستحيل المرأة رمزا للشر، لذلك ظل هاجس الخوف من هذا الكيان الأنثوي واقعا لا فكاك للمفسر منه، حتى أنه نبه من مغبة إسكان المرأة البيت؛ لأنها جالبة للفتنة والبلاء، ويستند القرطبي في هذا المستوى إلى حديث مروي عن عبد الله بن مسعود، جاء فيه أن الرسول (ص) قال: "لَا تُسْكِنُوا نِسَاءَكُمْ الْغُرَفَ وَلَا تُعَلِّمُوهُنَّ الْكِتَابَ". ويعقّب المفسر على هذا الحديث بزعمه أن رسول الله (ص) "حَذَّرَهُم؛ لِأَنَّ فِي إِسْكَانِهِنَّ الْغُرَفَ تَطَلُّعًا إِلَى الرِّجَالِ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ تَحْصِينٌ لَهُنَّ وَلَا

(20) انظر لسان العرب، مادة فتن.

(21) صوفية بن حتيرة، الجسد والمجتمع، ص.48.

(22) هي سور البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة ويونس والإسراء وطه والأنبياء والحج والنور والفرقان والعنكبوت والأحزاب والصافات والزمر والقمر والممتحنة والتغابن والجن والمدثر.

(23) انظر القرطبي، الجامع في أحكام القرآن، ج.5، صص43 - 44.

(24) المرجع نفسه، ص.44.

سِـتْرَ، لِأَنَّهُـنَّ قَـدْ يُشْرِفْـنَ عَـلَى الرِّجَـالِ، فَتَحْـدُثُ الْفِتْنَـةُ وَالْبَـلَاءُ، وَلِأَنَّهُـنَّ خُلِقْـنَ مِـنَ الرَّجُـلِ فَنَهَمُهُـنَّ فِي الرَّجُـلِ، وَالرَّجُـلُ خُلِقَـتْ فِيـهِ الشَّـهْوَةُ وُجُعِلَـتْ سَـكَنًا لَـهُ، فَغَـيْرُ مَأْمُـونٍ كُلُّ وَاحِـدٍ عَـلَى صَاحِبِـهِ"[25].

ولا يختلـف تصـور المفسر الشـيعي عـن نظـيره السـني ذلـك أن مفسـرا مثـل الطـبرسي اعتـبر أن الفتنـة هـي بالنسـاء أعظم، والمـرأة شـبيهة في أفعالهـا بالشـيطان، ويسـتند إلى حديـث الرسـول الـذي ذكرنـا آنفـا، بـل يذهـب إلى تعزيـز موقفـه المتهـم للمـرأة بحديـث للإمـام عـلي بـن أبـي طالـب، باعتبـاره رمـزا للقداسـة ورمـزا للسـلطة الدينيـة التـي يسـتمدها مـن الرسـول محمـد، فيكـون خطابـه فاعـلا في المتقبـل فاعليـة خطـاب محمـد في أمتـه، وقـد جـاء في حديـث عـلي مـا نصـه: "الْمَـرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَـا وَشَرُّ مَـا فِيهَـا أَنَّـهُ لَا بُـدَّ مِنْهَـا، وَهْـيَ عَقْـرَبٌ حُلْـوَةُ اللَّسْـعَةِ" [26].

ويبـدو أن تشـبيه المـرأة بالشـيطان تواتـر في مرويـات كثـيرة في المرجعيتـين السـنية منهـا والشـيعية، منهـا حديـث: "الْمَـرْأَةُ تُقْبِـلُ وَتُدْبِـرُ فِي صُـورَةِ شَـيْطَانٍ"[27]، وحديـث "اِتَّقُـوا اللـهَ وَاتَّقُـوا النِّسَـاءَ، فَـإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَـةِ بَنِـي إِسْرَائِيـلَ كَانَـتْ مِـنَ النِّسَـاءِ"[28]، وحديـث: "لَـوْلَا النِّسَـاءُ لَعُبِـدَ اللـهُ حَقًّـا"[29]، وحديـث: "خَلَـقَ اللـهُ الشَّـهْوَةَ عَـشْرَةَ أَجْـزَاءٍ، فَجَعَـلَ تِسْـعَةَ أَجْـزَاءٍ فِي النِّسَـاءِ وَجُـزْءً وَاحِـدًا فِي الرِّجَـالِ، وَلَـوْ مَـا جَعَـلَ اللـهُ فِيهِـنَّ مِـنَ الْحَيَـاءِ عَـلَى قَـدْرِ أَجْـزَاءِ الشَّـهْوَةِ، لَـكَانَ لِـكُلِّ رَجُـلٍ تِسْـعُ نِسْـوَةٍ مُتَعَلِّقَـاتٍ بِـهِ"[30]، وحديـث: "إِنَّ اللـهَ جَعَـلَ لِلْمَـرْأَةِ صَـبْرَ عَـشْرِ رِجَـالٍ، فَـإِذَا هَاجَـتْ كَانَـتْ لَهَـا قُـوَّةُ شَـهْوَةِ عَـشْرَةِ رِجَـالٍ"[31].

فالمـرأة عـلى هـذا النحـو كائـن متهـم؛ لأنهـا مصدر للـشرور لذلـك كان لابـدّ مـن حجبها، إذ هـي الجسـد الفاتـن الواعـد بالشـبق وبالرغبـة الحـرام في عـرف الفقهـاء، بـل هـي الجسـد العـورة الـذي ينبغـي التسـتر عليـه، وقـد أفاضـت المدونـة الحديثيـة السـنية في اعتبـار المـرأة عـورة صوتـا وجسـدا. أمـا الشـيعة فقـد اعتبروهـا عـورة لا سـتر لهـا إلا في البيـوت، وقـد شـاع بينهـم حديـث "النِّسَـاءُ عِـيٌّ وَعَـوْرَةٌ فَاسْـتُرُوا الْعَـوْرَاتِ بِالْبُيُـوتِ وَاسْـتُرُوا الْعِـيَّ بِالسُّـكُوتِ"[32].

بـل إن الطريـق في التصـور الشـيعي أن تخـوف الفقهـاء مـن عـورة المـرأة قـد دفعهـم إلى تقييـد حركتهـا عنـد الصـلاة، محاولـة منهـم ضبـط جسـد الأنثـى؛ لأنـه في نظرهـم

(25) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(26) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج 2، ص.205.

(27) البخاري، الصحيح، طبعة السلطان عبد الحميد الثاني، القاهرة 1315هـ، ج7، ص.8.

(28) المرجع نفسه، ص.38.

(29) من لا يحضره الفقيه، ج.3، ص.390.

(30) المرجع نفسه، ج3، ص.468.

(31) المجلسي، بحار الأنوار، ج100، ص.241.

(32) من لا يحضره الفقيه، ج.3، ص.390.

يثير الريبة وهو كيان مارق عن المألوف. فقد جاء في كتاب "من لا يحضره الفقيه" وفي باب آداب المرأة في الصلاة قول صاحبه: " وإذا قامت المرأة في صلاتها بين قدميها ولم تفرج بينهما، ووضعت يديها على صدرها لمكان ثدييها، فإذا ركعت وضعت يديها فوق ركبتيها على فخذيها لئلا تطأطأ كثيرا، فترتفع عجيزتها وإذا أرادت السجود جلست ثم سجدت لائطة بالأرض، وتضع ذراعيها في الأرض، فإذا أرادت النهوض إلى القيام رفعت رأسها من السجود وجلست على إليتيها كما يقعى الرجل، ثم نهضت إلى القيام من غير أن ترفع عجيزتها تنسل انسلالا، وإذا قعدت لتشهّد رفعت رجليها، وضمت فخذيها، والحرة لا تصلي إلا بقناع والأمة تصلي بغير قناع"[33].

ويستشف من هذا الحديث أن الفقيه يضمر توجسا من جسد المرأة ومفاتنها التي تواتر تعدادها بين الثديين والعجيزة والإليتين، وكلها دالة على معاني الخصوبة والامتلاء التي يتشوف إليها الذكر ويستهيم بها، لأنها مثيرة لغلمته، لذلك بات متخوّفا منها، فقد لا يقوى على مقاومة جبروتها. لأنه جسد واعد بالملذات محرك للشهوة، فالذكر ههنا يبطن في لاوعيه شعورا بالضعف إزاء الكائن الأنثوي، لذلك فهو يهابه ويحاول فرض هيمنته عليه بتطويقه بجملة من الأحكام والآداب، بغرض تطويعه بل طمس هويته ومواراته وراء الحجاب، إذ الحرة لا تصلي إلا بقناع. بل إن القناع نفسه يخضع لتراتبية يصنعها الذكر فليست الحرة كالأمة. باختصار إن الفقيه ههنا يحاول أن يؤسس معالم قوة رمزية، يستهيم بها ليمارس سلطته على الجسد الأنثوي فيضحي رقيبا عليه.

وقد استندت المؤسسة الفقهية في الدفاع عن موقفها المقصي للمرأة والحاجب إياها بآيتي الحجاب، وهما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا[34]﴾، وقوله أيضا: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ[35]﴾. وذهب الفقهاء في تفسير هاتين الآيتين مآرب شتى، ولكننا لن نعرض لاختلافاتهم في قضية إدناء الجلابيب أو إخفاء الزينة؛ لأنّ ما يعنينا أساسا أن اعتبار المرأة فتنة يخفي في الحقيقة تخوفا باطنيا من الكيان الأنثوي ومن عورته، لأنها لغز محير وثغر مخوف في المتصور الذكوري، إذ هي قد تثير غلمة الذكر وإذن فتغطيته جسد المرأة ليس إلا "تغطية للشيآنية الرجالية وتغطية للخصاء النسائي، وإخفاء لهذا الذي إن ظهر يحرّك رواكد النفس ويهتك

(33) من لا يحضره الفقيه، ج1، ص.259.

(34) الأحزاب 33: 59.

(35) النور24: 31.

المســتور"[36].
فالفقيــه إذن إنّمــا يســتهيم ببســط نفــوذه وتضخيــم ســلطته الذكوريــة عــبر اتهــام هذا الجســد بالفتنــة وحجبــه، لأنــه يتوجّــس خيفــة مــن "طغيــان المــرأة عليــه واســتحواذها عــلى قلبــه وســلطته"[37]. وليــس أدلّ عــلى ذلــك مــن خوفــه مــن مجالســته إياهــا، يقــول الصــدوق في هــذا الغــرض: "إذا جلســت المــرأة مجلســا فقامــت عنــه، فــلا يجلــس في مجلســها أحــد حتــى يــبرد"[38]، بــل إنّــه يكــره مصافحتهــا تأســيا بالإمــام عــلّي، فقــد " كان عليــه الســلام يســلم عــلى النســاء، وكان يكــره أن يســلم عــلى الثانيــة منهــن، وقــال: أتخــوف أن يعجبنــي صوتهــا فيدخــل مــن الإثــم عــليَّ أكثــر ممــا أطلــب مــن الأجــر"[39]. فالفقيــه إنمــا يقتــدي بالإمــام عــليّ، لأنــه يضطلــع بــدور الحامــي للمؤسســة الدينيــة، وأولى خطــوات هــذا الــدور طاعــة الزعيــم/ الرمــز، ثــم إن "الأديــان هــي مؤسســات سياســية اجتماعيــة تقــوم عــلى تراتبيــة قضيبيــة (phallique) أساســها الطاعــة، طاعــة ولي الأمــر أو طاعــة الفقيــه أو طاعــة القــس"[40].

* المرأة الكائن النجس :

تبــوأت قضيتــا الطهــارة والنجاســة منزلــة مهمــة في النصــوص الدينيــة المقدســة، وفي المباحــث الفقهيــة في ســائر الديانــات التوحيديــة، فألمعــت التــوراة إلى بعــض أحكامهــا في ســفر اللاويــين، وخصصــت بابــا مهمــا في التلمود أســمته بالطهــارات "طهــروت"، وكانت المســيحية في بعــض وجوههــا امتــدادا للتعاليــم اليهوديــة، إذ لــم تجــبّ الأحــكام المتعلقــة بطهــارة البــدن التــي أومــأت إليهــا اليهوديــة، وإنّمــا أكــدت عــلى الطهــارة الروحيــة. أمّــا القــرآن الكريــم فقــد نــص هــو الآخــر عــلى طهــارة الــدم وطهــارة الجســد عنــد الصــلاة والصيــام والنــكاح، وقــد أفاضــت كتــب الفقــه في توضيــح هــذه المســائل.

غــير أن المتمعــن في بــاب الطهــارة في الكتــب الفقهيــة الســنية منهــا والشــيعية، يلحــظ أن قضيــة طهــارة المــرأة قــد اســترعت انتبــاه الفقهــاء، حتــى شــاع في طيــات نصوصهــم اتهــام المــرأة بأنهــا كائــن نجــس والنجاســة هــي القــذارة.

وقــد أســعف التصــور الفقهــي الســني المــرأة إلى حــدّ مــا، فأبــاح مجالســتها في أثنــاء فــترة الحيــض أو مؤاكلتهــا، إذ يذكــر البخــاري في صحيحــه وفي تفســير قولــه تعــالى: "وَيَسْــأَلُونَكَ عَــنِ الْمَحِيــضِ" أن هــذه الآيــة إنّمــا نزلــت بســبب قــوم كانــوا يتجنبــون الاختــلاط بالحائــض، فبــين اللــه بهــذه الآيــة قصــور فهمهــم وأن الاجتنــاب المقصــود هو الجمــاع. يقــول البخــاري في هــذا الصــدد: "وإنّمــا كان القــوم ســألوا رســول اللــه – صــلى

(36) ألفة يوسف، ناقصات عقل ودين، دار سحر للنشر، ط.6، سنة 2016، ص.110.

(37) أمال قرامي، الاختلاف في الثقافة العربية، ص.642.

(38) من لا يحضره الفقيه، ج3، ص.305.

(39) من لا يحضره الفقيه، ج3، ص.307.

(40) الفة يوسف، ناقصات عقل ودين، ص.87.

الله عليه وسلم - فيما ذكر لنا عن الحيض، لأنهم كانوا قبل بيان الله لهم ما يتبينون من أمره، لا يساكنون حائضا في بيت، ولا يؤاكلهن في إناء، ولا يشاربوهن، فعرّفهم الله بهذه الآية أن الذي عليهم في أيام حيض نسائهم أن يتجنبوا جماعهن فقط، دون ما عدا ذلك من مضاجعتهن ومؤاكلتهن ومشاربتهن"[41].

بل إنّ البخاري لا يتوانى عن ذكر أحاديث وردت على لسان عائشة جاء فيها قولها أنَ الرسول محمدا كان يتكئ في حجرها وهي حائض، ثم يقرأ القرآن[42]، وأنه كان يغتسل معها وهي حائض من نفس الإناء[43]، كما يذكر البخاري أيضا حديثا جاء فيه أن النبي كان يضطجع مع زوجه وهي حائض. مثلما يجليه الخبر التالي الذي نصه: "حَدَّثَنَا الْمَكِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ عَنْ يَحْيَ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ سَلَمَةَ أَنَّ زَيْنَبَ ابْنَةَ أُمِّ سَلَمَةَ حَدَّثَتْهُ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ حَدَّثَتْهَا قَالَتْ: بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعَةً فِي خَمِيصَةٍ إِذْ حِضْتُ، فَانْسَلَلْتُ فَأَخَذْتُ ثِيَابَ حَيْضَتِي. قَالَ: أَنُفِسْتِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَدَعَانِي فَاضْطَجَعْتُ مَعَهُ فِي الْخَمِيلَةِ"[44].

وجليّ إذن من خلال هذه الأحاديث التي أوردنا أن الفقيه السني مرن في التعامل مع المرأة الحائض، وهو أمر نعدم وجوده عند رحيلنا إلى التصور الشيعي الذي اعتبر المرأة نجسة؛ لأنها تحيض. والحيض في نظرهم لعنة وعقاب إلهي رمى به الله النسوة جراء تبرجهن. يذكر الصدوق في هذا الغرض حديثا طريفا وغريبا نصه الآتي: "وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: إن الحيض نجاسة رماهن الله عز وجل بها، وقد كانت النساء في زمن نوح عليه السلام إنما تحيض المرأة في السنة حيضة، حتى خرج نسوة من مجّانهن وكن سبعمائة امرأة، فانطلقن فلبسن المعصفرات من الثياب، وتحلين وتعطرن ثم خرجن فتفرقن في البلاد، فجلسن مع الرجال، وشهدن الأعياد معهم وجلسن في صفوفهن، فرماهن الله عز وجل بالحيض عند ذلك في كل شهر. يعني أولئك النسوة بأعيادهن فسالت دماؤهن، فأخرجن من بين الرجال، فكن يحضن في كل شهر حيضة، فشغلهن الله تعالى بالحيض، وكسر شهوتهن"[45].

ويبدو أن اعتبار الفقيه الشيعي حيض المرأة عقابا إلهيا إنما هو رأي يمتح من معين الفكر الديني اليهودي، فقد جاء في سفر التكوين قوله: "ثُمَّ قَالَ لِلْمَرْأَةِ أُكْثِرُ تَكْثِيرًا أَوْجَاعَ مَخَاضِكِ فَتُنْجِبِينَ بِالْآلَامٍ أَوْلَادًا"، وفرضت أحكام متشددة على طهارة المرأة؛ لأنها أكثر دنسا من الرجل، و"اعتبر الحمل عقابا للمرأة على

(41) البخاري، الصحيح، كتاب الحيض، ص.82.

(42) المرجع نفسه، ص.84.

(43) انظر المرجع نفسه، والصفحة نفسها (باب مباشرة الحائض).

(44) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(45) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج3، ص62.

عصيانها، وأصبحت فترات الحيض نجاسة يجب التطهر منها، ونظرت التوراة إلى ولادة البنت باعتبارها أنها نجاسة تستحق فترة أطول للتطهر، أقل حد لها شهران وستة أيام، ثم حرمت التوراة على المرأة دخول المعبد، أو الاقتراب من الهيكل، أو لمس قدس الأقداس، إلا إذا تخلصت من كل آثار الحمل وما يتعلق به"[46].

بل يعمد الفقيه الشيعي إلى وصم المرأة بالنجاسة إمعانا في تحقيرها والنفور منها، فيحاول أن يخلق شرخا بينه وبينها وينبري باحثا عن تبرير يستند إليه، من ذلك مثلا أن الطبرسي يبارك اجتناب المرأة وهي حائض، بل يعتبره عادة شاعت في زمن الجاهلية حين كان الرجل يجتنب مجالسة المرأة ومؤاكلتها لأنها نجسة، فهو القائل في تفسير الآية الثالثة والعشرين بعد المائتين من "سورة البقرة": "قيل: كانوا في الجاهلية يجتنبون مؤاكلة الحائض ومشاربتها ومجالستها، فيسألون عن ذلك فنزلت الآية"[47]. والذي يستشف ممّا تقدم أن الفقيه في المرجعية الدينية الشيعية مهووس بتجذير الاختلاف بين الجنسين وبخلق تراتبية تكون فيها الهيمنة للذكر، إذ القول بنجاسة المرأة هو في الحقيقة فعل تصنيفي يقوم به الذكر بغية إخراج المرأة عن الملّة والمألوف[48]؛ لأن "النجاسة تقع في المسالك الخارجة عن النظم المألوفة"[49] من أجل تأكيد أن الطهارة ذكورية أو لا تكون.

* المرأة ناقصة عقل ودين :

يلحظ المتصفح لبعض النصوص الدينية في المرجعيتين السنية والشيعية، أن الفقهاء إنما يستندون في تمرير تهمتهم للمرأة بأنها ناقصة عقل ودين إلى حديث ورد في صحيح البخاري، ونصه: "حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي زَيْدٌ هُوَ ابْنُ أَسْلَمَ عَنْ عِيَاضِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحًى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلَ النَّارِ؟ فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ. قُلْنَ وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ نِصْفَ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَى. قَالَ : فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا . أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ

(46) الصادق النيهوم، الحديث عن المرأة والديانات، مؤسسة الانتشار العربي، 2002، ص.17.

(47) انظر الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج2، ص.82.

(48) لاحظ أن كلمة نجس في القرآن الكريم دلت على كل من يخرج عن المجموعة. انظر على سبيل المثال لا الحصر التوبة 9: 28).

(49) فؤاد إسحاق الخوري، إيديولوجيا الطهارة والنجاسة، ص.53.

تَصُمْ ؟ قُلْنَ : بَلَى. قَالَ: فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا"[50].
والذي يجلوه لنا هذا الحديث أن الفقيه يمعن في ازدراء المرأة معتبرا إياها ناقصة عقل ودين؛ لأن شهادتها نصف شهادة الرجل، ولأنها تحيض مما يضعف دينها، ونلفيه ههنا يسوّق لقوامة الرجل على المرأة، فشهادتها غير معتدّ بها عملا بنص القرآن في آية التداين، ودينها ناقص لضعف جبلّتها، وعليه إذن يحرص الفقيه على ترسيخ أفضلية الذكر على الأنثى، وعلى أنّ الإيمان ذكوري بالأساس؛ ولذلك نبه الفقهاء من مغبة استشارة النساء في أمور الحياة. إذ عقول النساء في فروجهن كما شاع في بعض الأحاديث، لذلك نلفي الشيعة يلعنون من يستنير برأي المرأة عملا بقول عليّ عليه السلام: "كُلُّ اِمْرِئٍ تَدَبِّرُهُ اِمْرَأَةٌ فَهْوَ مَلْعُونٌ"[51]. وهم يعللون موقفهم ذاك بموقف الرسول محمد الذي كان على حد زعمهم لا يثق كثيرا برأي المرأة زمن الحرب. يقول الصدوق في هذا الصدد: "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الحرب دعا نساءه فاستشارهن ثم خالفهن"[52]. وإذا كان هذا الحديث يمعن في تحقير المرأة والحط من شأنها، فإن القارئ لا يمكن أن يطمئن إلى صحته، خصوصا إذا ما استحضرنا النماذج النسائية التي جاهدت مع الرسول وحاربت معه في غزواته، كأسماء بنت يزيد وأم عمارة نسيبة بنت كعب النجارية وغيرهما.

❋ المرأة الجسد المتعي :

يلحظ المتدبر في المدونة الدينية الفقهية أن المرأة لم تظهر في نصوص الفقهاء إلا بوصفها مسرحا يختبر فيه الذكر فحولته، وإلا بوصفها فضاء يكشف نهم الذكر في الجنس وتعطشه لإرضاء غروره وإشباع نزواته، لأن الأنثى جسد واعد باللذة التي يستهيم بها الذكر ويحلم نفسه بها، إذ "في المتعة تقيم الذات أودها الأثير "[53]. واستند الفقهاء في قناعاتهم على آية التعدد التي جاء فيها: "وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَى وَرُبَاعَى"[54]، وآية المتعة التي نصها: "فَمَا اِسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً "[55]. وقد اختلفت المواقف في تفسير هاتين الآتين بين السنة والشيعة، وبدا فيما يتعلق بآية التعددية "أن الخطر الأكبر إنَّما يكمن في المبررات التي يختلقها الفقهاء حتى يسوغوا للرجل الزواج بأربع، تحت عناوين ركيكة حينا

(50) البخاري، الصحيح، ص.84،(حديث رقم304).
(51) انظر الصادوق، من لا يحضره الفقيه، ج.3، باب النوادر، ص.306.
(52) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(53) إبراهيم محمود، الجسد البغيض للمرأة، ص.77.
(54) انظر النساء 4 : 3.
(55) النساء4: 24.

ومضحكة حينا آخر، ظالمة في كل الأحيان "[56]، إذ يعمد الفقيه إلى تطويع الآية القرآنية والانزياح بمعناها خارج حدود النص التي رسمها المشرع، من أجل مآرب ذاتية كامنة بدواخل الفقيه، فيلحظ المتمعّن في تفاسير الفقهاء رغبة الفقيه في تثبيت فكرة التعددية الزوجية التي عرفها العرب قبل البعثة المحمدية، وذلك انتصارا للفحولة باعتبارها أهمّ ما يميز الذكر، وأهم سبب من أسباب استمرار هيمنته على الأنثى. إذ يحاول الذكر أن يمارس عنفا رمزيا على جسد الأنثى، فيختزل جسدها في اللذة والشبق الذي يمكن أن يظفر به فيطفأ نهمه إلى الجنس. كما أنه يحاول أبدا البرهنة عن قوته في تصريف الشهوة على أكثر من امرأة، وقدرته على غزو جسد الأنثى الذي سيغدو كيانا مستهلكا. باختصار إنّ إيمان الفقيه بالتعددية "يرسخ التصور الذي يملكه الرجال عن ذواتهم ككائنات جنسية قبل كل شيء، ويعزز البعد الجنسي للخلية الزوجية"[57].

أمّا عن المتعة فقد باركتها الشيعة حين ذهبت في تفسير الاستمتاع بأنه "درك البغية والمباشرة وقضاء الوطر من اللذة"[58]، وحين اقتنعت بأن هذه المتعة جائزة شرعا رغم نهي الكثير عنها واعتبارها حراما. وهي جائزة لأن الفقيه الشيعي مؤمن بأن لا قيمة للمرأة إلا بوصفها وعاء يستفرغ فيه الذكر طاقته الجنسية، بل ينبغي عليها أن تنقاد لرغبته؛ لأن ذلك من حسن التبعل، ولأن الرجل في عرف الشيعي كائن مقدس عملا بحديث للرسول محمد، جاء فيه: "لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"[59]. لذلك بارك الفقيه الشيعي المتعة معتبرا إياها ركنا من أركان الإيمان، عملا بحديث جاء فيه: " رَوَى جَمِيلُ بْنُ صَالَحٍ قَالَ: إِنَّ بَعْضَ أَصْحَابِنَا قَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ يَدْخُلُنِي مِنَ الْمُتْعَةِ شَيْءٌ، فَقَدْ حَلَفْتُ أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ الْمُتْعَةَ أَبَدًا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّكَ إِذَا لَمْ تُطِعْ اللهَ فَقَدْ عَصَيْتَهُ"[60]، واعتبر الشيعة أن من لا يؤمن بالمتعة إنّما هو مارق عن ملّتهم، تأسيا بحديث للصادوق نصه: "ليس منا من لم يؤمن بكرتنا ويستحل متعتنا"[61]. ثم إنهم يعتبرون أن الرسول محمدا قد كان يوصي بالمتعة، حتى أثر عنه حديث نقله أبو جعفر، ورد فيه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أسري به إلى السماء قال: لحقني جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد

(56) محمد شحرور، نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، ص.304.

(57) فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب، ترجمة فاطمة الزهراء أرزويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة 2005، ص.22.

(58) انظر الطبرسي، مجمع البيان، ص. 50(تفسير النساء4: 3)

(59) الطبرسي، مكارم الأخلاق ص.307.

(60) من لا يحضره الفقيه، المجلد 3، ص.301، (حديث رقم 4598).

(61) المرجع نفسه، ص.299.(حديث رقم 4583).

إن الله تبارك وتعالى يقول : إني قد غفرت للمتمتعين من أمتك من النساء"[62]. بل إنهم يرون أن المتعة كانت بديلا لهم عن كل مسكر. يقول الصادوق في هذا الغرض: "إن الله تبارك وتعالى حرم على شيعتنا المسكر من كل شراب وعوضهم من ذلك بالمتعة"[63].

والذي يلوح لنا من خلال هذه الأحاديث أن الطابع الخرافي قد سيطر على مخيلة الفقيه حتى راح يعلّق كل استيهاماته الذكورية على الخيال الواسع، عساه يظفر بما يحلم به نفسه من لذة جسدية يقتنصها من أنثاه، التي ستغدو مسرحا لاختبار فحولته من أجل تأكيد هيمنته الذكورية، خصوصا وأنّه ما عاد قادرا على مقاومة المرأة، لأنها باتت "تتوفر فيها جاذبية قاهرة تهزم إرادة الرجل المتمنعة، وتحيل دوره إلى دور سلبي خاضع لا خيار له، ولا يملك إلا أن ينقاد لجاذبيتها"[64].

خاتمة البحث

لقد أسلمنا البحث ونحن نحفر في بعض النماذج من النصوص الدينية الفقهية السنية منها والشيعية إلى أن المرأة كانت في متصور الفقيه المسلم كائنا متهما جسدا وعقلا. إذ هي الضلع الأعوج والجسد الفتنة والجسد النجس وجسد المتعة، وكلها صفات تشف على أن العقل الإسلامي في تناوله لقضية المرأة ظل عقلا قاصرا، لأنه غبط المرأة أبسط حقوقها الإنسانية متوسلا وسائل معرفية متأخرة، اعتمدت على سياسة لي أعناق معاني النص القرآني وتطويعها لأغراضه الشخصية. إنه عقل مأزوم وسر أزمته إنما يكمن في أنه عقل استهلاكي لا ينتج، لأنه قياسي ينهض على قياس الشاهد على الغائب. وعلى استلهام الأحكام من مرجعيات دينية أخرى كاليهودية مثلا. وهو عقل مأزوم لأنه ظل مهووسا بفكرة الهيمنة الذكورية وتشييد بنيان الفحولة المزعوم.

وعليه إذن ثمة أزمة فكرية حقيقية يعاني منها العقل الفقهي المسلم في رؤيته للمرأة ولمكانتها في المجتمع والحياة، وهي رؤية تناهض في مجملها ما نص عليه نص الوحي الإسلامي من تكريم للمرأة، واعتراف لها بدورها الريادي في الحياة إلى جانب الرجل، وتمكين لها من بعض الحقوق الإنسانية كحقها في الزواج، وحقها في الطلاق، وحقها في المهر، وحقها في الميراث وغيرها. وقد "آن الأوان لأن نتسلح بالفكر النقدي ونعيد النظر بأقوال الفقهاء كلهم حول المرأة"[65]، وذلك بأن نراجع من جديد أدوات الفقيه المعرفية في تصدية لقضية المرأة، لأنها "في

(62) المرجع نفسه، ص.302،(حديث رقم 4601)

(63) المرجع نفسه، ص.305،(حديث رقم 3616).

(64) فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب، ص.31.

(65) محمد شحرور، نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، ص.

مجملهـا شروط وقواعـد بائسـة بمقيـاس تطـور أدوات المعرفـة في عصرنـا هـذا"[66]، عـلى حـد تعبـير نـصر حامـد أبوزيـد. ومـا أحـوج المـرأة اليـوم إلى مثـل هـذا الفكـر الفقهـي التجديـدي، الـذي قـد ينصـف المـرأة حقوقهـا في ظـل مـا تتعـرض لـه مـن حيـف وظلـم اجتماعـي وقهـر في المجتمـع الذكـوري.

(66) نصر حامد أبوزيد، دوائر الخوف، ص.8.

قائمة في المراجع المعتمدة:

المصادر
- القرآن الكريم، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السابعة 1405هـ.
- الكتاب المقدس(العهد القديم)، كتاب الحياة، ترجمة تفسيرية، 1988.

المراجع
- أبو زيد(نصر حامد)، دوائر الخوف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،
- أبو عضة(زكي علي السيد)، المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى 2003.
- ابن منظور، لسان العرب، دار الجيل، د.ت.
- البخاري(محمد)، الصحيح، طبعة السلطان عبد الحميد الثاني، القاهرة، 1315ه.
- ابن حتيرة(صوفية)، الجسد والمجتمع، الانتشار العربي، بيروت، دار محمد علي للنشر، تونس، الطبعة الأولى 2008.
- بن سلامة(رجاء)، بنيان الفحولة، دار المعرفة للنشر، تونس، د.ت.
- حرب(علي)، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 1993.
- الخوري(فؤاد إسحاق)، إيديولوجيا الجسد ورمزية الطهارة والنجاسة، دار الساقي، بيرت/ لبنان، الطبعة الأولى 1997.
- شحرور(محمد)، نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى 2000.
- الشرفي(عبد المجيد)، الإسلام والحداثة، الدر التونسية للنشر، تونس، 1999.
- الصادوق(أبو جعفر)، من لا يحضره الفقيه، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى 1986.
- الطبرسي(أبو علي الفضل)، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2005.
- ــــــــــــ ، مكارم الأخلاق، مكتبة الألفين، الكويت، د.ت.
- الطبري(محمد بن جرير)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1994.
- العسقلاني(ابن حجر)، فتح الباري، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى 2013.
- قرامي(أمال)، الاختلاف في الثقافة العربية، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى 2007.
- القرطبي(أبو عبد الله محمد)، الجامع في أحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 2006.
- كريمر(صموئيل)، من ألواح سومر، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، د.ت.

- المجلسي(محمد باقر)، بحار الأنوار، دار إحداث التراث العربي، بيرت، لبنان، الطبعة الثالثة، د.ت.
- المرنيسي(فاطمة)، ما وراء الحجاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة 2005.
- محمود(إبراهيم)، الجسد البغيض للمرأة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى 2013.
- ــــــــــــ ، الضلع الأعوج، رياض الريس للكتب، الطبعة الأولى 2004.
- النيهوم(الصادق)، الحديث عن المرأة والديانات، مؤسسة الانتشار العربي، 2002.
- يوسف(ألفة)، ناقصات عقل ودين، دار سحر للنشر، الطبعة السادسة 2016.

جماعة الإخوان المسلمين في ليبيا 1949 – 1968
(مسارات تأسيسها ومواقفها وردود فعل السلطات المحلية والإقليمية والدولية إزاءها)

د. وليد شعيب آدم
أستاذ مشارك- كلية الآداب- جامعة طبرق

الاستلام 21/ 11/ 2020 القبول 30/ 12/ 2020

المستخلص

يتناول البحث مسارات تأسيس جماعة الإخوان المسلمين في ليبيا ومواقفها، وردود فعل السلطات المحلية والإقليمية والدولية حيالها 1949 – 1968، فضلًا عن ملامسة أهم العوامل التي ساعدت على انتشار أفكارها وامتدادها بين النخبة المثقفة في ليبيا. أيضاً يتناول ملابسات لجوء شبان جماعة الإخوان المصريين الثلاثة إلى ليبيا وردود فعل الأمير إدريس السنوسي والمؤتمر الوطني البرقاوي والسلطات المصرية حيالهم، وأخيراً يركز على تأسيس جماعة الإخوان تنظيم قيادي في ليبيا وموقفهم من النظام الملكي وقتذاك، ومتابعة الدبلوماسيين الأمريكيين والبريطانيين في ليبيا ولندن وواشنطن لنشاطهم ومساراتهم.

الكلمات المفتاحية:
(برقة – إدريس السنوسي –جماعة الإخوان المسلمين).

Abstract : –

The Muslim Brothers in Libya: 1949–1968
(the pathways of thierfondation, its positions and the reactions of local, regional and international authorities towards it)

The objective of this research is to shed light, about, the history of Muslim Brothers on the pathways of their creation in Libya, their positions, and, the reactions of local, regional and international authorities to it 1949–1968. We studied, the most important factors that, helped spread their ideas among the Libyan elite. We also discussed the historical aspect, the impact of the asylum of young Egyptian Muslim Brothers in Libya and their role. Then, the training of young people in leadership. Also, the reaction of King Idriss and the Egyptian authorities to them. Then,

their position, towards, the monarchical system. Finally, Their activities, and the diplomatic, of the great powers, those, American and British, either in Libya, or from London or Washington.

– Keys words :
(Cyrenaica – Idris Al–Senussi – The Muslim Brothers).

(المقدمة)

نالت التيارات السياسية والقوى الوطنية والحزبية في ليبيا منذ بداية الأربعينيات من القرن العشرين حتى مطلع الستينيات من اهتمامات الباحثين والدارسين، ما لم ينله شطرها المحصن والمثير للجدل "جماعة الإخوان المسلمين"، على الرغم من أن ليبيا تُعد في طليعة البلدان العربية والإسلامية التي تسرب إليها فكر الجماعة بعد فلسطين والسودان في أواخر العشرية الخامسة من القرن العشرين. فمعظم الأطر المرجعية المعاصرة التي يمكن الركون إليها والاستئناس بها في التأريخ لنشأة جماعة الإخوان المسلمين وتطورها في ليبيا حينذاك لامستها على استحياء وبتردد وتحفظ شديد، ولم تتناولها -فيما يبدو- دراسة علمية وافية حتى الآن.

إن إشكالية عدم تعمق هذه الأطر المرجعية في سبر أغوار جماعة الإخوان المسلمين في ليبيا له علاقة وطيدة -فيما يبدو- بالمصاعب والمتاعب والمخاطر التي يمكن أن تعترض الباحثين والمهتمين بهذا الجانب، لاسيما وأن جل أعضاء الجماعة يحرصون بقصد دائمًا على الصمت والتكتم وعدم البوح بشؤونها وعلاقاتها ومواقفها وتطورها، توثيقًا ونشرًا، وربما يعتبرون من يتناولها بالبحث والدراسة، خاصة ممن كان من خارج الجماعة، إنما ينبش عن شيء لا يعينه، خوفًا -على ما يبدو- أن يجر ذلك وراءه ملاحقة السلطات السياسية. فكان هنالك اقتضاب شديد، وغموض رهيب يكتنف نشأتها وتبلورها وتطورها في ليبيا.

لكن من خلال المادة العلمية المبعثرة والمتناثرة بين طيات الأطر الوثائقية والمرجعية لاسيما بعض تقارير السفارة الأمريكية والبريطانية في ليبيا آنذاك المنشورة في المجلد الرابع من كتاب: محمد يوسف المقريف "ليبيا بين الماضي والحاضر صفحات من التاريخ السياسي دولة الاستقلال، الحقبة النفطية -1963 1969، ج2"؛ فضلًا عن بعض الوثائق التي نشرها مشكورًا سالم الكبتي في سلسلة كتبه الوثائقية: "المجهول من تاريخ ليبيا 2-- إدريس السنوسي الأمير والملك وثائق عن دوره السياسي والوطني" بُذلت الجهود للإشارة إلى هذا الموضوع واستجلاء الغموض عن بعض جوانبه، بأمانة وموضوعية، وبما يحويه إيجاباً وسلباً.

وتجدر الإشارة أن هذه الوثائق المهمة كمنت في أثنائها معلومات متناثرة في غاية الأهمية عن جماعة الإخوان المسلمين في ليبيا ومسارات تأطيرها وتبلورها ومواقفها وردود فعل السلطات المحلية والإقليمية والدولية حيالها.

ويطرح البحث النقاط الآتية مسارًا لنقاشه:

- نظرة تاريخية موجزة عن نشأة جماعة الإخوان المسلمين.
- لجوء شبان جماعة الإخوان المصريين الثلاثة إلى ليبيا وردود فعل الأمير إدريس

السنوسي والمؤتمر الوطني البرقاوي والسلطات المصرية حيالهم.
– العوامل التي ساعدت على انتشار فكر جماعة الإخوان المسلمين في ليبيا.
– تأسيس جماعة الإخوان المسلمين لتنظيم قيادي في طرابلس وبنغازي وموقفهم من النظام الملكي ومتابعة الدبلوماسيين الأمريكيين والبريطانيين لنشاطهم.

واعتمدتُ في بحثي المنهج التاريخي القائم على الموضوعية والحيادية فيما قُدم من معلومات بعد غربلتها وإسقاط غثها، والتحقق من مدى صدقها ومنطقيتها، ومحاولة الوصول بها إلى خلفياتها كلما اقتضى الحال وتيسر الأمر.

- نظرة تاريخية موجزة في نشأة جماعة الإخوان المسلمين:

الإخوان المسلمون جماعة دينية سياسية تصف نفسها بأنها ذات منهج إصلاحي شامل، يهدف إلى إصلاح سياسي واجتماعي واقتصادي من منظور إسلامي شامل. تأطرت وتبلورت في مصر في بدايات القرن العشرين عام 1928، كجماعة إسلامية، وانتشر فكرهم وهيكلهم التنظيمي سواء كان امتدادًا لهم أم تقليدًا، فيما يقرب من اثنين وسبعين دولة عربية وغير عربية، فضلًا عن أن للجماعة دورًا في دعم عدد من الحركات الجهادية التي تعدها حركات مقاومة في العالمين العربي والإسلامي ضد كافة أنماط الاستعمار أو التدخل الأجنبي، مثل: (حركة حماس في فلسطين، وحماس العراق بالعراق، وقوات الفجر في لبنان)[1].

وتشير جُل الأطر المرجعية أن بدايات نشاط جماعة الإخوان المسلمين كانت في مدينة الإسماعيلية، وما لبثت أن انتقلت إلى القاهرة، وفي ثلاثينيات القرن العشرين زاد التفاعل الاجتماعي والسياسي للإخوان وأصبحوا في عداد التيارات المؤثرة سياسيًا واجتماعيًا. وفي عام 1942، وخلال الحرب العالمية الثانية عمل الإخوان على نشر فكرهم في شرق الأردن وفلسطين، كما قام الفرع السوري بالانتقال إلى العاصمة دمشق في عام 1944، ويرى البعض أن جماعة الإخوان المسلمين قد قامت لسد فراغ الخلافة الإسلامية بعد انتهاء الخلافة العثمانية في بدايات القرن العشرين[2].

وتُجمع الدراسات التاريخية ذات العلاقة بالحركات الإسلامية الحديثة أن حسن عبدالرحمن البنا هو مؤسس النواة الأولى لجماعة الإخوان المسلمين والمُرشد العام للجماعة حتى عام 1949، وخلال فترة توليه منصب المُرشد العام، تبلورت أفكار الجماعة وشهدت تطورات غاية في الأهمية على المسارات كافة، حيث تم إصدار جريدة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية عام 1933، واختير محب الدين الخطيب مديرًا لها، ثم صدرت (النذير) في عام 1938، ثم (الشهاب) عام 1947، وتتالت

(1) أشرف حافظ، الهوية العربية والصراع مع الذات دعوة للنهضة الفكرية وإعادة صياغة المفاهيم، ط1، دار كنوز للمعرفة، عمان، 2012، ص 337؛ سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، القاهرة، 1967.

(2) المرجع نفسه، ص 33، 338، وينظر:جابر رزق، مذبحة الإخوان المسلمين، دار الوفاء، القاهرة، 1988.

المجلات والجرائد الإخوانية، وبتطور وسائل الإعلام تطورت سبل الدعوة الإخوانية، فأصبحت في الفضائيات والإنترنت [3].

وينبغي أن ننوه في هذا السياق إلى أن جماعة الإخوان المسلمين لم تتنكر في سيرتها الأولى للبعد القومي العربي في استراتيجيات نضالها على طريق الإسلام السياسي لتصبح في وقت من الأوقات من أهم عناصر التشريع الثوري لتغيير أنظمة الحكم أو لدعمها، تحت غطاء الدين ومظلة العروبة، وبقدر ما أزعجت جماعة الإخوان المسلمين أنظمة وحكومات، بقدر ما ركنت إليها واستخدمتها ثورات الجيش وحكومات الاستبداد عقب تحولها من جماعة دعوية إلى جماعة سياسية بعد حوالي عشر سنوات من تأطيرها وتبلورها، وذلك لما أعلن المُرشد العام حسن عبد الرحمن البنا عام 1938، على صفحات العدد الأول من مجلة (النذير): "أن الجماعة ستنتقل من دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال..." [4].

وتجدر الإشارة إلى أن أول هيئة تأسيسية للجماعة تكونت عام 1941، من مئة عضو اختارهم المُرشد العام حسن عبد الرحمن البنا ، وشارك الكثير من عناصر الإخوان في حرب فلسطين عام 1948 ، بقوات خاصة بهم ، وفي العام ذاته أصدر محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء المصري وقتذاك قراره بحل جماعة الإخوان المسلمين و مصادرة أموالها واعتقال أبرز قياداتها . وفي 28 (ديسمبر) من العام نفسه اغتيل محمود فهمي النقراشي عند وصوله إلى مقر وزارة الداخلية حيث أطلقت عليه ثلاث رصاصات استقرت في ظهره، وكان القاتل طالبًا في كلية الطب البيطري متخفيًا في زي ضابط، يدعى عبدالمجيد أحمد حسن، ويقال : إنه كان عضوًا في تنظيم جماعة الإخوان المسلمين، وعليه اتُهم الإخوان بقتله، وتوعد أنصار النقراشي في جنازته بالانتقام، وخلال تلك الأوقات العصيبة قتل المُرشد العام حسن عبدالرحمن البنا في 12 (فبراير) عام 1949، من قبل عناصر البوليس السياسي ليكون الحصاد المرّ للعنف المتبادل[5].

(3) أشرف حافظ، المرجع السابق، ص 338.

(4) إبراهيم فتحي عميش، التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا، ج1، ط1، برنيق للطباعة والترجمة والنشر، ص 266.

(5) ما ينبغي التنويه إليه؛ أن جريدة (الوطن) لسان حال جمعية عمر المختار نشرت مقال في عددها رقم (163) بتاريخ 15 (فبراير) عام 1949، علقت فيه على نبأ مقتل حسن عبدالرحمن البنا المُرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين في مصر، جاء فيه: "بالأمس القريب فجع العالم العربي بمصرع المغفور له دولةالنقراشي باشا، وها هو اليوم يفجع العالم الإسلامي بمصرع فضيلة المُرشد الكبير حسن البنا... مهلًا يا شباب ======الكنانة وأنتم المرتقب لتكونوا أئمة الشعوب العربية والإسلامية في المستقبل مهلًا... فقد هدمتم بقتل النقراشي ركنًا وطنيًا عرف بالنزاهة والإخلاص. ولقد هدمتم بقتل حسن البنا صرحًا دينيًا عماده التقوى والقوة... "؛ للمزيد انظر: محمد بشير المغيربي، وثائق جمعية عمر المختار، صفحة من تاريخ ليبيا، ط1، دار الهلال، 1993، ص ص 472، 473؛ وأيضًا: محمد المفتي، زمن المملكة، ط1، ردمك، 2012، ص 264؛ إبراهيم فتحي عميش، المرجع السابق، ص 266؛ وكذلك: أشرف حافظ، المرجع السابق، ص 338؛ وكذا: إبراهيم بيومي غانم، الفكر السياسي للإمام حسن البنا، القاهرة، 1992؛ وللمزيد عن علاقة

وفي إطار التأريخ للنشأة الأولى لتنظيم جماعة الإخوان المسلمين في مصر؛ يصف محمد صلاح الفترة بين (1939 -1949)، بأنها: "من أخطر المراحل في تاريخ الإخوان؛ إذ شهدت استكمال البنى التنظيمية داخل مصر وخارجها، وبداية بروز الدور السياسي للجماعة بدءًا من المؤتمر السياسي الذي عُقد في (يناير) عام 1939، وتحقيق الانتشار الواسع للجماعة وإنشاء (النظام الخاص) وصولًا إلى الجناح العسكري السري"[6].

-لجوء شبان جماعة الإخوان المصريين الثلاثة إلى ليبيا وردود فعل الأمير إدريس السنوسي والمؤتمر الوطني البرقاوي والسلطات المصرية حيالهم:

تُعد جماعة الإخوان المسلمين في ليبيا بشكل عام وبرقة بشكل خاص، من أبرز الحركات الإسلامية وأقدمها أثرًا منذ أواخر العشرية الخامسة من القرن العشرين؛ فتنظيم جماعة الإخوان المسلمين في ليبيا له جذوره البعيدة منذ بدايات نشأة الجماعة في مصر، ولم تكن نشأة الإخوان الأولى نشأة سرية أو يجرمها القانون، ولعلها كانت إفرازا لواقع المجتمع العربي المسلم الذي يتوق للحصول على مخرج من أزمة انهيار دولة الخلافة في الأستانة [7].

إن أول إشارة وثائقية -فيما يبدو- تشير إلى وجود عناصر من جماعة الإخوان المسلمين في ليبيا،تظهر في الأطر الوثائقية التي نشرها الأستاذ سالم الكبتي في ثلاثية كتبه الوثائقية: المجهول من تاريخ ليبيا، إدريس السنوسي الأمير والملك، وهي مسودة طلب لجوء سياسي مؤرخة في الثامن من (يوليو) عام 1949، تقدم بها ثلاثة من شباب الإخوان المسلمين وهم محمود يونس الشربيني (محامي)، وعزالدين إبراهيم (طالب بكلية الآداب بجامعة فؤاد)، وجلال الدين سعدة (طالب بكلية الآداب بجامعة فؤاد)الفارين من مصر بتهمة اغتيال رئيس الحكومة المصرية محمود فهمي النقراشي، إلى الأمير إدريس السنوسي ببنغازي، يلتمسون منه الأمان والطمأنينة والاستقرار والبقاء في برقة، ويذكرون بأنهم من شباب الإخوان المسلمين بمصر الشقيقة الذين أصابهم الاضطهاد والتعسف والجور، واشتد بهم الظلم والتنكيل، وأنهم متهمون، وأن الحكومة المصرية جادة في البحث عنهم؛ "يا صاحب السمو: نحن ثلاثة من شباب "هيئة الإخوان المسلمين" بمصر الشقيقة، أصابنا من الاضطهاد والعسف ما أصاب كل من يمت بصلة إلى هذه الجماعة التي لم يكن لها من مقصد إلا إقامة "الدولة" على قواعد "الدين"

جمعية عمر المختار بجماعة الإخوان المسلمين راجع: البرقية التي بعثها المركز العام لجمعية عمر المختار ببنغازي إلى جهات الاختصاص العربية والإسلامية (جماعة الإخوان المسلمين) عام 1947؛ محمد بشير المغيربي، المرجع السابق، ص 464، 465؛ وليد شعيب آدم "موقف الهيئات الممثلة للأهالي والرأي العام في برقة من قرار تقسيم فلسطين عام 1947"، المجلة الليبية العالمية، العدد الثاني، كلية التربية (المرج)، جامعة بنغازي، 2016، ص 12.

(6) للمزيد راجع مقال: محمد صلاح "الإخوان المسلمون يسيرون بقوة الدفع الذاتي" صحيفة الحياة، العدد (14908) لندن، بتاريخ 20 (يناير) 2004.

(7) إبراهيم فتحي عميش، المرجع السابق، ص 267.

بتطبيق الشريعة الإسلامية الغراء. فلم يكن أمامنا – ياصاحب السمو- وقد اشتدت بنا حركة الظلم والتنكيل... إلا أن نهاجر من بلدنا إلى بلد نستطيع العيش فيه آمنين مطمئنين نعبد الله مخلصين له الدين حنفاء... فاتجهنا نحو سموكم وكلنا أمل أننا سنجد في رحابكم الطمأنينة، خاصة وقد أجمع القوم من حضر وبادية أننا لن نجد الأمان إلا في كنف سموكم..."، ثم يستطردون في طلبهم: "يا صاحب السمو: حقيقة إننا متهمون، وأن الحكومة جادة في البحث عنا... أيها الأمير العربي المسلم، لقد جئنا إليكم نطلب الأمان في وقت عز فيه على الفرد أن يجد الطمأنينة على حياته ونفسه إلا في كنف سموكم... والأمر لكم، وإننا هنا رهن إشارتكم وطوع نصحكم... مكرسين كل قوانا لخدمة شعب برقة الكريم ودولتكم الفتية..." [8].

وفي السياق نفسه يشير المقيم المفوض للحكومة البريطانية في برقة دي كاندول[9]* في كتابه:(الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره)أنه في مطلع شهر (يوليو)، قام بإحدى زيارته المعتادة للأمير إدريس السنوسي فأخبره بأنه في مساء اليوم السابق سمع طرقًا على النافذة، فلما استوضح جلية الأمر وجد ثلاثة شبان غرباء يطلبون مقابلته بصورة ملحة، وعندما دخلوا عليه اخبروه بأنهم لاجئون من مصر بعدما اتهموا زورًا بالاشتراك في جريمة اغتيال محمود فهمي النقراشي باشا، موضحًا بأنهم استجاروا به متوسلين إليه باسم الواجب الإسلامي، فلم يجد بدًا من إجابة طلبهم، وأمر على الفور بإسكانهم في قصر المنار [10].

وعلى كل فإن الأمير إدريس السنوسي قام في اليوم الثاني التاسع من (يوليو) عام 1949، بتوجيه مذكرة عاجلة إلى الصدِّيق عابد أحد قيادات قوة دفاع برقة يفيده فيها: "أنه في الساعة الثانية عشرة والنصف في ليلة الثامن من (يوليو) ارتموا علي المصريين الثلاثة الذين بعثت حكومتهم بعثة للبحث عنهم، وقد أنزلناهم بسرايانا المنار، وقد أعطينا الخبر للوالي [دي كاندول] بأنهم أتونا، وفي عهدتنا، وأعطينا خبرا للقنصل وحسين بك سري، فهذان شددا في طلب تسليمهم فرفضنا رفضًا باتًّا، فهددا بأن لا تبارح البعثة من هنا حتى تقبض عليهم، فلهذا يجب أن تكون الحراسة عليهم كافية، وأن يكون المسؤول عنهم في هذه

(8) مسودة طلب اللجوء السياسي التي تقدم بها مجموعة من شباب الإخوان المسلمين في مصر عند قدومهم إلى مدينة بنغازي بتاريخ 8 (يوليو) 1949، سالم الكبتي، المجهول من تاريخ ليبيا 2-، إدريس السنوسي الأمير والملك، وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج2، الأمير – الملك 1951-1946، ط1، دار الساقية، بنغازي، 2013، ص ص 741، 742.

(9)* ايريك آمار فولي دي كاندول: ولد عام 1901، تلقى تعليمه في جامعة أكسفورد، وتخصص في دراسة التاريخ الحديث. بدأ حياته العملية في شمال أفريقيا والشرق الأوسط. عين بالسلك السياسي في السودان. وفي عام 1946، نقل إلى الإدارة العسكرية البريطانية للمستعمرات الإيطالية السابقة بكل من الصومال وليبيا، ومنذ عام 1949، إلى حين تقاعده من خدمة الحكومة في عام 1952، شغل منصب المقيم المفوض للحكومة البريطانية في برقة. للمزيد راجع: دي كاندول، الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره، إبداع للنشر والتوزيع، 1989.

(10) دي كاندول، المرجع السابق، ص ص 99، 100.

الحراسة ضابط أمين ومأمون؛ خوفًا من أن تحصل فيهم هتيكة [مكروه] وقد حذرناهم [الشبان الثلاثة] وقلنا لهم لا يبارحوا القصر حتى نأتي من سفرنا، وكل ما يحتاجون إليه يحضره لهم محمد أبو عمر الفضيل، لهذا أعلمنا سيادتكم لاتخاذ اللازم"[11].

وعلى الفور أبلغه الصدِّيق عابد بإجراء اللازم حيال المصريين الثلاثة، وبأنه تقابل مع عمر منصور الكيخيا[12] بهذا الخصوص [13] .**

وما ينبغي التنبيه عليه أن الأمير إدريس السنوسي عندما لجأ إليه الشبان المصريون الثلاثة كان منهمكا في مشاوراته مع الزعماء البرقاويين لتأليف حكومة برقة بعد أن أعلن استقلالها في الأول من (يونيو) عام 1949، وفي انتظار نقل السلطات من البريطانيين إلى الحكومة البرقاوية التي سمي مرشحًا لها فتحي عمر منصور الكيخيا في الخامس من (يوليو) عام 1949،أيضًا كان الأمير إدريس في تلك الأثناء يعتزم السفر إلى لندن وباريس بناء على دعوة رسمية من الحكومة البريطانية، فغادر بنغازي بصحبة فتحي عمر منصور الكيخيا في التاسع من

---

(11) مذكرة عاجلة من الأمير إدريس السنوسي بتاريخ 9 (يوليو) 1949، إلى الصديق عابد أحد قيادات قوة دفاع برقة في بنغازي، يفيده فيها بوصول الشبان المصريين الثلاثة ويشدد على حراستهم وتأمينهم حتى لا يحصل لهم هتيكة(مكروه)؛ سالم الكبتي، إدريس السنوسي الأمير والملك، وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج2، الأمير – الملك 1946 – 1951، ص 743.

(12)**عمر منصور الكيخيا:هو ابن منصور الكيخيا أحد أكثر الرجال نفوذًا في برقة، وعضو مجلس النواب العثماني. عمل مستشارًا خاصًا للسيد إدريس، ومستشارًا للحكومة الإيطالية. كما كان عضو في مجلس النواب في برقة. قام الإيطاليون بالقبض عليه بتهمة التواطؤ في خروج السيد إدريس من برقة إلى مصر، وسجنوه أولًا في بنغازي، ثم نقلوه إلى أحد المعتقلات في إيطاليا. ترأس حكومة برقة من (1949 – 1950)، وأيضًا ترأس مجلس الشيوخ (-1952 1954). للمزيد انظر: رسالة جيوفاني جوليتي رئيس مجلس الوزراء الإيطالي إلى الجنرال بريكولا والي برقة، وثيقة رقم (16) بتاريخ 10 (أغسطس) 1912، الوثائق الإيطالية، المجموعة الأولى، ترجمة شمس الدين عمران، مركز الجهاد، طرابلس، 1989، ص 51؛ أيضًا: رسالة من عمر منصور الكيخيا إلى القائم بأعمال والي برقة، بتاريخ 8 (مارس) 1922، وثيقة رقم (93) الوثائق الايطالية، المجموعة الأولى، نفس المصدر، ص 337، ص 341؛ رسالة من القائم بأعمال الوالي بينتور إلى وزارة المستعمرات بروما، بتاريخ 14 (مارس) وثيقة رقم (94) الوثائق الإيطالية، المجموعة الأولى، المصدر نفسه، ص 353؛ وكذلك: رسالة موجهة من السيد إدريس إلى نائبه صفي الدين السنوسي يبلغه فيها بوصول عمر الكيخيا مستشاره الخاص إلى بنغازي، بتاريخ 1920، سالم الكبتي، إدريس السنوسي، المجهول من تاريخ ليبيا2–، إدريس السنوسي الأمير والملك وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج1، الأمير 1914 – 1945، ط1، دار الساقية للنشر، بنغازي، 2013، ص 189؛ رسالة موجهة من عمر الكيخيا رئيس مجلس الشيوخ بتاريخ 5 (مارس) 1953 إلى نظيره رئيس مجلس الشيوخ المصري، أيضًا: رسالة سرية جدًا موجهة إلى الملك إدريس بتاريخ 31 (مارس) من رئيس الديوان الملكي عمر فائق شنيب حول عدم انسجام أعضاء مجلس الشيوخ مع رئيسهم عمر الكيخيا؛ رسالة من مصطفى بن حليم بتاريخ 17 (أكتوبر) 1954، إلى وكيل الديوان الملكي في بنغازي يرفق فيها صورة أصلية من المرسومين الملكيين المؤرخين في 15 (أكتوبر) 1954، بإلغاء تعيين عمر الكيخيا رئيسًا لمجلس الشيوخ، سالم الكبتي، المجهول من تاريخ ليبيا 2–، إدريس السنوسي الأمير والملك، وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج3، الملك، (1952 – 1969) ط1، دار الساقية، بنغازي، 2013، ص 1079، ص 1080، ص 1180؛ دي كاندول، المرجع السابق، ص 45.**

(13) خطاب عاجل موجه من الصديق عابد إلى الأمير إدريس السنوسي، بتاريخ 9 (يوليو) 1949، يبلغه فيها بإجراء اللازم للمصريين الثلاثة؛ سالم الكبتي، إدريس السنوسي الأمير والملك، وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج2، الأمير – الملك 1946 – 1951، ص 744.

(يوليو) عام 1949،إلى طرابلس ثم إلى لندن وباريس، وقضى هنالك مدة شهرين ثم عاد إلى بنغازي في السابع من (سبتمبر) عام 1949، من دون أن يصحبه فتحي عمر منصور الكيخيا الذي تأخر في العودة متعللًا بمرضه، ولم يلبث أن أرسل كتاب استقالته من باريس وعاد إلى الاسكندرية لمتابعة عمله بالمحاماة، فقبل الأمير إدريس استقالته، وكلف والده عمر منصور الكيخيا بتأليف الوزارة في السابع من (نوفمبر) عام 1949 [14] .

ومهما يكن من أمر فقد أفضى موقف الأمير إدريس السنوسي بقبول طلب لجوء الشبان المصريين الثلاثة، والسماح لهم بالإقامة في برقة، وإسكانهم في قصر المنار ببنغازي، وعدم تسليمهم إلى بعثة شرطة الحكومة المصرية التي وصلت من القاهرة جوًا في مطاردة الشبان الثلاثة - إلى أزمة في العلاقات بين الحكومة المصرية وحكومة ولاية برقة، أغلقت على أثرها الحكومة المصرية الحدود مع برقة، كما ألقت القبض على اثنين من الشخصيات البرقاوية البارزة في مصر، وطالبت في الوقت ذاته من الحكومة البريطانية تسليم الفارين رسميًا، بحكم مسؤوليتها عن الأمن العام والعلاقات الخارجية بولاية برقة، فقام المقيم والمفوض البريطاني دي كاندول بالاتصال بالأمير إدريس السنوسي بالخصوص، لكنه أصر على أنه لا يملك إلا أن يجير من يلجأ إلى حماه، فأشار المقيم المفوض البريطاني على الحكومة المصرية بأن تشبث الأمير إدريس السنوسي بموقفه ناتج عن تمسكه بفروض الإسلام وعادات العرب، وترك الأمر للسفارة البريطانية بالقاهرة لتجادل السلطات المصرية كما تشاء [15] .

إن المتمعن في ردود المقيم المفوض البريطاني دي كاندول على السلطات المصرية يلاحظ أنها توحي بأنه ليس في إمكانه إقناع الأمير إدريس السنوسي بتسليم المطلوبين الثلاثة، على الرغم من أنه هو المسؤول الأول والأخير عن الأمن العام والعلاقات الخارجية في ولاية برقة، وحاول التنصل منها ووضعها على عاتق الأمير إدريس بقوله:"قلت له صراحة إن هذا التصرف يضعني في موقف حرج؛ إذ إنني

(14) محاضر المؤتمر الوطني البرقاوي العام: محضر جلسة 4 (يوليو) 1949؛ أيضاً: محضر جلسة 24 (يوليو) 1949؛ سالم الكبتي، إدريس السنوسي الأمير والملك، وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج2، الأمير- الملك 1946 - 1951، ص 600؛إرادة صادرة من الأمير إدريس السنوسي بتعيين عمر منصور الكيخيا رئيسًا لمجلس وزراء ولاية برقة بتاريخ 7 (نوفمبر) 1949؛ المرجع نفسه، ص 758؛ أيضًا: إرادة صادرة من الأمير إدريس السنوسي بتشكيل مجلس الوزراء في برقة بتاريخ 9 (نوفمبر) 1949؛ المرجع نفسه، ص 759؛ مجيد خدوري، ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي، ترجمة نقولا زيادة، مراجعة ناصر الدين الأسد، دار الثقافة، بيروت،1966، ص89، ص93.

(15) راجع: المذكرة العاجلة التي بعثها الأمير إدريس السنوسي بتاريخ 9 (يوليو) 1949، إلى الصديق عابد؛ سالم الكبتي، إدريس السنوسي الأمير والملك، وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج2،الأمير-الملك1946 - 1951، ص 743؛ أيضًا: محاضر المؤتمر الوطني البرقاوي العام: محضر جلسة 24 (يوليو) 1949؛ ومحضر جلسة 11 (أغسطس) 1949؛ المرجع نفسه، ص ص 600، 601؛دي كاندول، المرجع السابق، ص 100؛ محمد المفتي، المرجع السابق، ص 264؛ محمد المفتي، "من تاريخ العلاقات الليبية المصرية" مقال منشور في صحيفة ليبيا اليوم، العدد (32)، بتاريخ 14 (نوفمبر) 2011، ص 16.

ما زلت مسؤولًا عن الأمن العام والعلاقات الخارجية، فأصر على أنه لا يملك إلا أن يجير من يلجأ إلى حماه... وهكذا فإن أول إجراء اتخذه الأمير إدريس بعد الاعتراف الرسمي به [أميرًا على برقة] أقحمه في صدام مع الحكومة المصرية، وكان رأيي الشخصي أن نسلم الرجال المطلوبين حرصًا على مصلحة الأمن العام وحسن العلاقات مع مصر، ولكن الأمير إدريس ظل متشبثًا بموقفه، وما كان باستطاعتي أن آمر بانتهاك حرمة مقره الخاص". ويستطرد دي كاندول قائلًا: "لما ذهبت إلى لندن في وقت لاحق طلبت مقابلة السفير المصري هناك لإطلاعه على حقيقة ما حدث. واستطعت إقناعه بأن عدم تسليم أولئك اللاجئين لم يكن وراءه أي دافع سوى تمسك الأمير باتباع العادات العربية المتعارف عليها، كما انتهزت الفرصة للمطالبة بكف موظفي القنصلية المصرية عن تصرفاتهم الاستفزازية، مشيرًا إلى اشتراك بعض أعضاء هيئة القنصلية في نشاطات محلية هدامة، وكان السفير، وهو من خريجي جامعة أكسفورد، رجلًا متفهمًا جدًا" [16].

وفي الإطار ذاته احتج أعضاء المؤتمر الوطني البرقاوي العام بشدة على الإجراءات التي اتخذتها السلطات المصرية من قفلها للحدود والقبض على بعض البرقاويين والمعاملة التي عُومل بها تجار المواشي والخسائر التي تكبدوها من جراء المعاملة التي عُوملوا بها من قبل السلطات المصرية، وعلى خلفية ذلك قرروا مخابرة الإدارة البريطانية والطلب منها علاج المسألة بأسرع ما يمكن، وتعيين وفد لمقابلة نائب الوالي والبحث معه شخصياً في الموضوع [17].

ويظهر من محاضر المؤتمر الوطني البرقاوي العام أن سلطات الإدارة البريطانية تأخرت في معالجة المسألة على الرغم من وعودها بالعناية بالخصوص واتخاذ الإجراءات اللازمة [18]، الأمر الذي دفع – فيما يبدو- أعضاء المؤتمر إلى اتخاذ الإجراءات الآتية:

1. يرى أعضاء المجلس الإداري للمؤتمر الوطني البرقاوي العام عدم تسليم اللاجئين إلى السلطات المصرية، وذلك لأن هذا يعبر عن شعور الشعب البرقاوي كافة لشدة حساسية هذا الشعب بكل ما يمت بصلة إلى تقاليده العربية وعوائده المحلية التي تقضي عليه باستجارة المستجير وبالاستماتة في سبيل الذود عنه، موضحين بأنهم استشعروا عند تحدثهم مع أفراد الشعب على اختلاف طبقاتهم وتباين مستوياتهم أن الشعب ينظر إلى هذه القضية قضية شرف وكرامة، لذا فإن أعضاء المجلس الإداري للمؤتمر عندما يطالبون بعدم تسليم اللاجئين فإنهم يعبرون عن رأي الشعب بأسره ويترجمون عواطفه

(16) دي كاندول، المرجع السابق، ص ص 100، 101.

(17) محاضر المؤتمر الوطني البرقاوي العام: محضر جلسة 24 (يوليو) 1949؛ سالم الكبتي، إدريس السنوسي الأمير والملك، وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج2، الأمير – الملك 1946 - 1951، ص 600.

(18) المرجع نفسه، ص 602.

وشـعوره.

2. يـرى الأعضـاء أن مـصر وعـلى رأسـها عاهلهـا الملـك فـاروق لـم ترتكـب شـططاً ولـم تـأت إداً عندمـا أجـارت مفتـي فلسـطين الحسـيني وآوت الأمـير عبدالكريـم الخطابـي، وإنمـا بتصرفاتهـا هـذه قـد تماشـت مـع التقاليـد العربيـة والكرامـة القوميـة نفسـها.

3. لاحـظ أعضـاء المجلـس الإداري للمؤتمـر الوطنـي البرقـاوي العـام أن السـلطات المصريـة كانـت شـديدة الوطـأة في معالجتهـا لهـذا الأمـر فأنهـا بتصرفاتهـا الشـاذة العنيفـة قـد زادت الأمـر تعقيـداً، مبينـين أن اللاجئـين الثلاثـة قـد اجتمعـوا بقـصر الأمـير إدريـس السـنوسي لمـدة قصـيرة جـداً فلـم يتمكـن بطبيعـة الحـال مـن معالجـة الأمـر في تلـك المـدة الضيقـة فوعـد بـأن ينظـر في الأمـر حـال رجوعـه إلى البـلاد، فمـا كان مـن السـلطات المصريـة خـلال هـذه المـدة إلا أن ضربـت بهـذا الوعـد عـرض الحائـط وقامـت باتخـاذ إجـراءات غريبـة ضـد البرقاويـين في مـصر (قبضـت عـلى البرقاويـين في مـصر وزجـت بهـم في غياهـب السـجون بـدون مـا ذنـب اقترفـوه وحجـزت عـلى بضائعهـم وأموالهـم وعرقلـت أعمـال الكثيريـن وقفلـت الحـدود وقطعـت العلاقـات التجاريـة بـين البلديـن وسـببت أضراراً فادحـة للتجـار) قصـد الضغـط عـلى حكومـة برقـة وإخضاعهـا لرغباتهـا عوضـاً عـن انتظـار عـودة الأمـير إدريـس السـنوسي لينظـر في الأمـر بحسـب وعـده بالأسـاليب المتبعـة في ظـروف مماثلـة، مشـيرين أن فرنسـا مـا كانـت شـديدة الوطـأة إلى هـذا الحـد مـع مـصر عندمـا أجـارت مـصر الأمـير عبدالكريـم الخطابـي، ومـا كانـت بريطانيـا اتخـذت مثـل هـذه الإجـراءات عندمـا هبـط المفتـي الحسـيني الأراضي المصريـة مسـتجيراً، متسـائلين؛ هـل مـن الإخـوة والعروبـة في شيء أن تعامـل مـصر الشـقيقة إخوتهـا البرقاويـين بهـذه المعاملـة الشـاذة الغريبـة؟

وبنـاءً عـلى المعطيـات السـابقة قـرر أعضـاء المجلـس الإداري للمؤتمـر الوطنـي البرقـاوي:

1. رغبته الشديدة في عدم تسليم اللاجئين إلى السلطات المصرية.
2. تـرك المشـكلة في مجموعهـا إلى حكمـة الأمـير إدريـس السـنوسي ليعالجهـا بمـا يـراه ويتـلاءم مع شـعور الشـعب وإحساسـه.
3. معالجـة الأمـر بـين القصريـين- قـصر الأمـير إدريـس السـنوسي وقـصر ملـك مـصر- بمـا يحفـظ للأمتـين دوام حسـن صلاتهمـا واسـتمرار علاقاتهمـا الطيبـة [19].

ولعـل اختيـار الشـبان المصريـين الثلاثـة اللجـوء إلى الأمـير إدريـس السـنوسي شـخصيًا يشـير إلى معرفتهـم مُسـبقًا بالحركـة السنوسـية أنهـا حركـة إصـلاح دينـي؛ ووجـوب

(19) محـاضر المؤتمـر الوطنـي البرقـاوي العـام: محـضر جلسـة 8 (سـبتمبر) 1949؛ سـالم الكبتـي، إدريـس السـنوسي الأمـير والملـك، وثائـق عـن دوره السـياسي والوطنـي، ج2، الأمـير – الملـك 1946 – 1951، ص604.

التـزام الأمـير إدريـس بتطبيـق مبـادئ الشريعـة الإسـلامية في إجـارة المسـتجير وتأمـين المُسـتأمن؛ كمـا عـبروا عـن ذلـك في مسـودة طلبهـم للجـوء: "وفي هـذه الأرض المباركـة بـإذن ربهـا المتشرفـة بالدعـوة السنوسـية الحقـة، وفي رحـاب أمـير برقـة المسـتقلة ذي الغـيرة الدينيـة والأنفـة العربيـة والـروح الإنسـانية العاليـة... في هـذه الأوضـاع مجتمعـة يسـتقر بنـا المقـام، فنلقـي عصـا التسـيار بعـد سـفر طويـل شـاق، ونحـن أشـد مـا نكـون أمـلًا في تحقيـق مـا ابتغينـاه وسـعينا إلى إدراكـه"[20] ،فضـلًا عـن أن موقـف الأمـير إدريـس السـنوسي حيالهـم يشـير -عـلى مـا يبـدو- إلى تعاطفـه معهـم، بتأكيـده للمقيـم البريطانـي دي كانـدول: "بأنهـم اتهمـوا زورًا بالاشـتراك في جريمـة اغتيـال النقـراشي باشـا" [21] ،وربمـا يكـون مـرد ذلـك إلى موقـف سـياسي مـن حكومـة النقـراشي باشـا.

وعـلى كل فقـد اسـتقر هـؤلاء الشـبان الثلاثـة في مدينـة بنغـازي وعملـوا بهـا، وكان حضورهـم نشـطًا وبـارزًا في المدنيـة الهادئـة آنـذاك في بدايـة الخمسـينيات [22] ، وقامـوا بالتمهيـد للجماعـة ببـث الدعـوة لهـا بـين فئـات الشـعب الليبـي، واسـتطاعوا أن يكونـوا أول شـعبة لجماعـة الإخـوان المسـلمين في برقـة تحـت مسـمى (هيئـة الدعـوة الإسـلامية) [23] .

الشـبان الثلاثـة مـن الإخـوان المسـلمين المصريـين الذيـن التجـؤوا إلى ليبيـا عـام 1949، محمـود الشربينـي، وعزالديـن إبراهيـم، أقـصى اليمـن منصـور الكيخيـا، أقـصى اليسـار عـوض الغنـاي أحـد نشـطاء جمعيـة عمـر المختـار، جالسًـا الأسـتاذ/ بحـيري مـدرس

(20) مسـودة طلـب اللجـوء السـياسي التـي تقـدم بهـا مجموعـة مـن شـباب الإخـوان المسـلمين في مـصر عنـد قدومهـم إلى مدينـة بنغـازي بتاريـخ 8 (يوليـو) 1949، المرجـع نفسـه،ج2، ص 741، 742.

(21) دي كاندول، المرجع السابق، ص 100.

(22) محمد المفتي، زمن المملكة، ص 264.

(23) إبراهيم فتحي عميش، المرجع السابق، ص 268.

اللغة الإنجليزية؛ محمد المفتي،زمن المملكة، ص 265.
وفي يوم12 (مارس) عام 1951، قاموا بإرسال برقية عبر البريد من مقر سكنهما في (عمارة رينالدى) ببنغازي إلى الملك إدريس السنوسي، تنطوي على تهنئتهم له بعيد ميلاده السعيد: "حضرة صاحب السعادة رئيس الديوان الملكي بالنيابة، نرجو أن ترفعوا إلى مقام مولانا الملك المعظم في عيد ميلاده السعيد أطيب الدعاء له بطول البقاء مقرونًا بآيات الإخلاص والولاء..." [24] .
وفي أعقاب حملة الاعتقالات والمطاردات التي استهدفت جماعة الإخوان المسلمين في مصر، وتوجيه التهمة لهم بتدبير محاولة اغتيال جمال عبدالناصر عندما كان يلقي خطابًا في أحد ميادين مدينة الإسكندرية الكبرى؛ تمكنت جماعة أخرى منهم من الإفلات من الاعتقال؛ والهروب إلى ليبيا، واللحاق بإخوانهم الذين سبقوهم عام 1949، وقد لقوا فائق الاحترام وكامل الترحيب من الملك إدريس السنوسي كعادته في إغاثة الملهوف وحماية الطريد، الأمر الذي شجعهم -فيما يبدو- على متابعة نشاطهم السياسي والتنظيمي بين أصدقائهم من الليبيين، وبلورة أول شُعبة مُنظمة للإخوان المسلمين في ليبيا، ومارسوا نشاطهم بصورة علنية وبفاعلية وجدية حتى الخامس من شهر (أكتوبر) عام 1954 [25] ، حين وقعت حادثة اغتيال ياور الحضرة الملكية، أو وكيل (ناظر) الخاصة الملكية إبراهيم الشلحي، على يد الشاب: الشريف محيي الدين أحمد الشريف السنوسي، ابن ابن عم الملك إدريس السنوسي، بإطلاق الرصاص عليه في مدينة بنغازي، عندما كان في زيارة رئيس الوزراء مصطفى بن حليم، ولم يحاول الشريف الهروب، بل سلم نفسه للعدالة التي أخذت مجراها، وصدر فيه الحكم بالإعدام في 11 (ديسمبر) عام 1954، ونفذ فيه حكم الإعدام شنقًا في السجن المركزي ببنغازي في 6 (فبراير) عام 1955 [26] .
لم يُعرف حتى الآن السبب الذي أوحى للشريف محيي الدين بتدبير اغتيال

(24) برقية موجهة إلى رئيس الديوان الملكي بالنيابة، مؤرخة في 12 (مارس) 1951، تتضمن تهنئة إلى الملك إدريس بعيد ميلاده من محمود يونس الشربيني وعزالدين إبراهيم وجلال الدين سعدة؛ سالم الكبتي، إدريس السنوسي الأمير والملك، وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج2، الأمير- الملك 1946 - 1951 ص 945.

(25) إبراهيم فتحي عميش، المرجع السابق، ص 273.

(26) للمزيد حول حادثة اغتيال إبراهيم الشلحي راجع: مصطفى أحمد بن حليم، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ط5، الجبهة الشعبية، ص 111، ص 122؛ أيضًا فصل: "اغتيال الشلحي وتداعياته" الفصل الرابع من كتاب: محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر صفحات من التاريخ السياسي دولة === === الاستقلال، ج1، ط1، المجلد الثاني، مكتبة وهبة، القاهرة، 2006؛ جريدة البشائر مقال بعنوان: "اغتيال ناظر الخاصة الملكية" 11 (أكتوبر) 1954؛ مجلة المصور مقال بعنوان: "أسرار جريمة ليبيا السياسية"العدد (1567) القاهرة، 22 (أكتوبر) 1954:: وليد شعيب آدم "السيد إبراهيم أحمد الشلحي يارو الحضرة الملكية أو ناظر الخاصة الملكية" جريدة ركاز، العدد (12) طبرق، 20 (يوليو) 2012، ص 11؛ محمد المفتي، زمن المملكة، ص 95، ص 104؛ جريدة برقة الجديدة 10 (ديسمبر) 1954، بها حيثيات وقائع محاكمة محي الدين الشريف إلى جانب خبر عن تنفيذ حكم الإعدام في ستة من أعضاء الجهاز السري لجماعة الإخوان المسلمين في مصر.

إبراهيم الشلحي، رغم أن البعض يعزو ذلك إلى دراسة الشريف في بيروت التي تصاعد فيها التيار القومي، وربما قد تأثر بتلك الأفكار القومية العروبية الرائجة في بيروت آنذاك، وتبنى آيديولوجية العنف التي تقر التصفية الجسدية [27] ، والبعض الآخر يشير إلى أن اغتيال الشلحي كان وليد عوامل مختلفة؛ أهمها إحساس بعض أفراد الأسرة السنوسية بسيطرته على السيد إدريس السنوسي [28] ، فضلًا عن المناخ السائد في ليبيا حينذاك الذي كان مشحونًا بالإحساس بالظلم السياسي لدى الفئات المثقفة، لاسيما بعد قمع جمعية عمر المختار، وحل المؤتمر الوطني في طرابلس ونفي زعيمه بشير السعداوي يوم 22 (فبراير) عام 1952 [29] .

على أية حال؛ كان اغتيال إبراهيم الشلحي حدثًا عظيمًا هز أركان المملكة الليبية وهي في مهدها، وصدمة نفسية عنيفة للملك إدريس السنوسي، لأن إبراهيم كان مقربا لديه، وبمثابة الابن البار، والصديق الحميم، والأخ الوفي [30] .

وقد ترتب على هذه الحادثة أمران:

شرخ عميق في الأسرة السنوسية، وإصدار الملك إدريس السنوسي لمرسوم يحظر بموجبه على جميع أفراد العائلة السنوسية ممارسة السياسة وتقلد الوظائف العامة [31] ، ووضع بذلك نهاية الأسرة السنوسية كمؤسسة سياسية، وأبعد أفرادها بأسرهم إلى هون والجبل الغربي، حيث دعا الملك إدريس السنوسي رئيس الوزراء مصطفى بن حليم وناظر الخاصة البوصيري الشلحي والولاة الثلاثة إلى اجتماع، وكان البوصيري الشلحي يرغي ويزبد ويطلب الانتقام من قاتل أبيه، وطالب بنفي سلالة السيد أحمد الشريف، لكن حسين مازق والي برقة، اعترض بحجة أن الدستور لا يبيح نفي المواطنين الليبيين من بلادهم، فطرح باش آغا والي طرابلس حلًا وسطًا وقال:"ننقلهم إلى طرابلس" وهو ما كان [32] .

صدور أمر يمنع جماعة الإخوان المسلمين في ليبيا من ممارسة نشاطهم

(27) وليد شعيب آدم "السيد إبراهيم أحمد الشلحي يارو الحضرة الملكية"، ص 11؛ المفتي، محمد، زمن المملكة، ص 95.

(28) جريدة الزمان، العدد 27 (يناير) بنغازي، 1955؛ أيضًا: مصطفى أحمد بن حليم، المرجع السابق، ص 111، ص 115.

(29) ارويعي محمد علي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية -1884 1957، ط1، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2014، ص 390، ص 398؛ محمد بشير المغيربي، المرجع السابق، ص 282، ص 298.

(30) راجع "الحلقة الوحيدة من مذكرات الملك إدريس السنوسي" المنشورة في جريدة الزمان، العدد 27 (يناير) بنغازي، 1955.

(31) مصطفى أحمد بن حليم، المرجع السابق، ص 121.

(32) بخصوص مطالبة البوصيري الشلحي نفي سلالة السيد أحمد الشريف، واعتراض حسين مأزق ولي برقة بحجة أن الدستور لا يبيح نفي المواطنين الليبيين خارج بلادهم؛ راجع: دستور المملكة الليبية المتحدة الصادرة في 7 (أكتوبر) عام 1951، الفصل الثاني (حقوق الشعب) مادة رقم (18): "لا يجوز بأي حال إبعاد ليبي من الديار الليبية ولا يجوز أن تحظر عليه الإقامة في جهة ما أو أن يلزم بالإقامة في مكان معين أو منعه من التنقل في ليبيا إلا في الأحوال التي يبينها القانون". ينظر: سالم الكبتي، الدستور في ليبيا تاريخ وتطورات، ط1، دار الساقية للنشر، بنغازي، 2012، ص 101؛ وأيضًا: محمد المفتي، زمن المملكة، ص 103، 104.

السياسي، كما اتُخذت بعض الإجراءات "حاصرت" قيادتهم وبعض عناصرهم في ليبيا، على إثر بعض الظنون والشكوك التي بدأت تطفو على السطح وتشير بأصابع الاتهام إلى علاقة القاتل الشريف محي الدين أحمد الشريف بجماعة الإخوان المسلمين في ليبيا [33].

ويُفهم من الرسالة المرسلة من عزالدين إبراهيم إلى محمد أفندي عمر [34] بتاريخ 10 (أكتوبر) عام 1954، التي تنطوي على تعزيته في وفاة ناظر الخاصة الملكية إبراهيم الشلحي، أن عزالدين إبراهيم كان قد غادر بنغازي ويدرس بالمعهد العربي الإسلامي في دمشق: "حضرة الأخ المحترم السيد محمد أفندي بو عمر...فقد بلغني مؤخرًا خبر الحادث المؤلم الذي ذهب ضحيته الرجل الجليل المرحوم إبراهيم الشلحي، فأسفت له كثيرًا، وتملكني الألم الشديد. فلقد كانت صلتنا بالفقيد الكريم وثيقة لدرجة كشفت لنا عن شخصيته الطيبة المنتجة، وإخلاصه الزائد في خدمة الملك والبلاد الليبية العزيزة. ونحن لا ننسى مواقف الفقيد منا خلال سنوات الالتجاء، فلقد كان عطوفًا، كريمًا، شهمًا، صلبًا... ولست أدري الآن هل السيد البوصيري [ابن إبراهيم الشلحي] ببنغازي أم بلندن حتى أعزيه، وكذلك الحال مع أخويه [عمر وعبد العزيز]..." [35].

وأيًا كان الأمر؛ فقد حاولت حكومة الرئيس جمال عبدالناصر في كثير من الأحيان مُطالبة الحكومة الليبية بضرورة تسليمها بعض العناصر الموجودين في ليبيا من جماعة الإخوان المسلمين، وفي كل مرة يُعرض فيها الأمر على الملك إدريس السنوسي، كان يرفض الطلب ويُحيل المسؤولين في الحكومتين الليبية والمصرية إلى الحظر الدستوري الليبي الذي يمنع تسليم اللاجئين السياسيين، حيث ينص الفصل الحادي عشر (أحكام عامة) من دستور المملكة الليبية المتحدة الصادر في 7(أكتوبر)عام 1951، مادة (189)على أنَّ: "تسليم اللاجئين السياسيين محظور، وتحدد الاتفاقات الدولية والقوانين الاتحادية قواعد تسليم المجرمين العاديين" [36].

(33) إبراهيم فتحي عميش، المرجع السابق، ص 273.

(34) محمد أفندي عمر: لعله محمد أبوعمر الفضيل أحد رجالات الخاصة الملكية والذي كلفه الأمير إدريس السنوسي بالاهتمام والوقوف على كل ما يحتاجون إليه الشبان المصريين الثلاثة في أثناء إقامتهم في قصر المنار في شهر (يوليو) 1949، وسفر الأمير إلى لندن وباريس؛ للمزيد راجع: المذكرة العاجلة المرسلة من === === الأمير إدريس السنوسي إلى الصديق عابد بتاريخ 9 (يوليو) 1949؛ سالم الكبتي، إدريس السنوسي الأمير والملك، وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج2، الأمير – الملك 1946 - 1951، ص 743.

(35) رسالة واردة إلى محمد أفندي أبوعمر (الخاصة الملكية) مؤرخة في 10 (أكتوبر) 1954، من عزالدين إبراهيم بالمعهد العربي الإسلامي في دمشق معزيًا في وفاة إبراهيم الشلحي مشيرًا بمواقفه خلال لجوئه واثنين من رفاقه في برقة؛ سالم الكبتي، إدريس السنوسي الأمير والملك، وثائق عن دوره السياسي والوطني ج3، الملك (1952 - 1969)، ط1، دار الساقية، بنغازي، 2013، ص 1190.

(36) دستور المملكة الليبية المتحدة الصادرة في 7 (أكتوبر) عام 1951، الفصل الحادي عشر (أحكام عامة) مادة رقم (189)سالم الكبتي، الدستور في ليبيا تاريخ وتطورات، ص 132؛ أيضًا: إبراهيم فتحي عميش، المرجع السابق، ص 273.

العوامل التي ساعدت على انتشار فكر جماعة الإخوان المسلمين في ليبيا:

على الرغم من تلك القصة المثيرة وملابساتها التي ألقت بظلالها على العلاقات المصرية الليبية، والمتعلقة بلجوء الشبان المصريين الثلاثة؛ عزالدين إبراهيم، ومحمود يونس الشربيني، وجلال الدين سعده، إلى ليبيا في (يوليو) عام 1949، إلا أن انتشار فكر جماعة الإخوان المسلمين في ليبيا تسرب عن طريق المدرسين المصريين الذين استقدمتهم الحكومة الليبية بعد الاستقلال للتعليم في المدارس الإعدادية والثانوية، وفي المعاهد، فضلًا عن تأثر بعض المهاجرين والطلاب الليبيين الدارسين في مصر، لاسيما في الأزهر الشريف بفكر جماعة الإخوان المسلمين [37].

وفي السياق ذاته؛ يشير بعض الباحثين والدراسيين إلى أن الخطاب السياسي الديني لجماعة الإخوان المسلمين في ليبيا لم يلق صعوبة عند أغلب السكان لسببين:

– إنَّ أكثر من 98 % من سكان ليبيا مسلمون ويتبعون مذهب الإمام مالك.

– إنَّ جماعة الإخوان لم يكن من أهدافهم آنذاك بناء تنظيم سياسي؛ له برنامجه السري للإطاحة بالنظام الملكي في ليبيا [38].

وينبغي أن ننوه في هذا الإطار أن تيار جماعة الإخوان المسلمين تحول من مجرد توجه فكري إلى حركة داعية بفضل نشاط الليبيين الذين تخرجوا في الجامعات المصرية ومن الأزهر الشريف، وبخاصة من اشتغل منهم بالتعليم، أو من مارس الوعظ بالمساجد، ومن هؤلاء في طرابلس: الأستاذ الناكوع، الشيخ فتح الله محمد احواص، والشيخ محمد كريدان [39].

– تأسيس جماعة الإخوان المسلمين لتنظيم قيادي في طرابلس وبنغازي وموقفهم من النظام الملكي ومتابعة الدبلوماسيين الأمريكيين والبريطانيين لنشاطهم:

على إثر نكسة عام 1967، درات اتصالات وحدثت مناقشات بين ذوي التوجه الإخواني في ليبيا تمخضت في نهاية المطاف عن تأطير تنظيم للإخوان المسلمين بطرابلس له لجنة قيادية ضمت:

- **الشيخ فاتح احواص رئيسًا.**
- **محمد رمضان عويسة مسؤولًا عن العلاقات الخارجية.**
- **محمود محمد الناكوع مسؤولًا عن شؤون التنظيم.**
- **عمرو خليفة النامي مسؤولًا عن النشاط الجامعي.**

(37) حول التعليم في ليبيا خلال فترة الأربعينيات راجع: ملف الوثائق التعليمية، وثيقة رقم (364) القراءة الرشيدة، دار أحمد النائب الأنصاري، طرابلس؛ أيضًا: المرجع نفسه، وثيقة رقم (69) صفحات من كتاب مدرس؛ وكذلك: وليد شعيب آدم "السياسية التعليمية في برقة من خلال تقارير الإدارة البريطانية 1945 – 1948" حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، العدد الأول، (يناير- مارس) المجلد 41، 2013، ص 293، ص 306؛ محمد المفتي، زمن الملكة، ص 264.

(38) إبراهيم فتحي عميش، المرجع السابق، ص 270.

(39) محمد المفتي، زمن الملكة، ص 264.

- مختار ناصف مسئولًا عن المالية.

ولم تكن اللجنة منتخبة من مجموع الأعضاء بصورة مباشرة. وفي المقابل شكل نشطاء جماعة الإخوان المسلمين في بنغازي تنظيمًا مشابهًا، ضمت قيادته: عبد الكريم الجهاني، وإدريس ماضي (قتل في سجن أبي سليم عام 1996)، ومصطفى الجهاني (قتل في سجن أبي سليم عام 1996)، ومحمد الصلابي، وصالح الغول، وآخرين. وعقب ذلك أعلن عن أول تشكيل رسمي للإخوان المسلمين في ليبيا عام 1968 [40].

وينبغي أن ننوه في هذا السياق أن فكر جماعة الإخوان المسلمين، شكل تيارًا واسع الانتشار بين النخبة المثقفة في ليبيا إبان الخمسينيات والستينيات (زمن المملكة) إلا أنهم لم يتحركوا كجماعات نشطة سياسيًا، ولم يعدوا بالتالي خطرًا أو جماعة معارضة للنظام الملكي حتى البدايات الأُوَل من عقد الستينيات [41].

وما يجدر التنويه إليه أن جماعة الإخوان المسلمين في ليبيا تحصلت على قدر لا بأس به من البراح والحرية إبان حكومة محيي الدين فكيني[42]*** الذي تولى رئاسة الوزراء في 19 (مارس) عام 1963 [43] ، خلفًا لحكومة محمد بن عثمان الصيد خامس رؤساء الحكومات الليبية (1960-1963)، حيث يورد تقرير أعدته السفارة الأمريكية في ليبيا بشأن موقف العناصر الوطنية والحزبية والقوى الجديدة إزاء رئيس الوزراء محيي الدين فكيني ما ترجمته: "إن الطلاب الليبيين عمومًا... والعمال والمثقفين الشباب ومختلف القوى الحزبية الصغيرة من البعثيين والإخوان المسلمين...، أصبحوا منجذبين بشكل متنام إلى سياسات فكيني. إنهم

(40) محمود الناكوع،الحركات الإسلامية الحديثة في ليبيا، دار الحكمة، لندن، 2010، ص 35؛ محمد المفتي، زمن المملكة، ص ص 265، 266.

(41) محمد المفتي، زمن المملكة، ص 264، 265.

(42)*** محي الدين فكيني: من مواليد فزان عام 1952، درس بالمدارس التونسية، ثم أرسل في بعثة على نفقة الحكومة الفرنسية وحصل على ليسانس في الحقوق من جامعة السوربون بباريس عام 1952، ثم على دكتوراه الجامعة عام 1953، بعد عودته إلى ليبيا تقلد عديد الوظائف منها: موظفًا بالإدارة القانونية في وزارة الخارجية، وناظرًا للعدل في حكومة ولاية طرابلس الغرب، ثم ناظرًا للداخلية، فرئيسًا للمجلس التنفيذي بالولاية، عقب ذلك نقل للعمل كمستشار في وزارة الخارجية ورقي إلى درجة وزير مفوض بالوزارة، ثم وزيرًا للعدل، في عام 1957، تم تعيينه سفيرًا لليبيا في مصر، ثم سفيرًا لليبيا في الولايات المتحدة، وليشغل في الوقت ذاته منصب ممثل ليبيا لدى هيأة الأمم المتحدة في نيويورك، يجيد اللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية. للمزيد راجع: تقارير وزارة الخارجية الأمريكية عام 1962-1963؛ أيضًا تقارير وزارة الخارجية البريطانية 1963؛ محمد عثمان الصيد، محطات من تاريخ ليبيا، ط1، الرباط، 1996؛ محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر صفحات من التاريخ السياسي دولة الاستقلال، ج2، الحقبة النفطية 1963 - 1969، المجلد الرابع، مكتبة وهبة، القاهرة، 2006، ص 157، ص 161؛ أيضًا: أطروحة دكتوراه صلاح الدين حسن سالم باللغة الانجليزية (غير منشورة) بعنوان: Salaheddin Salem Hasan "The Gensis of the Political Leadership of Libya 1952- 1969: Historical Origins and Development of its Component Elements" George Washington 1973. P365.

(43) الجريدة الرسمية للمملكة الليبية، السنة الثامنة، بتاريخ 25 (ابريل) 1963.

فخورون بموقفه القوي إزاء القضايا الأفرو – آسيوية ومعجبون بحياده الشديد مع نبرته المعادية للغرب. إنهم يوافقون على سياساته الداخلية القائمة على محاربة الفساد وإعطاء المزيد من حرية التعبير وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية" (44).

بيد أنه في أواخر شهر (مايو) عام 1963، تردد في بعض تقارير السفارة البريطانية في ليبيا أن عناصر غير معروفة قامت بكتابة شعارات معادية للملكية على الجدران في شوارع مدينتي بنغازي والبيضاء، وتهاجم البوصيري الشلحي وعبد الله عابد، وتحذر من وقوع انقلاب مصري في ليبيا، فضلًا عن أن البعثيين والإخوان المسلمين يتعاونون في تنظيم "حملة ضد الإمبريالية"، وتشير هذه التقارير أيضًاإلى أن أحد مخبري السفارة البريطانية في بنغازي أعلمها أن العناصر ذات الانتماء الوطني تفوق هؤلاء بشكل كبير عددًا، وأن هذه العناصر الوطنية تشكك في أهداف البعثيين والإخوان المسلمين المعلنة ضد الإمبريالية؛ إذ إنه كلما اجتمعت دولتان عربيتان من أجل إقامة وحدة بينهما قام البعثيون والإخوان بالتصدي لها بغرض إجهاضها.

وفي 30 (مايو) عام 1963، قامت سلطات الأمن في بنغازي بالقبض على نحو (50) مواطنًا من بينهم العديد من الشخصيات المعروفة بانتمائهم إلى حزب البعث العربي الاشتراكي وجماعة الإخوان المسلمين، الأمر الذي دفع مجلس الوزراء إلى عقد اجتماع في أواخر شهر (أغسطس) عام 1963، بحث خلاله الخطر الذي يشكله حزب البعث ومن في معيته على النظام في ليبيا، وقد قرر المجلس الاكتفاء بتكليف سلطات الأمن بتكثيف مراقبة نشاطهم في البلاد، وأعلن رئيس الوزراء محيي الدين فكيني أمام البرلمان أن حكومته لا ترى أن الوقت مناسب للسماح بتشكيل الأحزاب السياسية في البلاد (45) . وبالتالي أسقط خيار البراح الذي حاول محيي الدين فكيني منحه للأحزاب والتيارات والقوى السياسية الوطنية الليبية بأيديهم.

ولعل ما يسترعي الانتباه عند مطالعة محاضر اجتماع واشنطن يوم 7 (يناير) عام 1964، الذي اقترحه ديفيد نيوسوم David Newsom مدير مكتب شؤون شمال أفريقيا بالخارجية الأمريكية خلال اجتماعه بنظرائه البريطانيين بلندن في شهر (يونيو) عام 1963، وحضره عن الجانب البريطاني كل من:

– روجر دي باولي Roger W.H. Du Boulay السكرتير الأول بالسفارة البريطانية –

(44) تقرير السفارة الأمريكية في ليبيا حول موقف العناصر الوطنية والحزبية والقوى الجديدة حيال رئيس الوزراء محي الدين فكيني، رقم (271–A) مؤرخ في 19 (فبراير) 1964، بعنوان: "تشريح للأشهر العشرة التي قضاها فكيني في رئاسة الوزارة" الملف POL. 15–Libya؛ محمد يوسف المقريف، ليبيا بين ====== الماضي والحاضر صفحات من التاريخ السياسي دولة الاستقلال، ج2، الحقبة النفطية 1969–1963، المجلد الرابع، ص 380.

(45) راجع تقارير السفارة البريطانية في ليبيا المؤرخة في عام 1963؛ محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر صفحات من التاريخ السياسي دولة الاستقلال، ج2، الحقبة النفطية 1969–1963، المجلد الرابع، ص 381.

واشـــنطن.

- أ. باري باول A. Barry Powell الملحق النفطي بالسفارة البريطانية – واشنطن.
- سيسـيل جـي كارتـر Cecil J. Carter مسـاعد ملحـق بحـوث الشـؤون الدفاعيـة بالسـفارة البريطانيـة – واشـنطن.
- جـون كـي. إي. بـرودلي John K.E. Broadley السـكرتيرالثالث بالسـفارة البريطانيـة – واشـنطن.
- كما حضر عن الجانب الأمريكي كل من:
- ديفيـد نيوسـوم David D. Newsom مديـر شـؤون شـمال أفريقيـا- بالخارجيـة الأمريكيـة.
- جرانـت ماكلانهـان Grant V. Mc Clananhan مسـؤول مكتـب ليبيـا – بالخارجيـة الأمريكيـة.
- توماس م. جد Thomas M. Judd مسـئول مكتـب الشـؤون البريطانيـة – بالخارجيـة الأمريكية.

مـا جـاء في محـضر الجانـب الأمريكـي مـن إشـارة روجـر دي بـاولي Roger W.H. Du Boulayالسـكرتير الأول بالسـفارة البريطانيـة في واشـنطن:"إن البريطانيـين يعتقـدون في وجـود بعـض العنـاصر المتعاطفـة مـع البعثيـين بدرجـة أساسـية في أوسـاط الطـلاب في ليبيـا. وفي رأيهـم أنـه لا يظهـر وجـود تنظيمـات للشـيوعيين أو الإخـوان المسـلمين في ليبيـا"([46]).

إن غـض الطـرف مـن قبـل روجـر دي بـاولي Roger W.H. Du Boulay السـكرتير الأول بالسـفارة البريطانيـة في واشـنطن عـن نشـاط جماعـة الإخـوان المسـلمين في ليبيـا حينـذاك يوحـي بـأن السـلطات البريطانيـة قامـت بإخفـاء بعـض المعلومـات المتوافـرة لديهـا بخصـوص نشـاط الجماعـة عـن الأمريكيـين، ربمـا لأنهـا صنيعتهـا والحاضنـة الرئيسـة لهـا.

وعـلى الرغـم مـن ذلـك فـإن اهتمـام الدبلوماسـيين الأمريكيـين بالسـفارة الأمريكيـة في طرابلـس بمتابعـة نشـاط جماعـة الإخـوان المسـلمين في ليبيـا لـم يتوقـف، حيـث يشـير الرجـل الثانـي في السـفارة الأمريكيـة جـون دورمـان John Dorman في تقريـره المؤرخـة بتاريـخ 30 (ينايـر) عـام 1964، الـذي بعثـه للخارجيـة الأمريكيـة إلى لقائـه ومحادثتـه مـع رئيـس أركان الجيـش الليبـي اللـواء نـوري الصديـق في يـوم الجمعـة 24 (ينايـر) عـام 1964، عـلى متـن طائـرة البعثـة الاستشـارية العسـكرية الأمريكيـة، بأنـه عندمـا سـئل رئيـس أركان الجيـش الليبـي اللـواء نـوري الصديـق عـن العنـاصر

(46) راجـع محـضر الاجتمـاع بالخارجيـة الأمريكيـة بالملـف POL– Libya ومحـضر الاجتمـاع بالوثائـق البريطانيـة بالملـف رقـم 855 178/ 371 FO المحـضران موجـودان ضمـن ملحـق الوثائـق البريطانيـة والأمريكيـة؛ محمـد يوسـف المقريـف، ليبيـا بـين المـاضي والحـاضر صفحـات مـن التاريـخ السـياسي دولـة الاسـتقلال، ج2، الحقبـة النفطيـة 1963 – 1969، المجلـد الرابـع، ص 619، ص621.

المحرضة على الاضطرابات التي وقعت في مدينة بنغازي يومي 13- 14 (يناير) عام 1964، أجاب: "بأنه لا يعلم من هم على وجه اليقين. وعبر عن اعتقاده أن الإخوان المسلمين لم يكونوا مشاركين فيها بشكل فعال. وأضاف ربما يكون بعض البعثيين والشيوعيين متورطين فيها" (47) .

ولئن كانت هذه الإجابة من أعلى سلطة في الجيش الليبي آنذاك توحي - فيما يبدو- بأن جماعة الإخوان المسلمين لم يكونوا متورطين فيها بشكل فعال وجلي. إلا أن هذه الأحداث الدامية التي شهدتها مدينة بنغازي لأول ولآخر مرة في تاريخ المملكة الليبية، وسواءً كانت مفارقة عارضة أم أمرًا مدبرًا، وأيًا كانت الجهة المسؤولة عنها محلية أم خارجية، فقد كانت لها نتائج وخيمة ومؤسفة في الوقت ذاته، أبرزها سقوط حكومة محيي الدين فكيني في 22 (يناير) عام 1964، ولما يمضي على وجودها في سدة الحكم أكثر من عشرة أشهر، هذه الحكومة التي يصفها السفير الأمريكي أيدوين آلن لايتنر Edwin Allan Lightner:"إنها تبقينا واقفين على أصابع أقدمنا"، كانت مليئة بالوعود والانجازات والخصومات والحساسيات، وبشتى صور الصراع الظاهر والخفي، داخليًا وخارجيًا، لاسيما بعد أن تحولت المملكة الليبية إلى "جائزة وكنز" بعد أن كانت "مسؤولية وعبئًا" (48).

(الخاتمة)

ختامًا يسعنا القول أن ليبيا كانت لها الصدارة بين البلدان العربية والإسلامية التي تسرب إليها فكر جماعة الإخوان المسلمين بعد فلسطين والسودان في أواخر العشرية الخامسة من القرن العشرين، وبذلك أضحت الجماعة من أبرز الجماعات الإسلامية وأقدمها أثرًا في البلاد، منذ أن عاصر نخبة من المهاجرين والطلبة الليبيون حركات الإصلاح الديني بين جنبات الأزهر الشريف وأروقته، وأيضًا عندما لجأ إليها مجموعة من شباب الإخوان المسلمين الفارين من مصر بتهمة اغتيال محمود النقراشي باشا رئيس الحكومة المصرية، واحتضنهم الأمير إدريس وقبل طلب لجوئهم ورفض رفضًا قاطعًا تسليمهم للسلطات المصرية، ربما لتعاطفه معهم، أو لموقف سياسي من حكومة النقراشي باشا، وترتب عن ذلك بطبيعة الحال؛ أزمة في العلاقات بين حكومتي برقة ومصر، لكنها لم تدم طويلًا.

(47) تقرير الرجل الثاني في السفارة الأمريكية جون دورمان John Dorman رقم (246-A) الذي بعثه إلى الخارجية الأمريكية بتاريخ 30 (يناير) عام 1964؛ محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر صفحات من التاريخ السياسي دولة الاستقلال، ج2، الحقبة النفطية 1963 - 1969، المجلد الرابع، ص 710.

(48) رسالة من أيدوين آلن لايتنر السفير الأمريكي الجديد في ليبيا إلى خلفه السفير جون ويزلي جونز بتاريخ 1963؛ محمد يوسف المقريف، المرجع نفسه، ص 520، ص 685.

إن نشأة الجماعة الأولى لم تكن نشأة سرية أو يجرمها القانون، بل كانت إفرازا لواقع المجتمع العربي المسلم الباحث عن مخرج من مأزق أو أزمة انهيار دولة خلفاء بني عثمان. وشكل فكرها تيارًا واسع الانتشار بين النخبة المثقفة في ليبيا إبان الخمسينيات والستينيات (زمن المملكة)، إلا أن أعضاءها لم يتحركوا كجماعات نشطة سياسيًا، ولم يعدوا بالتالي خطرًا أو جماعة معارضة للنظام الملكي حتى البدايات الأولى من عقد الستينيات. وعلى الرغم من ذلك فقد تعرضوا لكثير من المشاكل والمتاعب منها: صدور أمر يمنعهم من ممارسة نشاطهم السياسي في ليبيا، كما اتُخذت بعض الإجراءات "حاصرت" قيادتهم وبعض عناصرهم، على إثر بعض الظنون التي بدأت تطفو على السطح وتشير بأصابع الاتهام إلى علاقة الشريف محيي الدين أحمد الشريف بجماعة الإخوان المسلمين في ليبيا.

وتجدر الإشارة إلى أن الجماعة في ليبيا تحصلت على قدر لابأس به من البراح والحرية إبان حكومة محيي الدين فكيني (1964-1963)، وكان أعضاؤها منجذبين وفخورين ومعجبين بسياساته إزاء القضايا الأفرو – آسيوية، وعدائه للغرب، بيد أن ذاك البراح الذي منحه لهم فكيني سرعان ما تبدد وأسقط بأيديهم، لاسيما عندما أعلن فكيني أمام البرلمان عقب اجتماعه بمجلس وزرائه في شهر (أغسطس) عام 1963؛ أن الوقت لم يسمح بعد بتشكيل الأحزاب والتيارات السياسية، فضلًا عن أن بعض القوى الوطنية ساورتها هواجس وشكوك إزاء مواقفهم وأهدافهم ورؤاهم القومية.

أيضًا لاحظنا من خلال التقارير السرية لوزارتي الخارجية الأمريكية والبريطانية أن الدبلوماسيين الأمريكيين والبريطانيين كانوا يتابعون بحرص شديد نشاط جماعة الإخوان المسلمين في ليبيا على الصعد كافة، سواء عن طريق اجتماعاتهم بسفاراتهم في واشنطن ولندن، أو بوساطة بعض المسؤولين الليبيين في الحكومة الليبية. وأن ردود الدبلوماسيين البريطانيين على الأمريكيين بخصوص نشاط الجماعة في ليبيا توحي بإخفائهم بعض المعلومات المتوافرة لديهم حول نشاطها، ربما لأنها صنيعتهم والحاضنة الرئيسة لهم.

وأخيرًا يمكننا القول إن ليبيا طيلة العشرين عامًا 1949 - 1968، كانت ملجأ ومأمنًا وبيئة سياسية واجتماعية حاضنة لجماعة الإخوان المسلمين، على الرغم مما شابها من ملابسات وصاحبها من صعوبات، الأمر الذي ساعد على انتشار فكر الجماعة، وصار لها أنصار وأتباع يدافعون عنها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.

(قائمة المراجع)

أولًا: الوثائق:

الوثائق غير المنشورة:

- ملف الوثائق التعليمية، وثيقة رقم (69) صفحات من كتاب مدرس، ووثيقة رقم (364) القراءة الرشيدة، دار أحمد النائب الأنصاري، طرابلس.

الوثائق المنشورة:

- الوثائق الإيطالية، المجموعة الأولى، ترجمة شمس الدين عمران، مركز الجهاد، طرابلس، 1989.

ثانيًا: الكتب الوثائقية:

1 - سالم الكبتي، المجهول من تاريخ ليبيا، إدريس السنوسي الأمير والملك وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج1، الأمير 1914 - 1945، ط1، دار الساقية للنشر، بنغازي، 2013.

2 - سالم الكبتي، المجهول من تاريخ ليبيا، إدريس السنوسي الأمير والملك، وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج2، إدريس السنوسي الأمير- الملك 1946 - 1951، ط1، دار الساقية، بنغازي، 2013.

3 - سالم الكبتي، المجهول من تاريخ ليبيا، إدريس السنوسي الأمير والملك، وثائق عن دوره السياسي والوطني، ج3، الملك، 1952 – 1969، ط1، دار الساقية للنشر، بنغازي، 2013.

4 - محمد بشير المغيربي، وثائق جمعية عمر المختار، صفحة من تاريخ ليبيا، ط1، دار الهلال، 1993.

ثالثًا: المذكرات الشخصية:

-محمد عثمان الصيد، محطات من تاريخ ليبيا، ط1، الرباط، 1996.

- مصطفى أحمد بن حليم، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ط5، الجبهة الشعبية.

رابعًا: المراجع العربية والمعربة:

- إبراهيم بيومي غانم، الفكر السياسي للإمام حسن البنا، القاهرة، 1992.

- إبراهيم فتحي عميش، التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا، ج1، ط1، برنيق للطباعة والترجمة والنشر.

- أشرف حافظ، الهوية العربية والصراع مع الذات دعوة للنهضة الفكرية وإعادة صياغة المفاهيم، ط1، دار كنوز للمعرفة، عمان، 2012.

- ارويعي محمد علي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية 1884 - 1957، ط1، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2014.

- جابر رزق، مذبحة الإخوان المسلمين، دار الوفاء، القاهرة، 1988.
- دي كاندول، الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره، إبداع للنشر والتوزيع، 1989.
- سالم الكبتي، الدستور في ليبيا تاريخ وتطورات، ط1، دار الساقية للنشر، بنغازي، 2012.
- سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، القاهرة، 1967.
- مجيد خدوري، ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي، ترجمة نقولا زيادة، مراجعة ناصر الدين الأسد، دار الثقافة، بيروت، 1966.
- محمد المفتي، زمن المملكة، ط1، ردمك، 2012.
- محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر صفحات من التاريخ السياسي دولة الاستقلال، ج1، ط1، المجلد الثاني، مكتبة وهبة، القاهرة، 2006.
- محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر صفحات من التاريخ السياسي دولة الاستقلال، ج2، الحقبة النفطية 1969-1963، المجلد الرابع، مكتبة وهبة، القاهرة، 2006.
- محمود الناكوع، الحركات الإسلامية الحديثة في ليبيا، ط1، دار الحكمة، لندن، 2010.

خامسًا: الدوريات والصحف:

- محمد المفتي "من تاريخ العلاقات الليبية المصرية" صحيفة ليبيا اليوم، العدد (32) بنغازي، بتاريخ 14 (نوفمبر) عام 2011.
- محمد صلاح"الإخوان المسلمون يسيرون بقوة الدفع الذاتي" صحيفة الحياة، العدد (14908) لندن، بتاريخ 20 (يناير) 2004.
- وليد شعيب آدم "موقف الهيئات الممثلة للأهالي والرأي العام في برقة من قرار تقسيم فلسطين عام 1947"، المجلة الليبية العالمية، العدد الثاني، كلية التربية (المرج)، جامعة بنغازي، 2016.
- وليد شعيب آدم"السياسية التعليمية في برقة من خلال تقارير الإدارة البريطانية 1948-1945" حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، العدد الأول، (يناير- مارس) المجلد 41، 2013.
- وليد شعيب آدم"السيد إبراهيم أحمد الشلحي يارو الحضرة الملكية وكيل أو ناظر الخاصة الملكية" جريدة ركاز، العدد (12) طبرق، بتاريخ 20 (يوليو) 2012.
- الجريدة الرسمية للمملكة الليبية، السنة الثامنة، بتاريخ 25 (ابريل) 1963، بنغازي.
- جريدة البشائر مقال بعنوان: "اغتيال ناظر الخاصة الملكية" بتاريخ 11 (أكتوبر) 1954، بنغازي.

- جريدة الزمان، العدد 27 (يناير) 1955، بنغازي.
- جريدة برقة الجديدة بتاريخ 10 (ديسمبر) 1954، بنغازي.
- مجلة المصور مقال بعنوان: "أسرار جريمة ليبيا السياسية"العدد (1567) القاهرة، بتاريخ 22 (أكتوبر) عام 1954، بنغازي.

سادسًا: الرسائل الجامعية:

-Salaheddin Salem Hasan "The Gensis of the Political Leadership ofLibya 1952-1969: Historical Origins and Development of its Component Elements" George Washington 1973.

مقاومة أحمد الشريف السنوسي للاحتلال الإيطالي و الإنجليزي 1902 – 1918م

إعداد: د. سمية سالم الشعالي
محاضر – قسم التاريخ والآثار ـ جامعة سرت .

الاستلام 19/ 11/ 2020 القبول 10/ 2/ 2021

المستخلص:
مع بداية الغزو الإيطالي للشواطئ الليبية عام 1911م، كان أحمد الشريف السنوسي قد أعاد تنظيم الحركة السنوسية من خلال الزوايا التي انتشرت في مدن كثيرة، كما سعى جاهدًا لمد جسور التعاون والتناصح مع الحركات الإسلامية الأخرى، وتدعيم وشائج الأخوة الإسلامية بينها، كما ارتبط أشد الارتباط بالخلافة الإسلامية التي كانت تمثلها الدولة العثمانية في تركيا، وما إن وطِئَ البلاد جنود المستعمر الإيطالي حتى كان أحمد الشريف قد حوَّل زوايا الحركة السنوسية إلى معسكرات، لإعداد قوة عسكرية من الأهالي والأتباع بقيادة جماعات من الضباط الأتراك، واتخذ التدابير اللازمة لتزويد تلك القوات بالأسلحة والعتاد بشتى الطرق.
الكلمات الدالة: (مقاومة، أحمد الشريف، إيطاليا، إنجلترا)

Abstract:

Ahmad Al-Sharif Al-Senussi's Resistance to the Italian and English Occupation 1902-1918 AD

With the beginning of the Italian invasion of the Libyan shores in 1911 A.D., Ahmed Al-Sharif Al-Senussi had reorganized the Senussi movement through the corners that spread in many cities, and he also strived to build bridges of cooperation and discussion with other Islamic movements, and to strengthen the bonds of Islamic brotherhood between them, as the link was closely linked to the Caliphate The Islamic Republic represented by the Ottoman Empire in Turkey, and as soon

as the Italian colonial soldiers set foot in the country, Ahmed al–Sharif had turned the corners of the Senussi movement into camps to prepare a military force of the people and followers led by groups of Turkish officers and took the necessary measures to supply these forces with weapons and equipment in various ways.

Key words: resistance, Ahmed al–Sharif, occupation, Italy, England

المقدمة:

ظهرت الحركة السنوسية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي في ليبيا، وقد حملت الحركة على عاتقها إعادة بناء المجتمع، فبدأت بدعوة دينية إصلاحية على يد مؤسسها محمد بن علي السنوسي، الذي أسَّس للحركة ووضع المبادئ التي ساعدت على تطويرها. وبحكم المكانة الدينية والسياسية التي تمتعت بها الحركة، استطاعت أن تستمر في حكم إقليم برقة لفترة طويلة، وتمتلك نفوذًا واسعًا في معظم المدن الليبية، وقد ساعدت الأحداث السياسية على ظهور شخصيات متميزة، منها المجاهد أحمد الشريف السنوسي الذي استطاع بفضل حكمته ودهائه السياسي، أن يطور حركة المقاومة المسلحة في شرق البلاد ضد الاحتلال الإيطالي والإنجليزي.

الأهمية والهدف:

تهدف الدراسة إلى التعرُّف على النشاط السياسي والعسكري للحركة السنوسية إبَّان قيادة أحمد الشريف، ومحاولة إبراز موقفه من تقدم الاحتلال، ومدى مقاومته لإنجلترا، كما تهدف الدراسة إلى إبراز الآثار السلبية التي ترتبت على عقد اتفاقية "أوشي لوزان"، وتحديد ردة فعل القوات الإيطالية والإنجليزية وسعيها لإخماد مقاومة أحمد الشريف السنوسي.

إشكالية الدراسة:

تتمثل إشكالية الدراسة في مقاومة أحمد الشريف السنوسي للاحتلال الإيطالي والإنجليزي، والتي يمكن طرحها من خلال الآتي:

1 - ما هو موقف أحمد الشريف السنوسي من تقدم الاحتلالين الإيطالي والإنجليزي لليبيا على الحدود الليبية المصرية؟

2 - ما مدى تأثير توقيع معاهدة "أوشي لوزان" وتسليم ليبيا إلى إيطاليا، على أحمد الشريف السنوسي؟

3 - كيف ساهمت الدولة العثمانية وألمانيا في الضغط على أحمد الشريف السنوسي لمقاومة الإنجليز في مصر؟

منهجية الدراسة :

تتطلب طبيعة الدراسة استخدام المنهج التاريخي الوصفي، من خلال تتبع مسارات مقاومة أحمد الشريف السنوسي، والمنهج التحليلي وفق ما تقتضيه المادة العلمية.

المباحث:

المبحث الأول: زعامة أحمد الشريف السنوسي للحركة السنوسية 1902م.

المبحث الثاني: مقاومة أحمد الشريف السنوسي للاحتلال الإيطالي 1911 - 1913م.

المبحث الثالث: مقاومة أحمد الشريف السنوسي للاحتلال الإنجليزي 1914 - 1918م .

المبحث الأول: زعامة أحمد الشريف السنوسي للحركة السنوسية 1902م.

أحمد الشريف السنوسي زعيم وطني ليبي ومناضل ضد الغزو الإيطالي لبلاده، ولد في واحة الجغبوب عام 1873م، وهو ابن العلامة السيد محمد الشريف بن محمد بن علي السنوسي، وعمه العالم محمد المهدي السنوسي، وجده الإمام محمد بن علي السنوسي[1].

يُعَدُّ أحمد الشريف واحدًا من كبار المجاهدين الليبيين، جاهد وشارك وقاد معارك الجهاد في سبيل الله والوطن ضد الاحتلال الإيطالي، والفرنسي، والإنجليزي، في تشاد، والسودان، ومصر، وليبيا، وأسهم في نشر الدعوة الإسلامية وتعاليم الدين الإسلامي في أرجاء إفريقيا، وهو صاحب كتاب "السراج الوهاج في رحلة السيد المهدي من الجغبوب إلى التاج"، الذي دوَّنَ فيه الرحلات الدعوية التي رافق فيها عمه السيد محمد المهدي السنوسي[2]، ومن أبرز ألقابه "الشيخ العالم، والداعية، والمجاهد"، كما ذكره الأمير شكيب أرسلان في كتابه (حاضر العالم الإسلامي)، بقوله: "أتحدث الكلمة على نزاهة هذا الرجل، وتجرده عن المآرب الشخصية، وعزوفه عن حظوظ الدنيا، وانصراف همِّه كله إلى الذبِّ عن بيضة الإسلام بدون غرض سوى مرضاة الله ورسوله r ، وحفظ استقلال المسلمين".[3] لقد تميزت شخصية أحمد الشريف بالأخلاق والاحترام وإلمامه بمختلف العلوم الدينية والفقهية، كما اكتسب خبرة في القتال نظرًا لسفره المتواصل مع عمه إلى إفريقيا، إذ هيأته تلك القدرات إلى أن يحظى بثقة كبيرة في مواصلة مسيرة المقاومة ضد الفرنسيين، وعندما شعر عمه بقرب أجله منح قيادة السنوسية لأحمد الشريف، نظرًا لما لمسه فيه من صفات القيادة التي أهَّلته لتولي تلك القيادة[4].

تزعَّم أحمد الشريف الحركة السنوسية عام 1902م خلفًا لعمه السيد محمد المهدي، والد الملك إدريس السنوسي الذي كان قد بلغ الثالثة عشر من عمره آنذاك، فواصل مقاومة الفرنسيين منطلقًا من الجنوب الليبي متجهًا إلى داخل إفريقيا، وفي عام 1903م نقل عاصمة السنوسية من الجغبوب إلى الكفرة، وشرع من خلالها في تشكيل جبهة إسلامية لمقاومة الاستعمار الفرنسي، من جنوب تشاد إلى شرقها وشمالها، وقام بالاتصال بالسلطان داود عام 1903م، وأقنعه بسحب اعتراف وداي بالحماية الفرنسية على كانم وباقرمي، واستجاب السلطان داود لذلك وسحب اعترافه بالحماية الفرنسية[5]، الأمر الذي ترتب عليه قيام

(1) محمد الطيب الأشهب، برقة العربية أمس واليوم، مطبعة الهواري، القاهرة، 1947م، ص: 253.

(2) علي محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في ليبيا، دار المعرفة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص: 198.

(3) شكيب أرسلان، خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي، تحرير: د. سوسن النجار نصر، ط1، دار التقدمية، لبنان، 2010م، ص: 9.

(4) تاريخ الحركة السنوسية في ليبيا، ص: 199.

(5) لوثر بستو داور، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويض، دار الفكر، د.ب، د.ت، ص: 159.

الفرنسيين - بعدما دانت لهم تشاد عام 1909م - بهدم مراكز الإصلاح السنوسية. واستطاع أحمد الشريف أن يقنع العثمانيين بضرورة دعمه والوقوف مع حركته، وأسفرت مفاوضته عن إرسال جنود من النظاميين إلى برنو وتيبستي، وتأسيس قائم قام في الكفرة، التي عُيِّن بها الشيخ كيلاني الأطيوش من قبيلة المغاربة، وعندما وقع الاستعمار الإيطالي على ليبيا عام 1911م، كان السيد أحمد الشريف منشغلًا بمقاومة الفرنسيين في حوض تشاد، فصدَّ تقدمهم تجاه الأراضي الليبية. واستمر السيد أحمد الشريف في إمارة الحركة السنوسية من 1902 إلى 1916م، إذ تنازل عنها في ذلك العام لابن عمه محمد إدريس السنوسي، وقبل حوالي عامين من مغادرته الوطن مرغمًا على ظهر غواصة ألمانية أرسلتها له تركيا في أغسطس 1918م، لتنقله من البريقة ليصل لاحقًا إلى النمسا ثم إلى الاستانة بتركيا[6]، وسنوضح تفاصيل ذلك لاحقًا.

المبحث الثاني: مقاومة أحمد الشريف السنوسي للاحتلال الإيطالي 1911 - 1913م.

مع بداية غزو الاحتلال الإيطالي للشواطئ الليبية 1911م، كان السيد أحمد الشريف السنوسي قد أعاد تنظيم الحركة السنوسية من خلال انتشار الزوايا في بلدان كثيرة، كما سعى جاهدًا لمد جسور التعاون والتناصح مع الحركات الإسلامية الأخرى، ودعم الأخوَّة الإسلامية بينها، كما ارتبط أشد الارتباط بالخلافة الإسلامية التي تمثلها الدولة العثمانية في تركيا، وما إن وصل المستعمر الإيطالي إلى ليبيا حتى حوَّل أحمد الشريف زوايا الحركة السنوسية إلى معسكرات، لإعداد قوة عسكرية من الأهالي والأتباع بقيادة جماعات من الضباط الأتراك، واتخذ التدابير اللازمة لتزويد المجاهدين بالأسلحة والعتاد بشتى الطرق[7].

عندما تناهى لأسماع أحمد الشريف اعتزام الدولة العثمانية إبرام الصلح مع إيطاليا، شكَّل وفدًا من زعماء السنوسية وأهالي البلاد وأرسلهم إلى مدينة درنة لمقابلة أنور بك الوالي العثماني، وسلَّمه رسالة خطية جاء فيها: "نحن والصلح على طرفي نقيض، ولا نقبل صلحًا بأي وجه من الوجوه، إذا كان ثمن هذا الصلح تسليم البلاد إلى العدو"[8]. وبعد أن أصر أنور بك على الصلح كان رد أحمد الشريف أكثر حزمًا، إذ قال: "والله لا نسلِّمهم من أرضنا طرحة حصان"، وبادر أحمد الشريف إلى إعلان الحكومة السنوسية لسد الفراغ الذي تركه انسحاب العثمانيين، وأصدر نداء إلى المجاهدين في طرابلس وبرقة للجهاد، وكان النداء "الجنة تحت ظلال السيوف"، وقد نُقِش هذا النداء على راية من الحرير حملها المجاهدون،

(6) خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي، ص: 9.

(7) سميرة بوزبوجة، الطريقة السنوسية 1911ـــ1951م ومواقفها من قضايا العصر محليًّا ـــ إقليميًّا ـ دوليًّا، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران (1) أحمد بن بلة، الجزائر، 2017م، أطروحة دكتوراه، ص: 133.

(8) برقة العربية أمس واليوم، ص: 278.

انطلاقًا من طرابلس إلى المناطق المختلفة في الجنوب[9].

بعد وصول خبر احتلال إيطاليا لطرابلس، وقصفها لبقية المدن بأساطيلها قام أحمد الشريف بجمع السادة، والشيوخ، والعلماء، والقادة، وعرض عليهم الأمر واستشارهم، وخرج الأمر بتوجيه الشيوخ وعلماء الحركة بقيادة المجاهدين في كافة الساحات، وذكر أحمد الشريف: (والله نحاربهم ولو وحدي بعصاتي هذه)[10]. كانت في حينها القوة الألمانية الدافعة تحرك أحمد الشريف اتجاه المقاومة، فرفض الخنوع والاستسلام للمحتل مهما كانت قوته، ووصلت أوامر أحمد الشريف إلى رؤساء الزوايا السنوسية والشيوخ والزعماء في طرابلس وما جاورها من مناطق، بأمرهم بأن لا يتهاونوا وأن يستميتوا في الدفاع، ومن هؤلاء الشيوخ: (مصطفى أحمد الهوني رئيس زاوية هون، ومحمد بركات الشريف رئيس زاوية سوكنة، ومحمد علي الأشهب رئيس زاوية واو فزان، والسنِّي رئيس زاوية مزدة، وعبد الوهاب العيساوي رئيس زاوية طرابلس، ومحمد علي بن الشفيع رئيس زاوية سرت)، وكتب إلى زعماء القبائل، ومنهم الشيخ سيف النصر زعيم قبائل أولاد سليمان وورفلة وغيرهم، فكانت من نتائج ذلك أن تدفعت جموع المجاهدين على المعسكرات في العزيزية، وغريان، وقد اعترف السلطان العثماني يوم 25 مارس 1912م بهذه الجهود التي قام بها أحمد الشريف، فأهداه سيفًا ونيشانًا مرصعًا بالجواهر، مكافأة وتقديرًا لجهوده[11]. يبدو أن جهود المجاهدين كانت أكثر وضوحًا وأعمق أثرًا في سير حركة الجهاد ضد إيطاليا في برقة، فقد واجهة القوات الإيطالية في ليبيا مقاومة عنيفة، والتحم المجاهدون مع الأتراك، وشكلوا قوة عسكرية ضاربة وأدركت إيطاليا عجزها عن إنهاء احتلال بقية الولاية؛ لذلك قررت أن تهاجم الدولة العثمانية في مراكزها الضعيفة، وتوجهت لهذا السبب نحو الجزر الاثني عشر التي كانت تلف الولاية المعروفة باسم (مجموعة جزر بحر إيجة ـــ الدردنيل)، ففي يوم 4 مايو 1912م قامت أساطيل إيطاليا باحتلال الجزر، ثم قامت بتهديد مدخل الدردنيل، وقصفت ميناء بيروت على ساحل الشام، وكأنها بذلك تدعو إلى توسيع رقعة الحرب، وهذا ما أثار الدول الأوروبية وهذا ما آثار الدول الأوروبية خاصة إنجلترا صاحبة الإشراف المباشر على الحركة البحرية المتجهة إلي البحر الأسود و قناة السويس [12]، فسيطرت إيطاليا بإدارتها على الجزر في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الدولة العثمانية، حيث استقالت وزارة الاتحاديين في أواخر شهر يوليو 1912م، لتتولى الحكم وزارة أُطلق عليها اسم (الوزارة الكبرى) أَلَّفها أحمد مختار باشا

(9) تاريخ الحركة السنوسية في ليبيا، ص: 298.

(10) جلال يحي، المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص: 770.

(11) محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، ص 127.

(12) عايض بن حازم الورقي، حروب البلقان والحركة العربية في المشرق العربي العثماني، جامعة أم القرى، 1996م، ص 80.

الغـازي، فقـد سـمحت الفرصـة لإيطاليـا هنـا بالضغـط عـلى الدولـة العثمانيـة عـلى عقـد الصلـح بـين الدولتـين، وقـد لعـب بعـض رجـال الأعمـال اليهـود المؤيديـن لجمعيـة الاتحـاد والترقـي دورًا بـارزًا في بـدء هـذه المفاوضـات[13].

وكانـت محـاولات الصلـح تجـري في كتمـان تـام، بينمـا تعلـن الحكومـة تمسـكها بوحـدة الدولـة العثمانيـة وعـدم التفريـط في ولايتـي طرابلـس وبرقـة، إنمـا رغـم الأزمـات الخانقـة التـي تمـر بهـا الدولـة العثمانيـة رأت حكومـة مختـار باشـا الغـازي أن تصـل المفاوضـات مـع إيطاليـا إلى نتيجـة حاسـمة، فأوفـدت وزيـر الزراعـة وزودتـه بصلاحيـات واسـعة، ووصـل المسـؤول إلى لـوزان بتاريـخ 27 سـبتمبر 1912م، ومـع وصولـه أخـذت المباحثـات تدخـل في دور حاسـم واتفـق الطرفـان عـلى الخطـوط العريضـة لتوقيـع الصلـح بـين الطرفـين[14].

حينمـا وقعـت معاهـدة أوشي لـوزان 18أكتوبـر1912م بـين الحكومتـين، معلنـة انتهـاء مرحلـة النـزاع الإيطـالي العثمانـي بعـد سلسـلة مـن المعـارك العسـكرية، بـات جليًّـا أن تخـلي الدولـة العثمانيـة عـن ليبيـا لإيطاليـا لـم يـرض بعـض الضبـاط، وإن كان هـذا التخـلي تحـت الضغـط، حيـث أرسـلت أحـد قادتهـا للالتحـاق بحركـة المقاومة (أنـور باشـا) محـاولًا التواصـل مـع أحمـد الشريـف ويرجـوه بـأن يرسـل منشـورًا إلى المجاهديـن بـضرورة الالتحـاق بالجهـاد ضـد إيطاليـا، لاسـيما بعدمـا أشـاع لمسـامعهم احتمـال وصـول أحمـد الشريـف مـن الجغبـوب، ليتـولى قيـادة حركـة الجهـاد ولسـد الفـراغ الـذي تركـه انسـحاب العثمانيـين[15]، فنظَّـم الإيطاليـون حملـة تعدادهـا 5000 جنـدي مدججـين بأحـدث الأسـلحة لـضرب معسـكر المجاهديـن في سـيدي عزيـز، وسـيدي قربـاع عـلى ضفتـي وادي درنـة، وأعلـن أحمـد الشريـف في منشـوره حالـة الطـوارئ، بـأن يلتحـق المجاهـدون بمعسـكراتهم في بنغـازي، ودرنـه، وطـبرق، وطرابلـس[16]. وفي يـوم 16 مايـو 1913م وصـل أحمـد الشريـف إلى منطقـة الظهـر الأحمـر، وجـرت أول المعـارك السنوسـية فيهـا، وهـي معركـة سـيدي قربـاع الشـهيرة باسـم "معركـة يـوم الجمعـة" بقيـادة أحمـد الشريـف ضـد الإيطاليـين، وتمكنـوا مـن تحقيـق الانتصـار عـلى القـوات الإيطاليـة، حيـث قتـل فيهـا مـا يقـارب مـن 70 ضابطًـا، ووقـع في الأسر أكثـر مـن 400 إيطـالي، فضـلًا عـن الأسـلحة والمعـدات التـي أصبحـت غنيمـة في يـد المجاهديـن[17]، وقـدرت بنحـو 999 بندقيـة إيطاليـة. هـذا النـصر زاد مـن رفـع معنويـات المجاهديـن عـلى مواصلـة المقاومـة، ممـا زاد في أعـداد الأدوار في

(13) تاريخ الحركة السنوسية في ليبيا، ص: 268.

(14) الطاهر الزاوي، جهاد طرابلس الغرب، ط3، دار الفتح، لبنان، 1973م، ص: 99.

(15) برقة العربية أمس واليوم، ص: 278.

(16) السنوسية دين ودولة، ص: 196.

(17) نيكـولا بروشـين، تاريـخ ليبيـا مـن القـرن التاسـع عـشر حتـى عـام 1969م، ترجمـة: عمـاد حاتـم، منشـورات مركـز جهـاد الليبيـين ضـد الغـزو الإيطـالي، طرابلـس، 1988م، ص: 134.

برقــة، فبــدأ بتشــكيل الأدوار في منطقتــي جــردس العبيــد الأحــرار في البيضــاء وفي جنــوب بنغــازي| كــذا| [18].

نظـرًا لهزيمـة إيطاليـا وتراجعهـا بقيـادة الجنـرال تاسـوني بتاريـخ 15 نوفمـبر1913م، قامـت الحكومـة الإيطاليـة بإرسـال وفـد وسـيط بقيـادة الخديـوي عبـاس حلمـي الثانـي برفقـة كلٍ مـن: عيـسى المصراتـي، وهـو أحـد أفـراد قبيلـة أولاد عـلي ويعمـل لحسـاب الخديـويِ، وسـيدي عبدالعزيـز كريـم مواطـن مـن برقـة وأحـد أفـراد الحركـة السنوسـية، وسـعد أبـو خطـر أحـد أفـراد قبيلـة العرفـة وهـو يعيـش بـين السـلوم ودرنـة، فقـد كان الخديـوي والوفـد وسـيطين مـن قبـل إيطاليـا لأحمـد الشريـف، وكانـت شروط إيطاليـا كالآتـي:

1 - إيقاف الحملات العسكرية ضد إيطاليا.

2 - إعـلان السـلم، وأن تكـون لـه إمـارة يحكمهـا ومنطقـة تكـون تحـت سـيطرته ونفـوذه.

رفـض الشريـف شروط إيطاليـا، وأقـترح بعـض الـشروط كـرد عـلى مـا ذكرتـه إيطاليـا، وهـذه الـشروط هي:

1 - كل صحراء ليبيا تكون تحت سلطة السنوسي.

2 - يكـون للسـنوسي الحـق في تكويـن جيـش وطنـي وجمـع الضرائـب مـن العـرب، وتعيـين الموظفـين القانونيـين في منطقتـه.

3 - يكون للسنوسي ميناء خاص ويفضل أن يكون في درنة.

4 - تدفـع إيطاليـا تعويضًـا عـن ممتلـكات السـنوسي الضائعـة، وأن تعيـد بنـاء الزوايـا المتهدمـة.

وهنـا عـلى الإيطاليـين الالتـزام بالحفـاظ عـلى الزوايـا السنوسـية في أماكنهـا واحتفـاظ العـرب بأسـلحتهم[19]. رغـم ذلـك الرفـض أرسـل الخديـوي وفـدًا آخـر يتكـون مـن أبناء السـيد عبـد المتعـال الإدريـسي وهـم: السـنوسي، والمأمـون، ومصطفـي، وعبـد الحميـد بـك شـديد، وقابـل أحمـد الشريـف الوفـد، واعتـذر عمَّـا قدمـوه مـن عـرض بقولـه: "إنـي لا أتفـاوض مـع إيطاليـا في بـلادي ولا أتفـق معهـا عـلى تنـازلي عـن شـبر واحـد في الأرض"[20]، يوضِّـح أحمـد الشريـف في رسـالته هـذه عـدم التفـاوض مـع إيطاليـا، وأنـه مُـصرّ عـلى التمسـك بوطنـه، وهدفـه طـرد القـوات الإيطاليـة عـن الوطـن، واسـتمر أحمـد الشريـف في تحريـض القبائـل عـلى مقاومـة الإيطاليـين مـن خـلال رسـائل بعـث

(18) عـلي البوصـيري "التوغـل الإيطـالي عقـب صلـح أوشي لـوزان نوفمـبر 1912م"، بحـوث ودراسـات في التاريـخ الليبـي 1911ـ 1943م، مركـز جهـاد الليبيـين للدراسـات التاريخيـة، طرابلـس، 1998م، ص: 139.

(19) المركـز الليبـي للمحفوظـات والدراسـات التاريخيـة، طرابلـس، شـعبة الوثائـق الأجنبيـة، ملـف أحمـد الشريـف، وثيقـة رقـم286، (رسـالة مـن فسـكونتك تشـنر للسـير إدوارد جـراري، رسـالة سريـة بهـا شروط وأسـماء الموفديـن مـع الخديـوي عبـاس بشـأن مسـاومات إيطاليـا للصلـح مـع السـيد أحمـد الشريـف السـنوسي، بتاريـخ 27 نوفمـبر1913م).

(20)ـ برقة العربية أمس واليوم، ص: 206.

بهـا إلى أهـالي الزاويـة يحثهـم عـلى جمـع الـزكاة وعـلى مقاومـة الإيطاليـين[21].

عندمـا اشـتدت المعـارك ضـد الإيطاليـين في غـرب البـلاد، كلَّـف أحمـد الشريـف أخـاه المجاهـد صفـي الديـن السـنوسي بقيـادة منطقـة غـرب برقـة، والتنسـيق مـع زعمـاء طرابلـس وفـزان في مواجهـة القـوات الإيطاليـة. توجـه صفـي الديـن السـنوسي مـن أجدابيـا إلى منطقـة سرت، واتصـل هنـاك بالعديـد مـن المجاهديـن، ومنهـم رمضـان السـويحلي، وأحمـد بـك، وسـيف النـصر. أمـا عـن توتُّـر العلاقـات خـلال هـذه الفـترة بـين السنوسـيين والعثمانيـين فقـد كان واضحًـا عقـب معاهـدة أوشي لـوزان، وقـد بقيـت حاميـة بقيـادة عزيـز بـك المـصري لقيـادة المجاهديـن في برقـة، وانضمـوا تحـت قيـادة أحمـد الشريـف عقـب تسـلمه الزعامـة في برقـة، ومـع أواخـر عـام 1913م أصبحـت العلاقـات أكثـر توتـرًا بسـبب كيفيـة الاسـتراتيجية الحربيـة المتبعـة ضـد القـوات الإيطاليـة، فقـد كانـت لـكل مـن عزيـز بـك المـصري وأحمـد الشريـف آراء متباينـة في القيـادة؛ لذلـك انسـحب عزيـز بـك المـصري مـن ليبيـا برفقتـه قواتـه وأسـلحتهم ولـم يسـلمها للمجاهديـن، وأعلـن عبـد العزيـز بـك أن قـرار الانسـحاب أمـر صـادر مـن الحكومـة العثمانيـة بحسـب مـا جـاء في اتفاقيـة أوشي لـوزن، الأمـر الـذي أثـار غضـب أحمـد الشريـف، إذ أن الانسـحاب قـد تـرك فراغًـا في صفـوف المجاهديـن في المنطقـة الشرقيـة تحديـدًا في برقـة، فقـد بلغـت قـوات عبدالعزيـز بـك المـصري 400 جنـدي هـذا إلى جانـب العتـاد والسـلاح[22]، وهـذا مـا أثـار غضـب بعـض القبائـل الذيـن تأثـروا بانشـقاق وحـدة الصفـوف بـين المجاهديـن، خاصـة بعدمـا أعـدم عبـد العزيـز بـك بعضًـا مـن السـلاح والعتـاد الحربـي، الـذي كان بحوزتـه وبحـوزه جنـوده قبـل مغادرتـه ليبيـا، وفي أثنـاء توجهـه إلى الحـدود المصريـة تصـادم مـع قبيلـة المنفـة التـي طالبتـه باسـترجاع الأسـلحة، كمـا أعلـن أحمـد الشريـف حالـة الاسـتنفار العـام للمجاهديـن في كافـة البـلاد لسـد الفـراغ الـذي تركـه العثمانيـون ولتوحيـد الصفـوف، كمـا تـم إرسـال المراسـلات إلى زعمـاء القبائـل وأعيانهـا، ومنهـا رسـالة موجهـة إلى المجاهـد أبـي بكـر البوسـيفي يحرضـه عـلى مقاومـة الاحتـلال وجمـع الصفـوف للمقاومـة[23].

المبحث الثالث : مقاومة أحمد الشريف السنوسي للاحتلال الإنجليزي 1914 – 1918م .

اندلعـت الحـرب العالميـة الأولى 1914م واسـتمرت حتـي عـام 1918م، دخلتهـا تركيـا إلى جانـب ألمانيـا ضـد الإنجليـز وحلفائهـم مـن الفرنسـيين والـروس والإيطاليـين، وكان أحمـد الشريـف قـد اسـتنفر عـددًا مـن المتطوعـين لمقاومـة الإيطاليـين تحـت قيادتـه،

(21) المركـز الليبـي للمحفوظـات والدراسـات التاريخيـة، طرابلـس، شـعبة الوثائـق العربيـة، وثيقـة رقـم 7، (رسـالة موجهـة مـن أحمـد الشريـف لأهـالي الزاويـة لجمـع الـزكاة مـن المـواشي والغـلال لدعـم حركـة الجهـاد، بتاريـخ مـارس 1913م).

(22) جهاد طرابلس الغرب، ص 261.

(23) المركـز الليبـي للمحفوظـات والدراسـات التاريخيـة، طرابلـس، شـعبة الوثائـق العربيـة، وثيقـة رقـم 16، (رسـالة مـن السـيد أحمـد الشريـف السـنوسي إلى أبـي بكـر البوسـيفي يحرضـه عـلى الجهـاد، بتاريـخ 13 نوفمـبر1914م).

إلا أن اندلاع الحرب العالمية أثَّر في مسار الأحداث، إذ حاول الإنجليز أن يقنعوا أحمد الشريف بالوقوف على الحياد، بينما حاول الألمان والأتراك إقناعه بضرورة مقاومة الإنجليز على الحدود المصرية الغربية، حتى ينشغل الإنجليز عن الدفاع عن جبهة القتال على حدود مصر الشرقية على السويس[24]. فأرسل الأتراك نوري باشا على رأس وفد معه الضابط الألماني ماتسمان، وقد حملتهم غواصه ألمانية تحمل عتادًا وأسلحة رست في ميناء البردية، وكانت مهمة الوفد أقناع أحمد الشريف بإعلان الجهاد ضد الإنجليز على حدود مصر الغربية[25]. قابل الوفد أحمد الشريف وسلموه رسالة من أنور باشا تتضمن قرار تعيين أحمد الشريف نائبًا للسلطان محمد رشاد في شمال إفريقيا، ووزيرًا مفوضًا للسلطان، له الحق في منح الرتب والنياشين، على أن يشترك أحمد الشريف بقواته مع الأتراك والألمان[26]. أيقن نوري باشا أن مساعيه لدفع أحمد الشريف للثورة ضد الإنجليز باءت بالفشل، فأراد من أحمد الشريف أن يدخل في هدنة مع الإيطاليين حتى يتم الاستعداد لمواجهة الإنجليز في مصر[27].

رأى أحمد الشريف أن إعلان الحرب على الإنجليز لن يعود بالفائدة على البلاد؛ لأن العدو الحقيقي لليبيين هم الإيطاليون، وأن علاقته بالإنجليز في مصر كانت في حينها جيدة، وأنهم كانوا يغضون الطرف عن إدخال المساعدات إلى المجاهدين، ويبدو أن الإنجليز كانوا على دراية بمحاولات الأتراك والألمان لإقحام أحمد الشريف في حرب ضدهم، فأرسل السير هنري ماكمهون بعد إعلان الحماية الإنجليزية على مصر من القاهرة خطابًا في 15 يناير 1915م، جاء فيه: "إلى قطب دائرة أهل الفضل والكمال وخلاصة أرباب الحلال، إمام المسلمين وقدوة المرشدين، الأستاذ الأعظم والملاذ الأفخم، السيد أحمد الشريف السنوسي أعزه الله: ولما كانت علاقة هذا القطر مصر ودية مع سيادتكم، رأيت أن أبلغكم وصولي، وأؤكد لكم أن العلاقات الودية التي كانت لكم ولأسلافكم الكرام مع الحكومة المصرية ستستمر في هذا العهد الجديد، كما كانت عليه من الود والسلام"[28]. قام الإنجليز بدفع السلطان حسين كامل للاتصال بأحمد الشريف، ليقنعه بعدم الدخول في أي عمل عسكري يدفعه الألمان والأتراك ضد مصر وإنجلترا. أرسل الوفد إلى منطقة

(24) مصطفي علي هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، مركز دراسة جهاد الليبيين، طرابلس، 1988م، ص ص: 48، 49.

(25) الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولي، ص ص: 48، 49.

(26) السنوسية دين ودولة، ص: 247.

(27) أنور باشا، مذكرات أنور باشا، ترجمة: عبد المولى صاح الحرير، مركز دراسات الجهاد الليبي، طرابلس، 1979م، ص: 33.

(28) عبد الفتاح رجب بولبيض، "حملة السيد أحمد الشريف ضد الإنجليز في مصر"، السيد أحمد الشريف السنوسي نشأته وآثاره وجهاده 1873ـــ 1933م، أعمال الندوة العلمة الثالثة المنعقدة بطرابلس، 3ـ 4 أكتوبر 2016م، ص: 326.

امساعد، وضم الوفد كلًّا من محمد الشريف الإدريسي، ومحمد المرغني، محملين بثلاثة رسائل من السلطان حسين كامل ومن السير هنري ماكمهون ومن جون ماكسويل القائد العام للإنجليز في مصر، بأن يقف أحمد الشريف على الحياد وبأنهم على استعداد لعقد الصلح بين أحمد الشريف والإيطاليين، فاجتمع محمد المرغني بنوري باشا، وأيقن هنا بأن الأتراك يسعون لجعل الإنجليز يحشدون قوة كبيرة على الحدود الغربية المصرية، ما يؤدي إلى تحقيق الضغط على الجبهة الشرقية على ضفاف قناة السويس. قابل وفد السلطان عددًا من زعماء المجاهدين، ومنهم محمد إدريس السنوسي، وتطورت الأحداث على حدود مصر، وخرجت الأمور من زمام أحمد الشريف في امساعد، عندما اعتدى الأتراك على السلوم. وتوالت الانتصارات الألمانية العثمانية على قوات الحلفاء في أوروبا، مع مصادفة ظهور الثورات الشعبية ضد إنجلترا في كل من الهند وأفغانستان والسودان، فاختار أحمد الشريف أن يقوم بالإغارة على قوات الإنجليز في أوائل نوفمبر1915م داخل الحدود المصرية، واحتل بعض المناطق الواقعة ضمن الحدود المصرية التي تبعد عن واحة سيوة غربًا، وقام آمر الحدود المصرية ستوبك وصفي الخازمي بمحاولة أقناعه بضرورة الانسحاب من الأراضي المصرية، إلاَّ أنه رفض الطلب، فرجع صالح حرب إلى مطروح، ممَّا أدى إلى تطور الأحداث عندما قام نوري باشا وجعفر العسكري بالهجوم على القوات الإنجليزية، وهزمهم في منطقة السلوم، وملاحقتهم حتى منطقة سيدي براني حيث اندمج بقواته مع القوات الوطنية المصرية بقيادة محمد صالح حرب، وجعفر العسكري، ونوري باشا في مواجهة الإنجليز واستمروا بالمقاومة حتى تمكنوا من احتلال زاوية سيدي البراني[29]. أما عن الجبهة الشمالية فقد تمكن المجاهدون من السيطرة على مرسى مطروح، حيث دارت معركتان، هما أم الرخم ووادي ماجد، استشهد بهما حوالي 300جندي، وباتجاه الجنوب قامت ثورة علي دينار التي انهزمت بسبب قضاء القوات الإنجليزية عليها وإخمادها، ومن ثم احتلال فاشر[30]، إذ تمكنت القوات الإنجليزية من صد هجوم قوات المجاهدين بقيادة نوري وجعفر العسكري في معركة العواقير في فبراير1916م، فيما تمكنت قوات الإنجليز من أسر جعفر العسكري، وتمكن نوري بك وعبد الرحمن عزام من الهروب[31]، فيما تمكنت قوات محمد صالح حرب من التقدم نحو واحة سيوة، إذ واصل أحمد الشريف القتال من المحور الجنوبي واحتل عددًا من الواحات، وسارع بالاتصال بسلطان دار فور ومشايخ الصعيد في أسيوط والفيوم، محاولًا تكوين جبهة

(29) أحمد عطية مدلل، "مقاومة الليبيين للاستعمار العالمي فرنسا-إيطاليا-إنجلترا"، مجلة الشهيد، ع 3، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1982م، ص: 37.

(30) السنوسية دين ودولة، ص: 263.

(31) خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي، ص: 12.

عريضة لمقاومة الإنجليز[32]. خاض أحمد الشريف بقواته معارك عدة، كان آخرها معركة بئر تونس، التي اضطر إثرها للتراجع والانسحاب، لعدة أسباب منها:

1 - عدم استجابة زعماء القبائل في الفيوم والصعيد ودارفور من جهة.

2 - فشل قوات جعفر العسكري واستسلامه.

3 - الفرق الكبير في عدد القوات والعتاد والسلاح.

4 - استخدام القوات الإنجليزية سلاح الطيران بالأرض المكشوفة.

5 -صعوبة وصول التموين للمجاهدين، وانقطاع أغلب الموارد عن القوات السنوسية[33].

رغم تعدد الأسباب التي حالت دون التقدم إلا أن أحمد الشريف بادر بتحفيز المجاهدين على الصبر، وبأنه سوف يقوم بإرسال المساعدات لهم ويمدهم بالمجاهدين، ذاكرًا أن حلفاءهم قد سجلوا انتصارات على العدو في أوروبا وأن النصر قريب[34]. رغم ذلك هاجمت قوات الحركة السنوسية وعددها عشرة آلاف مجاهد بقيادة أحمد الشريف[35] القوات الإنجليزية في الصحراء الغربية المصرية عند السلوم، واستمر القتال بين السنوسيين والإنجليز إلى عام 1917م، وهو العام الذي انتصر فيه الإنجليز بقيادة الجنرال بيتون Peyton على قوات المجاهدين، وكانت حملة السوم نهاية المطاف في صراع أحمد الشريف ضد الإنجليز في البلاد، وقد بادروا بتهديده بضرورة ترك الجغبوب فورًا، تحت طائلة ضرب وتهديم ضريح قبر جده الأكبر محمد بن علي السنوسي بالطائرات واحتلال المدينة[36].

إن الخاتمة المؤلمة لهذه المقاومة كانت لها آثار سلبية على سير حركة الجهاد ضد القوات الإيطالية، نذكر منها:

عدم مواصلة القتال ضد الإيطاليين، والانشغال بمعارك الحرب العالمية الأولى، واهتزت العلاقات بين أحمد الشريف والقبائل المصرية بسبب المواجهة بين الطرفين؛ لأن الجيش الإنجليزي كان يضم رجالًا من أبناء تلك القبائل، وضعف تعاطف المصريين مع القضية الليبية، وتضررت الزوايا السنوسية في صحراء مصر، وتحطم نفوذها السياسي والديني، وانقطع الدعم الاقتصادي للحركة السنوسية في ليبيا؛ فكان لذلك أثر كبير على المقاومة.

كل هذه الأمور عجلت بالتخلص من العثمانيين وأحمد الشريف، وتغير الوضع

(32) تاريخ ليبيا من القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، ص: 153.

(33) خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي، ص ص: 12 ،13.

(34) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، شعبة الوثائق العربية، وثيقة رقم 105، (رسالة من أحمد الشريف إلى المجاهدين في الجغبوب يحثهم فيها على الصبر والصمود والصبر على الجوع فالنصر قريب، بتاريخ 3 نوفمبر1916م).

(35) تاريخ ليبيا من القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، ص: 154.

(36) خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي، ص: 13.

السياسي ولم يعد السنوسيون قادرين على الصمود والإصرار على تحقيق مطالبهم، بل اضطروا تحت ضغط الحاجة، إلى التفاوض والتنازل[37]، لقد كانت حملة أحمد الشريف ضد الإنجليز في مصر كسبًا للإيطاليين؛ لأنها حدت من إمكانيات الحركة السنوسية القتالية، ومهدت لطريق الصلح والتفاوض الذي قاده إدريس السنوسي[38].

بنهاية المطاف هاجر أحمد الشريف إلى تركيا، حيث استقر أولًا بسيوة مع من بقي معه من جيش وبعض من رفاقه، ثم غادرها نحو الواحات إلى شباطة الواقعة على مسيرة عشرة أميال والتي لم يبق بها كثيرًا مع رفاقه، فسرعان ما لحقت به قوات الإنجليز فوجدتها خالية[39]، حيث احتمى أحمد الشريف بالجغبوب حيث قبر جده الأكبر محمد بن علي السنوسي، لكنه سرعان ما غادرها بعد ما أبلغه ابن عمه رغبة إنجلترا في رحيله عن المنطقة، فغادر أحمد الشريف البلاد إلى المنفى في أوائل أغسطس 1918م على متن غواصة ألمانية من (مرسي البريقة)، ومعه كبار معاونيه وقادته، ومنهم محمد صالح حرب، ونوري باشا، وصالح أبو عرقوب البرعصي، وعبد الوهاب الدرسي، أما باقي الأتباع في ليبيا وعلى رأسهم الشيخ عمر المختار، فقد انسحبوا إلى الجبل الأخضر، ومنهم من استدعاه للحاق به، مثل الشيخ القاضي محمد عز الدين الباجقني، حيث كان كاتبًا للشيخ أحمد الريفي، وقد كان إبعاد أحمد الشريف انتصارًا للأطراف المعادية لنضال الشعب الليبي كافة[40].

وصل أحمد الشريف إلى ميناء "بولا وتربستا"، ومنه إلى النمسا، ثم بالقطار إلى استانبول، حيث استقبل استقبالًا حافلًا تدعيمًا لمواقفه وصموده وقلَّده السلطان محمد السادس السيف علامة السلطنة، ومنحه وسامًا مجيدًا، وأنعم عليه برتبة الوزارة، وإثر استقراره في المنفى أخذ يحرض العثمانيين على إيلاء القضية الليبية الأهمية القصوى، ونجح في ذلك حيث استطاع إقناع عزت باشا رئيس الوزراء آنذاك في أكتوبر 1918م، بأن يسمح له بالسفر خفية إلى طرابلس بعد تزويده بالمعدات والسلاح والأموال، إلا أن اتفاق هدنة الحرب العالمية الأولى حال دون إنجاح المهمة[41]، ومع ذلك فقد انتقل أحمد الشريف ورفاقه إلى بروسه، استعدادًا للعودة

(37) مصطفي هويدي، "تأثير الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد الليبي"، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911ـ 1943م، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1998م، ص: 97.

(38) تاريخ ليبيا من القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، ص: 150.

(39) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، شعبة الوثائق العربية، وثيقة رقم 119، (مقال نشر بمجلة الهلال يصف المعركة الواقعة بين الإنجليز والسنوسيين بواحة سيوة 14/ 6/ 1343).

(40) خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي، ص: 13.

(41) جاك بيشون، المسألة الليبية في تسوية السلام، ترجمة: علي ضوي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1991م، ص: 171.

إلى برقة إذا ما أخفقت جهود السلام، ورغم مغادرته البلاد استمر في متابعة حركة الجهاد والعمل على تأمين ما يستطيع من إمدادات المجاهدين[42].

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة مقاومة أحمد الشريف السنوسي للاحتلالين الإيطالي والإنجليزي 1902 - 1918م، فترة تولي قيادته لحركة المقاومة ضد الاحتلال بعد مقاومته للفرنسيين في تشاد، ونستخلص منها أن أحمد الشريف السنوسي قد اتخذ من الكفرة مقرًا له، وبعد إعلان إيطاليا الحرب على البلاد برز نشاط الحركة السنوسية في تنظيم المقاومة. إذ إن الفراغ السياسي الذي تركه العثمانيون في دواخل البلاد قد منح الفرصة للحركة السنوسية للسيطرة على إقليم برقة، ونظرًا لما تتمتع به هذه الحركة من مكانة في ليبيا، فقد ساعد الفراغ الذي تركه العثمانيون بعد عقد معاهدة أوشي لوزان الحركة السنوسية في تقوية نفوذها، لا سيما فترة زعامة أحمد الشريف السنوسي، كما أوضحت الدراسة أن قيادة المجاهدين في برقة كان لها دور بارز في ارتفاع الروح المعنوية، وفي تعدد انتصاراتهم بالمعارك ضد الاحتلال، مما جعل الحكومة الإيطالية تسارع إلى طلب التفاوض والمهادنة مع أحمد الشريف.

نظرًا للضغوطات التي تعرض لها أحمد الشريف من قِبل تركيا وألمانيا وحلفائهما، تم جر أحمد الشريف في حرب ضد إنجلترا في مصر، وكان لدخول أحمد الشريف في هذه الحرب عواقب وخيمة عليه وعلى المجاهدين والبلاد، حيث أدت الهزيمة التي لحقت بالمجاهدين إلى انهيار عزيمتهم، وإلى تنازل أحمد الشريف عن قيادة الحركة السنوسية إلى إدريس السنوسي، ومغادرته البلاد إلى تركيا.

وفي الختام أتمنى أن أكون قد أسهمت بعملي المتواضع في إبراز دور مقاومة أحمد الشريف السنوسي للاحتلال الإيطالي والإنجليزي خلال الفترة الزمنية التي تم تحديدها على وجه الخصوص.

(42) خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي، ص: 14.

قائمة المصادر و المراجع:

أولًا: المصادر

أ – الوثائق غير المنشورة:

1ـ المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس:

أ ـ وثائق شعبة الوثائق الأجنبية: ملف أحمد الشريف:

1 – وثيقة رقم 286، (رسالة من فسكوت نتكتشنر للسير إدوارد جراري، رسالة سرية بها شروط وأسماء الموفدين مع الخديوي عباس بشأن مساومات إيطاليا للصلح مع السيد أحمد الشريف السنوسي، بتاريخ 27 نوفمبر1913م).

ب ـ وثائق شعبة الوثائق العربية:

1 ـ وثيقة رقم 7، (رسالة موجهة من أحمد الشريف لأهالي الزاوية لجمع الزكاة من المواشي والغلال لدعم حركة الجهاد، بتاريخ مارس 1913م).

2 – وثيقة رقم 16، (رسالة من السيد أحمد الشريف السنوسي إلى أبي بكر البوسيفي يحرضه على الجهاد، بتاريخ 13 نوفمبر1914م).

3 ـ وثيقة رقم 105، (رسالة من أحمد الشريف إلى المجاهدين في الجغبوب يحثهم فيها على الصبر والصمود والصبر على الجوع فالنصر قريب، بتاريخ 3 نوفمبر1916م).

4 – وثيقة رقم 119، (مقال نشر بمجلة الهلال يصف المعركة الواقعة بين الإنجليز والسنوسيين بواحة سيوه 14/6/1343).

ثانيًا المصادر العربية والمعربة:

1 ـ أرسلان، شكيب، خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي، تحرير: د. سوسن النجار نصر، ط1، دار التقدمية، لبنان، 2010م.

2 – بيشون، جاك، المسألة الليبية في تسوية السلام، ترجمة: علي ضوي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1991م.

3 – بستوداو، لوثر، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويضي، دار الفكر، د.ت.

4 – شكري، محمد فؤاد، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م.

5 – الزاوي، الطاهر، جهاد طرابلس الغرب، ط3، دار الفتح، لبنان، 1973م.

6 – الأشهب، محمد الطيب، برقة العربية أمس واليوم، مطبعة الهواري، القاهرة، 1947م.

ثالثًا ـ المراجع العربية والمعربة:

1 – بروشين، نيكولا، تاريخ ليبيا من القرن التاسع عشر حتى عام 1969م ، ترجمة: عماد حاتم، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988م.

2 – هويدي، مصطفى علي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، مركز دراسة جهاد الليبيين، طرابلس، 1988م، ص ص: 48 49.

3 – يحي، جلال، المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

4 – الصلابـــي، عـــلي محمـــد، تاريـــخ الحركـــة السنوســـية في ليبيـــا، دار المعرفـــة للنـــشر والتوزيـــع، القاهـــرة، 2012 م.
5 – الحنديـري، سـعيد عبدالرحمـن، العلاقـات الليبيـة التشـادية، مركـز دراسـات الجهاد الليبي، طرابلـس، 1983م.
6ـ الورقـي، عايـض بـن حـازم، حـروب البلقـان والحركـة العربيـة في المـشرق العربـي العثمانـي، جامعـة أم القـرى، مكـة المكرمـة، 1996م.
رابعاً : مذكرات شخصية:
1 ـ باشـا، أنـور، مذكـرات أنـور باشـا، ترجمـة: عبـد المـولى صالـح الحريـر، مركـز دراســات الجهــاد الليبــي، طرابلــس، 1979م.
خامسًا : الدوريات :
1 – مدلل، أحمد عطية، "مقاومة الليبيين للاستعمار العالمي فرنسا ـ إيطاليا ـ إنجلترا"، مجلة الشهيد، ع 3، مكز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1982م.
سادسًا: الندوات والمؤتمرات العلمية:
1 – عبـد الفتـاح رجـب بولبيـض، "حملـة السـيد أحمـد الشريـف ضـد الإنجليـز في مـصر"، السـيد أحمـد الشريـف السـنوسي نشـأته وآثـاره وجهـاده 1873ـــ 1933م، أعمـال النـدوة العلميـة الثالثـة المنعقـدة بطرابلـس، 3ـ 4 أكتوبـر2016م . مؤسسـة الشـيخ الطاهـر الـزاوي، طرابلـس.
2 – البوصـيري، عـلي "التوغـل الإيطـالي عقـب صلـح أوشي لـوزان نوفمـبر 1912م"، بحـوث ودراسـات في التاريـخ الليبـي 1911ـ 1943م، مركـز جهـاد الليبيـين للدراسـات التاريخيـة، طرابلـس، 1998.
3 – هويـدي، مصطفـى، "تأثـير الحـرب العالميـة الأولى عـلى حركـة الجهـاد الليبـي"، بحـوث ودراسـات في التاريـخ الليبـي 1911ـ 1943م، منشـورات مركـز جهـاد الليبيين ضـد الغـزو الإيطـالي، طرابلـس، 1998م.
سابعاً : الرسائل العلمية:
1 – بوزبوجـة، سـميرة، الطريقـة السنوسـية 1911ـــ 1951م ومواقفهـا مـن قضايـا العـصر محليًّاـــ إقليميًّـا ـ دوليًّـا، قسـم التاريـخ وعلـم الآثار، كليـة العلوم الإنسـانية والحضـارة الإسـلامية، جامعـة وهـران "1 " أحمـد بـن بلـة، الجزائـر،2017م، (أطروحـة دكتـوراه).

مكافحة جرائم تعارض المصالح في القانون الليبي و اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد دراسة مقارنة

إعداد : د. محمد محمود الشركسي
أستاذ القانون الجنائي المشارك - كلية القانون - جامعة بنغازي

الاستلام: 21/ 12/ 2020 القبول: 11/ 2/ 2021

المستخلص

أصبحت ظاهرة الفساد في القضايا الراهنة على الساحة الدولية والمحلية تشكل عائقا أمام الإصلاح والتنمية والاستثمار، وذلك بتاثيره السلبي على الاقتصاد الوطني وفي بحتنا هذا أردنا تسليط الضوء على جريمة تعارض المصالح كأحد أنواع جرائم الفساد لما تشكله من أهمية في إيقاف عجلة التطور والتنمية في البلاد.

إن هدف المشرع الليبي هو العقاب على مختلف جرائم الفساد التي تعد مساسا بالمال العام تماشيا في ذلك مع اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد والتي صادقت عليها ليبيا بموجب قانون رقم 10 سنة 2005تلك الاتفاقية التي جرمت الكسب غير مشروع والمتاجرة بالنفوذ وإساءة استغلال الوظيفة تلك الجرائم التي تعد نماذج من جرائم تعارض المصالح، لقد سطرت اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد مبادئ قانونية وقائية غايتها الأساسية الوقوف في وجه هذه الآفة دوليا وإقليما ووطنيا، لقد تناول هذا البحت بالدراسة اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد مع التركيز على جريمة تعارض المصالح وذلك من خلال دراسة نصوص الاتفاقية وتحليلها ومافرضته على الدول من التزامات .

الكلمات المفتاحية : تعارض المصالح – مكافحة الفساد – استغلال النفوذ

Abstract

Corruption has become one of the current international and local issues and forms an obstacle to reform, development and investment due to its negative impact on the national economy.

In our research, we wanted to focus on the crime of "conflict of interest" as one of the types of corruption crimes because of the importance it constitutes in stopping the wheel of development in the country.

The aim of the Libyan legislator is to punish various corruption crimes that are considered insulting to public money and in line with the United Nations Convention against Corruption, which Libya has ratified under Law No. (10) 2005, that convention that criminalized illegal gain, influence trading and abuse of employment.Those crimes that are considered examples of conflicts of interest crimes. The United Nations Convention against Corruption has laid down legal and preventive principles whose main aim is to stand against this blighton the international, regional and national levels.

This research has dealt with the study of the United Nations Convention against Corruption with a focus on the crime of conflict of interest, through studying and analyzing the provisions of the agreement and the obligations imposed on states.

Research Key Words :

1 – The concept of conflict of interest.

2 – Patterns of conflicts of interest in the United Nations Convention for Anti-Corruption.

3 – Patterns of conflict of interest crimes in comparative legislation.

4 – Assessment of conflicts of interest in Libyan legislation.

مقدمة

تعارض المصالح موضوع شديد الأهمية ينعلق عادة بالمواقف التي تؤثر فيها المصلحة الشخصية للفرد أو المؤسسة بشكل سلبي على الواجب باتخاذ قرارات معينة اتجاه طرف ثالث .

و تهدف هذه الدراسة الى إبراز جريمة تعارض المصالح في المجالات كلها وخاصة الإدراية والمالية و تأثيراتها السلبية في هذه المجالات الحساسة المرتبطة بالمال العام حيث تعد هذه الجريمة من الصور البارزة التي تناولتها اتفاقيةالأمم المتحدة لمكافحة الفساد التي تعد من أهم الاتفاقيات التي جرمت الكسب غير المشروع والمتاجرة بالنفوذ وإساءة استغلال الوظيفة التي تعد نماذج من جرائم تعارض المصالح، و نظرا للضرر الكبير الذي تتسبب فيه جريمة تعارض المصالح سخر المجتمع الدولي طاقاته كلها لمحاربة ظاهرة الفساد التي تمثل جريمة تضارب المصالح أحد مظاهره والوقاية منها- و بتظافر الجهود تم التوصل إلى وضع اتفاقية الأمم المتحدة المتعلقة بمكافحة الفساد سنة 2003 هذه الأخيرة سطرت مبادئ قانونية

وقائية غايتها الأساسية توضيح معالم السياسة الدولية الرامية إلى المعالجة و الوقوف في وجه هذه الآفة دوليا و إقليميا و وطنيا , وأمام هذه الإرادة الدولية اتجهت ليبيا والتي لم تفلت من آثار ظاهرة الفساد كغيرها من الدول النامية إلى التصدي لهذه الظاهرة، وذلك من خلال تعديل بعض منظومتها القانونية المتعلقة بمكافحة الفساد- و سنرى من خلال دراستنا هذه ما وصلت إليه جهود ليبيا لمكافحة جريمة تعارض المصالح، وهل النصوص القانونية المالية قادرة و كفيلة بالتصدي لهذه الجريمة – أم أن الأمر يتطلب تدخل المشرع الليبي لسن قانون خاص بمجالات تعارض المصالح يحدد معايير التصدي لهذه الجريمة , وكيفية التعامل معها تحت مسمى (قانون تعارض المصالح) .

أهمية البحث:

هناك العديد من الحقائق حول جرائم الفساد وتعارض المصالح، فالمجتمع يواجه ظهورًا متزايدًا للأنشطة الإجرامية المحكمة التنظيم، والبالغة الخطورة نظرًا لطبيعتها وأساليبها وآثارها الاقتصادية والاجتماعية، والتي تتجاوز في بعض الأحيان الحدود الوطينة، وتستفيد من الطرق والتقنيات التي تستخدمها الدوائر المالية وقطاعات الأعمال بنجاح لتدر عليها ثروات طائلة غير مشروعة.

أسئلة البحث:

(1) ما مفهوم تعارض المصالح؟

(2) ما صور جرائم تعارض المصالح في إطار اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد والتشريعات المقارنة؟

(3) ما موقف التشريعات الليبية من جرائم تعارض المصالح؟

أهداف البحث :

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على موضوع تعارض المصالح كما جاء في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، والتشريعات المقارنة، لنوضح إلى أي مدى تضمنت هذه التشريعات الأحكام والالتزامات التي جاءت في نصوص مواد الاتفاقية والتشريعات المقارنة لمكافحة الفساد وتعارض المصالح، وهو ما سيساعد كذلك في الكشف عن القصور أو الفجوة التي قد تكون في الأطر القانونية والمؤسساتية المعنية بمكافحة الفساد وتعارض المصالح في المجتمع الليبي.

منهج الدراسة :

في هذه الدراسة سوف نتناول التشريعات المعنية باتباع منهج (تحليلي مقارن)، وذلك بتحديد محاور رئيسة جاءت في الاتفاقية، ثم بيان التشريع المعني منها بتعارض المصالح، وكيفية تنظيمها ومنهجية تناول الأحكام الواردة في النصوص، والمقارنة كلما كان ذلك ممكنًا ومناسبًا بين أحكام اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد والتشريعات المقارنة.

مطلب تمهيدي
مفهوم تعارض المصالح

لم تكن هناك محاولات لتعريف مفهوم تعارض المصالح إلا حديثًا، سواء من طرف المنظمات المنادية بنزاهة الموظف والأخلاق، أم من طرف الدول التي صادقت على تشريعات متعلقة بالوقاية من تعارض المصالح (مثل كندا ومصر)، وسنحاول في هذا المطلب التطرق إلى تعريف تعارض المصالح، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: تعريف تعارض المصالح في الاتفاقيات الدولية :

اختلفت الاتفاقيات الدولية حول تعريف تعارض المصالح لاختلاف عناصره بين خصوصيات النظام القانوني لكل دولة، فضلًا عن تعدد حالاته واختلاف مضمونه بين القطاعين العام والخاص، وفيما يلي نتناول تعريف تعارض المصالح في الاتفاقيات الدولية، وذلك على النحو الآتي:

(1) اتفاقية مكافحة الفساد :

عرفت المادة الثامنة في الفقرة الخامسة من الدليل التشريعي لتنفيذ اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد [1] تعارض المصالح بأنه : (تسعى كل دولة طرف، عند الاقتضاء ووفقًا للمبادئ الأساسية لقانونها الداخلي، إلى وضع تدابير ونظم تلزم الموظفين العموميين بأن يفصحوا للسلطات المعنية عن أشياء لهم من أنشطة خارجية وعمل وظيفي واستثمارات وموجودات وهبات أو منافع كبيرة قد تفضي

(1) اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، قرار الجمعية العامة (58 /4) المؤرخ 31 اكتوبر 2003م، الأمم المتحدة، نيويورك، المكتب المعني بالمخدرات والجريمة، سنة (2004م)، ص11.

إلى تضارب في المصالح مع مهامهم كموظفين عموميين).
ونصت في المادة (12/هـ) من الاتفاقية على : (منع تضارب المصالح بفرض قيود حسب الاقتضاء ولفترة زمنية معقولة، على ممارسة الموظفين العموميين السابقين أنشطة مهنية، أو على عمل الموظفين العموميين في القطاع الخاص بعد استقالتهم أو تقاعدهم عندما تكون لتلك الأنشطة أو ذلك العلم صلة مباشرة بالوظائف التي تولاها أولئك الموظفون العموميون أو أشرفوا عليها أثناء مدة خدمتهم).
(2) تعريف منظمة التعاون والتطور الاقتصادي (OCDE):
عرفت منظمة التعاون والتطور الاقتصادي تعارض المصالح أنه:(تعارض بين المهمة العامة والمصالح الهامة لموظف عمومي والذي من خلالها يملك هذا الموظف العمومي في إطار خاص المصالح التي يمكن أن تؤثر بشكل غير صحيح الطريقة التي تفي بالتزاماته ومسؤولياته) ويلاحظ على هذا التعريف أنه ميز بين ثلاثة أشكال من تضارب المصالح:
الأول: التضارب المحتمل le conflit potentiel:
الذي يجعل مزاولة مهمة عمومية معينة في وضعية تعارض مع مصالح خاصة للمسؤولية عن تلك المهمة.
الثاني: التعارض الظاهر le conflit apparent: الذي يستشف من الوضعية التي تكون فيها المصالح الشخصية للمسؤول العمومي من شأنها أن تؤثر، دون وجه حق، على كيفية تدبير وظيفته من دون أن يكون ذلك واقعًا بالفعل .
الثالث: التضارب الفعلي le conflit reel:
الذي يتجلى في الحالة التي يتأكد فيها أن المصلحة الخاصة أثرت بالفعل على تصرف الشخص المسؤول، والتي ينبغي، بحسب المنظمة أن يتم تناولها من زاوية الزجر.
ثانيًا: تعريف تعارض المصالح في القانون الوضعي:
إن تعارض المصالح في مفهوم القانون وجرائم الفساد، مصطلح اختلف في تحديد ماهيته، فمنهم من قال تعارض المصالح وضع معين يصبح فيه الموظف الحكومي العام أو المحامي أو السياسي أو المسؤول في مؤسسة ما عند أداء مهامهم في موقع تنافسي، ما يجعلهم غيرمؤهلين للقيام بواجباتهم تجاه الآخرين بشكل عادل، وتعارض المصالح يتحقق حتى لو توجد دلائل على استعمال غير أخلاقي للسلطة، فهو بشكل عام وضع غير طبيعي يقضي على ثقة الأفراد في ذلك الشخص المسؤول والمؤسسة التي يتبعها في المجتمعات المتقدمة.
وجدير بالملاحظة أن المشرع الليبي لم يضع قانونا لتعارض المصالح، وبالتالي لم يتطرق إلى تعريف تعارض المصالح، وسنكتفي هنا بعرض مفهوم تعارض المصالح في بعض التشريعات المقارنة لكي نضع نقطة بداية أمام المشرع الليبي

لكي يستنير بها عند وضع قانون تعارض المصالح، ومن تلك التشريعات:
التشريع الكندي:عرف المشرع الكندي في قانون محايد بقانون تعارض المصالح على أنه: (شخص صاحب سلطة عامة يوجد في حالة تعارض المصالح عند ممارسة السلطة الرسمية، أو وظيفة رسمية التي توفر له إمكانية تفضيل مصلحته الخاصة أو مصلحة قريب أو صديق أو تفضيل بطريقة غير قانونية لأي شخص آخر).

(2) التشريع المصري:
أصدر المشرع المصري نصًا خاصًا بتعارض المصالح بموجب قانون رقم (106) لسنة 2013م المتعلق بحظر تعارض مصالح المسؤولين في الدولة [2]، ونص في المادة الثانية منه على أن تعارض المصالح هو: (كل حالة يكون للمسؤول الحكومي أو الشخص المرتبط به مصلحة مادية أو معنوية تتعارض تعارضًا مطلقًا أو نسبيًا مع ما يتطلبه منصبه أو وظيفته من نزاهة واستقلال وحفاظ على المال العام أو تكون سببًا لكسب غير مشروع لنفسه أو للشخص المرتبط).

وقسم المشرع المصري تعارض المصالح إلى نوعين:
النوع الأول: التعارض النسبي: هو كل حالة يحتمل فيها وقوع ضرر للمصلحة أو الوظيفة العامة.
النوع الثاني: التعارض المطلق: هو كل حالة يترتب عليها ضرر مباشر أو محقق للمصلحة أو الوظيفة العامة.

(3) التشريع الجزائري:
عرف المشرع الجزائري تعارض المصالح في قانون الوقاية من الفساد ومكافحته رقم (6 /1) لعام 2006م [3]، ونص في مادته الثامنة على أنه: (يلتزم الموظف العمومي بأن يخبر السلطة الرئاسية التي يخضع لها إذا تعارضت مصالحه الخاصة مع المصلحة العامة أو يكون من شأن ذلك التأثير على ممارسته لمهامه بشكل عاد).
ويؤخذ على تعريف المشرع الجزائري أنه لم يعرف المقصود بتعارض المصالح، ومتى تتلاقى هذه المصالح حتى يمكن للموظف أن يتفادى هذه الوضعية وما هي المصالح التي من شأنها أن تؤثر على الموظف في أثناء تأدية مهامه، ما يجعل ضبطها أمرًا صعبًا [4].

(2) الجريدة الرسمية، قرار بقانون رقم (106) لسنة 2013م في شأن حظر تعارض مصالح المسؤولين في الدولي، العدد (45) مكرر (أ) في 13 نوفمبر سنة 2013م، ص3.

(3) قانون رقم (6 /1) المؤرخ في 21 محرم 1427هـ الموافق 20 فبراير 2006م المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته، الجريدة الرسمية، العدد رقم (14)، سنة (2006م)، ص6.

(4) بوغازي سماعين، جريمة تعارض المصالح في مجال الصفقات العمومية (دراسة مقارنة)، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، الجيزة، الطبعة الأولى، سنة (2017م)، ص30.

يتبين لنا من التعاريف السابقة أنها تتميز بالخصائص المشتركة الآتية [5] :
(1) وجود تعارض بين المصلحة التي ينبغي على الشخص أن يدافع عنها خلال ممارسته لوظيفته ومصلحته الشخصية.
(2) اكتساء مظاهر التعارض المذكور درجة من الأهمية.
(3) تنوع الصبغة لظاهرة تعارض المصالح، حيث يتعين الوقاية من التعارض الذي قد يحصل بين مصالح الشخص وذلك اعتمادًا على المصالح الشخصية المملوكة سواء قبل ممارسة الوظيفة العامة أو خلالها أو بعد الانتهاء منها.
في ضوء ما سبق يتبين لنا أن تعريفات تعارض المصالح حين تفتقد في الموظف أو المستخدم شروط الحياد والتجرد والاستقلالية فى اتخاذ القرار، حيث يكون في وضع يجعله يغلب مصلحته الشخصية، أو مصالح أحد أقربائه أو أصدقائه، بما يؤثر على الأداء الجيد للوظيفة أو المهمة المكلف بها لاعتبارات شخصية مباشرة أو غير مباشرة.

المبحث الأول

نماذج من جرائم تعارض المصالح في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد

نعالج في هذا المبحث نماذج من جرائم تعارض المصالح في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد في ثلاثة مطالب، فنتناول في المطلب الأول جريمة (جريمة الكسب غير المشروع)، وفي المطلب الثاني جريمة (المتاجرة بالنفوذ)، وفي المطلب الثالث جريمة (إساءة استغلال الوظيفة)، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: جريمة الكسب غير المشروع في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد

تعد جريمة الكسب غير المشروع وجها من أوجه الفساد الإداري والمالي يتمثل بزيادة كبيرة غير منطقية ولا مبررة بموجودات وممتلكات الموظف العام أو أحد أفراد أسرته أو من يمثله قانونًا، أو بنقص كبير غير مبرر في الديون والأعباء المالية بشكل لا يتناسب وحجم الدخل والمرتبات التي يتقاضاها عن الوظيفة التي يشغلها، بالإضافة إلى عجز عن تبرير أصول هذه الموجودات و الممتلكات ومصادرها.
وهذا مظهر من مظاهر الفساد يتميز بصعوبة تعقبه وإثباته ومحاسبة مرتكبيه، لعدم وجود الأدلة الكافية للإدانة، ما يبرز إشكالية قانونية وواقعية تحتاج لدراسة وتفحص، كما تحتاج للحلول التي تضمن الحفاظ على المال العام، ومن قبيل حرص المجتمع الدولي على وجود التشريعات القانونية الناجعة لمكافحة الفساد، وتعارض المصالح، لجأت إلى تجريم الكسب غير المشروع، وحثت الدول على أن تنحى هذا المنحى.

(5) د. محمد الوكيلي، د. مشيل الزرازى، تنازع المصالح، ترانسبرانسي، الرباط، المغرب، بدون تاريخ، ص8.

وقد عرف بعض فقهاء القانون الجنائي الكسب غير المشروع بأنه: وجه من أوجه الفساد الإداري والمالي، يتمثل بزيادة كبيرة غير منطقية ولا مبررة بموجودات وممتلكات الموظف العام أو أحد أفراد أسرته أو من يمثله قانونًا، أو بنقص كبير غير مبرر في الديون والأعباء المالية بشكل لا يتناسب وحجم الدخل والمرتبات التي يتقاضاها عن الوظيفة التي يشغلها، بالإضافة إلى عجزه عن تبرير أصول هذه الموجودات والممتلكات ومصادرها [6]، وقيل أنه كل مال أو ما في حكمه يملكه الموظف ويصبح في ذمته المالية حصل عليه باستغلال ما تسبغه عليه وظيفته أيًا كان نوع الوظيفة أو بما يخوله مركزه من إمكانيات تطوع له ذلك الكسب[7].

وتعد اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد (UNCAC) من أهم الاتفاقيات التي جرمت الكسب غير المشروع وشجعت الدول الأعضاء على تجريمه في تشريعاتها الوطنية كوسيلة مهمة وفعاله لمكافحة الفساد وتعارض المصالح، واصطلح عليه عنوان(الإثراء غير المشروع) في المادة (20) التي جاء فيها: (تنظر كل دولة طرف، رهنًا بدستورها والمبادئ الأساسية لنظامها القانوني، في اعتماد ما قد يلزم من تدابير تشريعية وتدابير أخرى لتجريم تعمد موظف عمومي إثراء غير مشروع، أي زيادة موجوداته زيادة كبيرة لا يستطيع تعليلها بصورة معقولة قياسًا على دخله المشروع).

يتبين من النص أنه عد جريمة الكسب غير المشروع من جرائم الفساد وتعارض المصالح، وحث الدول الأعضاء على تبنيها، لكنه كان واضحًا بأن هذا التوجيه لم يكن إلزاميًا، وترك أمر التجريم للدول بناء على التشريعات المرعية فيها، فإننا نجد أن العديد من دول العالم لم تقم بتجريم هذه الأفعال، وبذلك فإن هذه الاتفاقية أظهرت أهمية هذه الجريمة، وحثت على تجريمها، لكنها تركت أمر ذلك للدول الأطراف في تلك الاتفاقية، استنادًا لدساتيرها والمبادئ الأساسية لأنظمتها القانونية.

ولم توضح المادة (20) من اتفاقية الأمم لمكافحة الفساد، بما فيه الكفاية، عناصر الأنموذج القانوني لجريمة الكسب غير المشروع، وعلى كل حال فإن الركن المفترض في هذه الجريمة يتمثل في كون فاعلها موظفًا عامًا وفقًا للتعريف الوارد في الفقرة (أ) من المادة الثانية من الاتفاقية.

وينصب الركن المادي في جريمة الكسب غير المشروع في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد على الزيادة التي تطرأ على ثروة الموظف بعد دخوله الوظيفة

(6) د. أنور محمد صدقي، جريمة الإثراء غير المشروع (دراسة مقارنة)، مجلة كلية الحقانون الكويتية العالمية، السنة السادسة، العدد الثالث، العدد التسلسلي (23)، سبتمبر 2018م، ص262.

(7) د. صبرى الحمادى، موسوعة الفقه والقضاء فى جرائم الأموال العامة، بدون دار نشر، الطبعة الأولى، سنة (2012م)، ص357.

العامة متى كانت هذه الزيادة لا تتناسب بالمرة مع موارده، ولم يكن لها إضافة إلى الزيادة ذلك مصدر مشروع يقوم الموظف بإثباته.
وجدير بالملاحظة أن نص المادة (20) من الاتفاقية لم يعرض إلا للكسب غير المشروع الناشئ من زيادة موجودات أو ثروة الموظف نفسه من دون الإشارة إلى زيادة موجودات أو ثروة زوجه أو أولاده القاصرين، وهو الأمر الذي يختلف عما تنص عليه بعض التشريعات العربية التي تجرم الكسب غير المشروع، إذ تعد الجريمة قائمة ليس فقط بالنسبة للزيادة الكبيرة في صورة الموظف، بل أيضًا للزيادة الكبيرة في ثروة أفراد أسرته الذين يعيلهم، متى كانت هذه الزيادة غير متناسبة بالمرة مع موارد الموظف وعجزه في ذات الوقت عن إثبات مصدرها المشروع.
وتثير جريمة الكسب غير المشروع شبهة الإخلال بقرينة البراءة وما يترتب على ذلك من أن عبئ الإثبات تضطلع به سلطة الاتهام بما لا يجوز معه مطالبة المشتبه فيه بإثبات براءته بنفسه من خلال تقديم المصدر المشروع لثروته أو ثروة زوجه وأولاده القاصرين، ولعل هذه التساؤلات تتطلب ضبطا وإحكاما لصياغة النموذج القانوني لجريمة الكسب غير المشروع، بما يترتب على ذلك من احترام مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات من ناحية، وكفالة مبدأ أصل البراءة من ناحية أخرى [8] .

المطلب الثاني: جريمة المتاجرة بالنفوذ في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد

جريمة الاتجار بالنفوذ هي سعي شخص للحصول على مزايا الغير من سلطة عامة أو جهة خاضعة لرقابتها، لا تقع في دائرة أعمال وظيفة الساعي، عن طريق نفوذه لدى هذه السلطة أو الجهة نظير طلبه أو قبوله الفائدة أو الوعد بها، فالمتهم الذي يطلب أو يقبل الفائدة بهدف استعمال نفوذه لدى سلطة عامة ابتغاء الحصول منها على مزية ما، إنما يفعل ذلك استنادًا إلى استغلال صفته وليس وظيفته[9]، وهناك من يعرفها بأنها كل سلوك صادر من شخص ذي نفوذ يحصل بمقتضاه على مزايا من السلطات العامة لمصلحة الغير نظير ثمن وساطته [10].
وفي سبيل مكافحة تعارض المصالح اتهمت اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد الموظف الذي يجترئ على قدسية الوظيفة، وكذلك الشخص العادي الذي يستعين

(8) د. عبد المجيد محمود، المواجهة الجنائية للفساد فى ضوء الاتفاقيات الدولية والتشريع المصرى، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، القاهرة، سنة (2011م)، ص (135/136).

(9) Garraud,(R): Traitè thèorque et pratique de droit penal fançais, 3ème èd Par P. Garraud Sepcè. Tome iv, 1935. P.891.

(10) Delahaye, (P): Recherchw de la notion du traffic d'influence, Rev. de droit penal et de criminologiques, 1946.P.383.

بهـا لتعـود عليـه بمنفعـة (الرشـوة) مقابـل اسـتعمال النفـوذ لـدى إدارة أو سـلطة في الدولـة للحصـول منهـا عـلى مزيـة، فجـاء نـص المـادة الثامنـة عـشرة في جرميـة اسـتعمال النفـوذ أو (المتاجـرة بالنفـوذ بحسـب تعريفهـا في النسـخة العربيـة)؛ إذ يترتـب عليهـا ذات الآثـار الخطـرة التـي لا تقـل جسـامة عـن جرائـم المتاجـرة المبـاشرة في الوظيفـة العامـة، والتـي تتمثـل في إفقـاد الثقـة في الوظيفـة، وفي سـوء أداء العمـل وانحرافـه إن وقعـت الاسـتجابة نتيجـة للنفـوذ المسـتعمل.

ويتمثـل جوهـر النمـوذج القانونـي لجريمـة المتاجـرة بالنفـوذ في قيـام الموظـف أو أي شـخص آخـر باسـتغلال نفـوذه الفعـلي أو المفـترض للحصـول مـن الإدارة أو أي سـلطة عموميـة تابعـة للدولـة عـلى مزيـة غـير مسـتحقة، وذلـك في مقابـل أي مزيـة غـير مسـتحقة لصالحـه هـو أو لصالـح شـخص آخـر.

وقـد أوضحـت المـادة (18) مـن الاتفاقيـة أركان وعنـاصر جريمـة الاتجـار بالنفـوذ إذ تنـص عـلى أن: (تنظـر كل دولـة طـرق في اعتمـاد مـا قـد يلـزم مـن تدابـير تشريعيـة وتدابـير أخـرى لتجريـم الأفعـال الآتيـة عندمـا ترتكـب عمـدًا:

(أ) وعـد موظـف عمومـي أوأي شـخص آخـر بـأي مزيـة غـير مسـتحقة أوعرضهـا عليـه أو منحـه إياهـا بشـكل مباشرأوغـير مبـاشر، لتحريـض ذلـك الموظـف العمومـي أوالشـخص عـلى اسـتغلال نفـوذه الفعـلي أوالمفـترض بهـدف الحصـول مـن إدارة أو سـلطة عموميـة تابعـة للدولـة الطـرف عـلى مزيـة غيرمسـتحقة لصالـح المحـرض الأصـلي عـلى ذلـك الفعـل أو لصالـح شـخص آخـر.

(ب) قيـام موظـف عمومـي أو أي شـخص آخـر، بشـكل مباشر أو غـير مبـاشر، بإلتماس أو قبـول أي مزيـة غـير مسـتحقة لصالحـه هـو أو لصالـح شـخص آخـر، ليسـتغل ذلـك الموظـف العمومـي أو الشـخص نفـوذه الفعـلي أو المفـترض بهـدف الحصـول مـن إدارة أو سـلطة عموميـة تابعـة للدولـة الطـرف عـلى مزيـة غـير مسـتحقة).

وإذا كانـت الفقـرة (أ) مـن المـادة (18) المشـار إليهـا تمثـل جريمـة إفسـاد، فـإن الفقـرة (ب) مـن المـادة ذاتهـا هـي التـي تجسـد جريمـة الفسـاد أو تعـارض المصالـح حـين يقـوم موظـف عمومـي أو أي شـخص آخـر بالاتجـار بالوظفيـة العامـة بمقابـل.

يشـتمل النمـوذج القانونـي لجريمـة الاتجـار بالنفـوذ في المـادة (18) مـن اتفاقيـة الأمـم المتحـدة لمكافحـة الفسـاد عـلى ركـن مفـترض يتمثـل في صفـة الموظـف العـام حيـث يغلـب أن يتـم الاتجـار بالوظيفـة عـلى يـد موظـف عـام، ويقصـد بالموظـف العـام الوطنـي عـلى النحـو المشـار إليـه في الفقـرة (أ) مـن المـادة الثانيـة مـن الاتفاقيـة، ولكـن يتصـور أيضًـا أن يكـون فاعـل الجريمـة شـخصًا آخـر لا تتوافـر فيـه صفـة الموظـف العـام، المهـم في الحالتـين أن يسـتغل هـذا الموظـف العـام أو الشـخص الآخـر مـا قـد يكـون لـه مـن نفـوذ ييسـر لـه الحصـول عـلى مزايـا غـير مسـتحقة مـن الوظيفـة العامـة (كالحصـول عـلى أعمـال أو أوامـر أو أحـكام أو قـرارات أو نياشـين أو التـزام أو ترخيـص أو اتفـاق توريـد أومقاولـة أوعـلى وظيفـة أو خدمـة أو أيـة مزيـة أخـرى مـن

أي نـوع كان) ويسـتوي أن يكـون هـذا النفـوذ فعليًـا أو مفترضًـا، فقـد يكـون الفاعـل موظفًـا تتيـح لـه درجتـه الوظيفيـة فى التسلسـل الإداري ومـا لـه مـن اختصـاص أن يبـاشر نفـوذًا فعليًـا، وقـد يكـون لـه محـض نفـوذ مفـترض قـد يسـتخلص مثًـلا مـن كونـه عضـوا في مجلـس نيابـي [11].

ويحتـوي الركـن المعنـوي في جريمـة الاتجـار بالنفـوذ فى اتفاقيـة الأمـم المتحـدة لمكافحة الفسـاد عـلى عـدة عنـاصر أولهـا أن يصـدر عـن الفاعـل، موظفًـا أم شـخصًا آخـر، طلـب (إلتمـاس) أو قبـول مزيـة غـير مسـتحقة لصالحـه هـو أو لصالـح شـخص آخر. والإلتمـاس أو الطلـب يعنـي صـدور المبـادرة مـن جانـب الموظـف أو الشـخص الآخـر، أمـا القبـول فيعنـي أن يكـون هنـاك وعـدا، أو عرضـا مقدمـا مـن الشـخص المسـتفيد ثـم أعقبـه قبـول الموظـف أو الشـخص الآخـر.

ويجـب أن ينصـب الإلتمـاس أوالقبـول عـلى مزيـة غيرمسـتحقة، ولـم تحـدد الاتفاقيـة مـاذا يقصـد بالمزيـة غيرالمسـتحقة، وهـو تعبـير يشـمل كل صـور المقابـل العينـي والنقـدي وكافـة المنافـع والمزايـا الأخـرى التـي يقـوم بينهـا وبـين الاتجـار بالنفـوذ صلة غائيـة، بمعنـى أن تكـون هـي المقابـل لاسـتغلال النفـوذ أوالاتجـار بـه، وقـد تتمثـل هـذه المزيـة غيرالمسـتحقة في مبالـغ نقديـة أو سـيارة أو منـزل أو حـلي أو ثيـاب أوهدايـا أومنافـع أخـرى، وأن تعبير(مزيـة غـير مسـتحقة) UNAVANTAGE INDU يبـدو مـن الاتسـاع والشـمول مـا يجعلـه أفضـل مـن محاولـة حـصره في مفهـوم ضيـق قـد يمثـل ثغـرة ينفـذ مـن خلالهـا محترفـو فنـون الاتجـار بالنفـوذ [12].

وقـد جـاء تجريـم الاتجـار بالنفـوذ مجـردًا بـصرف النظـر عمـا إذا كان مـن يتاجـر بـه قـد أثـرى بصفـة شـخصية أم لا عـلى حسـاب هـذا الاتجـار، ولهـذا فإنـه لا يهـم وفقًـا للفقـرة (ب) مـن المـادة (18) مـن اتفاقيـة مكافحـة الفسـاد أن يكـون إلتماسـا أو قبـولا لهـذه المزيـة غـير المسـتحقة قـد تـم مبـاشرة أو بطريـق غـير مبـاشر، أي عـبر وسـيط مثـلًا، فيقـوم النمـوذج القانونـي للجريمـة سـواء طلـب أو قبـل الفاعـل بنفسـه المزيـة غـير المسـتحقة (أي مقابـل الاتجـار)، أو كان الطلـب أو القبـول قـد تـم بواسـطة شـخص ثالـث يتوسـط بـين التاجـر بالنفـوذ وبـين المسـتفيد منـه، كمـا لا يهـم أيضًـا أن تكـون هـذه المزيـة غـير المسـتحقة (أى مقابـل الاتجـار) قـد تسـلمها المتاجـر بالنفـوذ (سـواء كان موظفًـا أو شـخصًا آخـر) لصالحـه أم آلـت إلى شـخص ثالـث، إذ يتصـور أن تذهـب هـذه المزيـة غـير المسـتحقة (مقابـل الاتجـار) إلى أحـد أقربـاء أو معـارف المتاجـر بالنفـوذ.

وهنـاك ثمـة عنـصر ثـان في الركـن المـادي للجريمـة يتمثـل في اسـتغلال الموظـف أو الشـخص الآخـر لنفـوذه الفعـلي أو المفـترض لأجـل الحصـول مـن إدارة أو سـلطة

(11) د. عبد المجيد محمود، المواجهة الجنائية للفساد، مرجع سابق، ص130.

(12)Policy and Research Department, Transparecy International, Perception Indexl S Corruption Barometerm 2005.

عمومية للدولة على مزية غير مستحقة، والنفوذ الفعلي يستخلص مما يتمتع به الموظف من اختصاصات وسلطات تتيح له الحصول على المزية غير المستحقة التي يسعى إليها، أما النفوذ المفترض فيختلط أيضًا بالنفوذ المزعوم، ويعني النفوذ الذي قد يستند إلى علاقة شخصية تيسر للموظف أو للشخص الآخر الحصول على المزية غير المستحقة المنشودة حتى ولو لم يكن لأيهما سلطات أو اختصاصات ترتبط بهذه المزية، لكن الملاحظ أن اتفاقية مكافحة الفساد قد اكتفت بذكر عبارة (مزية غير مستحقة) من دون أن تورد تعريفًا لها أو تذكر صورًا تدل عليها [13] .

أما الركن المعنوي للجريمة، فيأخذ صورة العمد، وهو ما يستفاد صراحة من نص المادة (18) من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، والتي اشترطت لتجريم الاتجار بالنفوذ أن يرتكب عمدًا، وبالتالي فإن الخطأ غير المقصود بكافة صوره لا يكفي لتوافر الركن المعنوي لجريمة الاتجار بالنفوذ.

المطلب الثالث: جريمة إساءة استغلال الوظيفة في الاتفاقيات الدولية

تعد جريمة إساءة استغلال الوظيفة من أهم الجرائم المستحدثة في مادة جرائم الفساد وتعارض المصالح، فالموظف يجمع بين صفتين لا يجوز الجمع بينهما، وهذا الجمع من شأنه إهدار المصلحة العامة؛ فاختصاصه الوظيفي يفرض عليه السير على المصلحة العامة ومباشرة (الرقابة) على من يتعاقدون مع الدولة أو يؤدون عملًا لحسابها؛ فإذا قام بالعمل بنفسه، سواء ظاهرًا أو مستترًا؛ أو عهد به إلى شخص يريد أن يحقق له ربحًا أو منفعة، أي ربط بين العمل وبين مصلحته الخاصة أو المصلحة الخاصة لشخص آخر، فإنه لن يستطيع أن يؤدي واجبه في الرقابة الذى يفرضه عليه اختصاصه، وإنما سيحابي مصلحته الخاصة على حساب المصلحة العامة، إذ يستحيل أن يكون مراقبًا لنفسه ومراقبًا من نفسه في الوقت ذاته، ومن ناحية ثانية، فإن اختصاصه الوظيفي الذي أساء استغلاله يتيح له أن يحقق ربحًا يزيد عما كان يحققه أو مورد عادي، وذلك حتمًا على حساب المصلحة العامة. وفي النهاية، فإنه يدخل مع جمهور المقاولين والموردين في منافسة غير متكافئة، إذ يستطيع بفضل ما لديه من معلومات وظيفية، وما يحوزه من سلطات أن يتفوق عليهم من دون سند مشروع [14] .

يأتي نص اتفاقية مكافحة الفساد على جريمة تعمد الموظف العمومي إساءة استغلال وظيفته أو موقعه، بمثابة سبق تشريعي إذ تكاد تخلو غالبية النظم القانونية في العالم من النص عليها قبل وضع الاتفاقية، ويدل النص في المادة (19) على جدية واضعي الاتفاقية وإصرارهم على وأد الفساد وتعارض المصالح في

(13) د. عبد المجيد محمود، المواجهة الجنائية للفساد، المرجع السابق، ص(131 /132).

(14) د. محمود نجيب حسنى، شرح قانون العقوبات (القسم الخاص)، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الخامسة، سنة (2017م)، ص (142 /143).

مهده وليس فقط ملاحقته وتقويضه حينما ينمو ويستفحل شأنه ، فلقد أثبت الواقع أن جريمة الرشوة لا توجد إلا لقعود الموظف عن عمد عن أداء عمله أو لتقاعسه ومماطلته في أدائه بغية دفع صاحب المصلحة لأن يمنحه العطية أو أن يستجيب له إذا طلبها، ووفقًا لهذه المادة: (تنظر كل دولة طرف في اعتماد ما قد يلزم من تدابير تشريعية وتدابير أخرى لكي تجرم تعمد موظف عمومي إساءة استغلال وظائفه أو موقعه، أي قيامه أو عدم قيامه بفعل ما، لدى الاضطلاع بوظائفه، بغرض الحصول على مزية غير مستحقة لصالحه هو أو لصالح شخص أو كيان آخر، مما يشكل انتهاكًا للقوانين).

وهذه الجريمة وفق ألفاظ النص وعباراته جريمة مشروطة، مع حصول إساءة استغلال الوظيفة، بثبوت اتجاه إرادة الموظف إلى الحصول على مزية أو منفعة لنفسه أو لغيره، وهو شرط منطقي لتقرير المسؤولية الجنائية، وبانعدامه ينتفي ذلك النوع من المسؤولية لتحل محله المسؤولية التأديبية المترتبة على مجرد إساءة الموظف أداء واجبات وظيفته.

المبحث الثاني

نماذج من جرائم تعارض المصالح في التشريعات المقارنة : نتناول في هذا المبحث بالدراسة نماذج من جرائم تعارض المصالح في التشريعات المقارنة، فنتناول في المطلب الأول جريمة (جريمة الكسب غير المشروع)، وفي المطلب الثاني جريمة (المتاجرة بالنفوذ)، وفي المطلب الثالث جريمة (إساءة استغلال الوظيفة)، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: جريمة الكسب غير المشروع فى التشريعات المقارنة

جدير بالإشارة أن هناك شبه إجماع على مستوى التشريعات المقارنة بخصوص ضرورة مكافحة الكسب غير المشروع، بالرغم من تباين مواقفها واتجاهاتها بصدد تجريمه، فكانت دولتا مصر ولبنان من أوائل الدول العربية التي سنت قانونًا للكسب غير المشروع، فقد وجد في مصر القانون رقم (131) لسنة 1952م بشأن الكسب غير المشروع، وظل العمل مستمرًا به حتى صدور القانون رقم (62) لسنة 1975م، وفي لبنان صدر القانون رقم(48) لسنة (1953م)، واستمر حتى صدور قانون الكسب غير المشروع رقم (154) لسنة 1999م، وبعد ذلك تلتها العديد من الدول.

وقد اختلفت المسميات التي أطلقت على هذه القوانين، فهناك من التشريعات من أطلقت عليها الإثراء غير المشروع مثل المشرع اللبناني في قانون الإثراء غير المشروع رقم (154) الصادر فى 27/ 11/ 1999م، والمشرع الجزائري في المادة (37) من القانون الصادر بتاريخ 20 /2/ 2006 م، وهناك تشريعات أطلقت عليها الكسب غير المشروع مثل المشرع الأردني بموجب القانون رقم (21) لسنة 2014م، والمشرع المصري بموجب القانون رقم (62) لسنة 1975م، والمشرع الليبي

بموجب قانون (من أين لك هذا) رقم (3) لسنة 1986م.
أما على مستوى التشريعات الأجنبية فقد انقسمت الدول ثلاث مجموعات بتجريم الكسب غير المشروع [15] ، فسنت المجموعة الأولى تشريعات خاصة لتجريم الكسب غير المشروع، مثل الأرجنتين، وبوليفيا، وتشيلي، والصين وغيرها.
أما المجموعة الثانية فجرمت الكسب غير المشروع في تشريعاتها الجنائية، ففي فرنسا لا يوجد جريمة كسب غير مشروع بهذا الوصف، ولكن طبقًا للمادة (321) الفقرة السادسة من القانون الجنائي، فإن المشرع الفرنسي أوجد ما يسمى بجريمة (الموجودات غير المبررة) فإذا لم يستطع المتهم تقديم المصادر المشروعة لموجوداته التي يمتلكها، أو أن يوجد دليل على علاقة بين المتهم وبين الشخص الذي ارتكب جريمة فساد أو تعارض مصالح، فإن ذلك يكفي لإدانته بهذا الجرم في ظل وجود الزيادة الكبيرة غير المبررة في موجوداته، وهذا يعد دليلًا كافيًا على ارتكابه لهذا الجرم، والنيابة العامة في مثل هذه الحالة غير مكلفة بإثبات الرابط أو العلاقة السببية بين هذه الموجودات، وأية جريمة أخرى حتى أن التشريع الفرنسي توسع بهذه الجريمة ولم يقصرها فقط على الموظف العام، بل امتدت لتشمل الكافة، ومنذ عام (2011م) بدأت فرنسا بتبطيق إقرار الذمة المالية على الموظفين العامين، والاحتفاظ بها لدى هيئات متخصصة، ولهذه الهيئات إحالتها للنيابة العامة إذا لاحظت أي أمر مريب بشأنها [16] .
وفي القانون الجنائي الإيطالي رقم (1398) لسنة 1930م وتعديلاته، فإن جريمة الكسب غير المشروع مقتصرة على جرائم محددة بالذات، مثل جرائم الاتجار بالبشر والجريمة المنظمة، حيث لا يقتصر الأمر على الموجودات المتعلقة بهذه الجرائم بل يقع على عاتق المتهم أن يثبت أصول كافة موجوداته ومصادرها، سواء تعلقت بهذه الجرائم أم لا، فإن تعذر عليه يتم مصادرتها [17] .
وفي القانون الجنائي الإيرلندي رقم (30) لسنة 1996م أنشئت هيئة الأصول الجنائية وهي وحدة متخصصة بتجميد الأصول المتحصلة عن الجرائم ومصادرتها، ولها صلاحيات المصادرة الفورية إذا ثبت لديها ارتباط الأصول بأية جريمة من جرائم الفساد أو تعارض المصالح أو الجرائم المنظمة، وبالإضافة لذلك فإن قانون الأخلاق في الوظيفة العامة رقم (22) لسنة 1995م يفرض على طائفة الموظفين العامين التصريح بكافة موجوداتهم وممتلكاتهم بمجرد استلام وظائفهم، ويترتب على ذلك تبعات قانونية متعددة، يمكن السير بها، سواء من قبل النيابة العامة

(15) د. أنور محمد صدقي، جريمة الإثراء غير المشروع، مرجع سابق، ص255 وما بعدها.

(16) Criminal Code, Articles 225 – 6 (paragraph 3), 2255–12– (paragraph 4), 321 (paragraph 6) and 4501–2–.

(17) انظر المادة (12) من القانون الإيطالي رقم (356) لسنة 1992م والمعدل بالقانون رقم (501) لسنة 1992م بشأن مصادرة الأصول غير المشروعة.

أم من قبل هيئة الأصول الجنائية (CAB) [18].
وبالنسبة للمجموعة الثالثة فإنها لا تجرم الكسب غير المشروع، ومثال على ذلك المملكة المتحدة البريطانية، وأن كان هناك بعض الإجراءات الوقائية التي تتبعها الحكومة البريطانية مثل وجوب قيام أعضاء البرلمان البريطاني بتسجيل الأعمال التجارية والمصالح والهدايا والضيافات المقدمة لهم، وذلك سندًا للنظام الداخلي في البرلمان، غير أن الغاية من ذلك ليست جنائية بقدر ما هي تأديبية ومسلكية تتعلق بسلوك العضو نفسه، حيث إن أية مصلحة أو منفعة مادية يتلقاها قد تؤدي إلى التأثير على أفعاله أو خطاباته أو أصواته في البرلمان أو الإجراءات المتخذة بصفته عضوًا فيه، أو يعتقد البعض انها تؤثر [19].
ولا يجرم المشرع الجنائي الأمريكي الكسب غير المشروع، وإن كانت هناك بعض التشريعات التي تلزم الموظفين العامين بالإفصاح عن الأصول التي يمتلكونها، ومن ذلك قانون أخلاقيات الوظيفة العامة الاتحادي لسنة 1978م (ActEthics in Government) وقد أوجب هذا القانون على الموظفين العموميين في السلطات التشريعة والتنفيذية والقضائية تقديم تقرير عن الأصول التي يمتلكونها أو يمتلكها أفراد عائلاتهم، حيث يمكن أن يستخدم هذا التقرير كدليل لتحريك الدعوى الجنائية، كما أنشأ القانون مكتب المستشار المستقل الملكف بالتحقيق مع المسؤولين الحكوميين [20].
المطلب الثاني: جريمة المتاجرة بالنفوذ في التشريعات المقارنة
القاعدة المقررة في غالب التشريعات الجنائية هي تجريم الاتجار بالنفوذ لدى السلطات العامة، سواء حصل من الموظف العام ومن هو في حكمه، أم حصل من غيره من آحاد الناس، وسواء أكان هذا النفوذ حقيقيًا أم مزعومًا، ومن هذه التشريعات:
التشريع الفرنسي الصادر في عام 1994م، جمع بين نصوص الرشوة السلبية وجريمة الاتجار بالنفوذ في شكله السلبي الذي يقع من موظف عام أو من في حكمه في مادة واحدة (م/ 432 /11 ع) فقرتها الأولى خاصة بجريمة الرشوة السلبية، وفقرتها الثانية خاصة بجريمة الاتجار بالنفوذ في شلكه السلبي، وحدد في هذه المادة مفهوم الموظف العام ـــ مرتكب أي من الجريمتين ـــ في فئات ثلاث: أمين السلطة العامة، والمكلف بخدمة عامة، وصاحب الصفة النيابية، فضلًا عن ذلك أنه قد ساوى في العقاب بين هاتين الجريمتين (الحبس مدة عشر سنوات

(18) المادة (73) من القانون الجنائى الإيرلندى، والمواد (5 – 12) من قانون الأخلاق فى الوظيفة العامة الإيرلندى رقم (22) لسنة 1995م.
(19) د. أنور محمد صدقى، جريمة الإثراء غير المشروع، مرجع سابق، ص 257.
(20) المرجع سابق، ص 258، لمزيد من التفاصيل حول القانون انظر:
https://definitions.uslegal.com/e/ethics-in-government-act-of-1978

وغرامة مليون فرنك) مع بقاء الفعل جنحة في الجريمتين.
كما جمع بين جريمة الرشوة الإيجابية وجريمة الاتجار بالنفوذ في شكله الإيجابي (الذي يتحقق في عرض فائدة أو وعد بها من الغير على موظف عام فيقبل منه بهدف استغلال نفوذه ابتغاء الحصول على مزية ما من سلطة أو إدارة عامة)، في مادة واحدة (م/1/4333 ع)، فقرتها الأولى خاصة بجريمة الرشوة الإيجابية، وفقرتها الثانية خاصة بجريمة الاتجار بالنفوذ في شكله الإيجابي).
وعاقب المتهم الذي يرتكب إحدى هاتين الجريمتين بعقوبة واحدة (الحبس مدة عشرة سنوات وغرامة مليون فرنك) مع بقاء الفعل جنحة في الجريمتين أسوة بما تقدم بيانه.
ومن جهة أخرى، فقد أفرد المشرع نصًا خاصًا (م/2/433 ع) تناول فيه تجريم الاتجار بالنفوذ في شلكه الإيجابي (الذي يقع من أحد الأفراد ويتذرع بنفوذ مستمد من وضعه الاجتماعي أو علاقات صداقة أو قرابة تربطه بالموظف الذي بيده تحقيق حاجة صاحب المصلحة لقاء فائدة أو وعد بها)، وقد عاقب مرتكب هذه الجريمة بعقوبة أخف مما سبق (الحبس مدة خمس سنوات وغرامة نصف مليون فرنك) [21].
أما بالنسبة للتشريع الإيطالي فنص في قانون العقوبات الحالي الصادر في 19 اكتوبر سنة 1930 (المعمول به أول يوليه سنة 1931م) على جريمة الاتجار بالنفوذ، وذلك في المادة (346/1) منه التي تقضي بأن: (كل من يدعي بأن له نفوذًا تجاه موظف أو مستخدم عام أو مكلف بخدمة عامة، ويقبل لنفسه أو لغيره وعدًا أو يتلقى نقودًا أو أية فائدة أخرى كثمن للتوسط بنفوذه لدى موظف أو مستخدم عام للحصول منه على مزية من أي نوع، يعاقب بالحبس من سنة إلى خمس سنوات وغرامة من ثلاثة آلاف إلى عشرين ألف ليرة) [22].
ويستفاد من هذا النص أن المشرع لم يشترط في مرتكب جريمة الاتجار بالنفوذ أن يكون موظفًا عامًا أو مستخدمًا عامًا، وإنما تقع الجريمة من أي فرد، يستعمل ما له من نفوذ لدى الموظف العام ، للحصول منه على مزية من أي نوع أو لحمله على القيام بالعمل المطلوب وهنا ساوى في قيام الجريمة بين تلقي الجاني الفائدة أو أخذها أو قبوله وعدًا بها لنفسه أو لغيره.
أما التشريع المصري فنصت المادة (106) على:(كل من طلب لنفسه أولغيره أوقبل أوأخذ وعدًا لاستعمال نفوذ حقيقي أومزعوم للحصول أولمحاولة الحصول من أية سلطة عامة على أعمال أو أوامرأحكام أو قرارات أو نياشين أوالتزام أو تراخيص أواتفاق توريد أو مقاولة أوعلى وظيفة أو خدمة أو أية مزية من أي

(21) Yves Mayaud, code pènal, nouveau code pênal, èdition, 2000, P. 572 et S.

(22) Marc Ancel et Yvonne Maex, les code pènaux Europèens (code penal otaien), tome 11 ()1957), P.937
.

نوع يعد في حكم المرتشي ويعاقب بالعقوبة المنصوص عليها في المادة (104) من هذا القانون إن كان موظفًا عموميًا، وبالحبس وبغرامة لا تقل عن مائتي جنيه ولا تزيد على خمسمائة جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط الأحوال الأخرى، ويعتبرفي حكم السلطة العامة كل جهة خاضعة لإشرافها).

يتبين لنا من هذا النص أنه جاء مطلقًا من كل قيد يعاقب كل من يتجر بنفوذه الحقيقي أو المزعوم سواء أكان من ذوي الصفة النيابية، أو الموظفين العامين، أو الأفراد العاديين، ابتغاء الحصول أو لمحاولة الحصول على مزية من أي نوع من أية سلطة عامة أو جهة خاضعة لإشراف السلطة العامة.

ثانيًا: التشريبعات التي تشترط صفة الموظف العام في المتجرد بالنفوذ:

يذهب جانب من التشريعات الجنائية إلى عدم تجريم الاتجار بالنفوذ إلا إذا كان حاصلًا من موظف أو من هو في حكمه. أي إن الجريمة في هذه التشريعات لا يتصور وقوعها إلا ممن يحمل هذه الصفة الخاصة بجعلها ركنًا من أركان الجريمة لا تقوم إلا به، ويترتب على ذلك أنه إذا لم يكن المتهم صاحب النفوذ موظفًا عامًا أو من هو في حكمه، فلا تقوم الجريمة، ولو كان ذا مركز اجتماعي له علاقاته الخاصة لدى السلطات العامة , كان يتمتع بعلاقات قرابة أو صداقة جعل له نفوذ على بعض الموظفين العموميين. ومن أمثلة هذه التشريعات:

التشريع النرويجي، فقد نظم أحكام جريمة الاتجار بالنفوذ في الفصل الحادي عشر من قانون العقوبات الذى يحمل عنوان (الجرائم التي تقع في أثناء ممارسة الوظيفة)، وذلك في المادة (112) من قانون العقوبات التي تقضي بأن: (كل موظف عام طلب لنفسه أو لغيره أو قبل وعدًا أو فائدة بغير حق لاستغلاله نفوذ مستمد من مركزه المتعلق بإدارة شؤون المرفق العام لدى الموظف المختص، لحمله على القيام بعمل من أعمال وظيفته أو الامتناع عن هذا العمل يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر أو الغرامة فضلًا عن العزل من الوظيفة).

ويتبين لنا من هذا النص أنه يعالج جريمة الاتجار بالنفوذ، وهي إحدى الجرائم التي تقع من الموظف في أثناء ممارسة الوظيفة العامة، وهي تفترض بداية في مرتكبها صفة خاصة، إذ يجب أن يكون موظفًا عامًا، ويتطلب المشرع فضلًا عن ذلك أن يكون المتهم صاحب النفوذ قد طلب لنفسه أو لغيره أو قبل وعدًا أو فائدة بغير حق، مقابل استغلال نفوذه لدى الموظف المختص لحمله على القيام بالعمل أو الامتناع المطلوب لمصلحة صاحب الحاجة.

ونص نظام مكافحة الرشوة بالمملكة العربية السعودية لعام 1412هـ، على جريمة استغلال النفوذ في المادة الخامسة من هذا النظام التي تقضي بأن: (كل موظف عام طلب لنفسه أو لغيره أو قبل أو أخذ وعدًا أو عطية لاستعمال نفوذ حقيقي أو مزعوم للحصول أو لمحاولة الحصول من أية سلطة عامة على عمل أو أمر أو قرار أو التزام أو ترخيص أو اتفاق توريد أو على وظيفة أو خدمة أو مزية

من أي نوع يعد مرتشيًا ويعاقب بالعقوبة المنصوص عليها فى المادة الأولى من هذا النظام) [23] . وواضح من هذه المادة أنها قصرت نطاق الجريمة على الموظف العام دون غيره من الأفراد ، لأن الموظف العام صاحب النفوذ يهدف من وراء هذه الجريمة السعي للحصول على مزايا أو أعمال أو قرارات من السلطة العامة مقابل عطية أو وعد بها، بما يوحي لصاحب الحاجة فساد الإدارة العامة، وأنها لا تتصرف بروح من الحيدة والموضوعية في أنشطتها المختلفة.

وجريمة استغلال النفوذ ـــ طبقًا لنظام مكافحة الرشوة الجديد ـــ هي إحدى الجرائم المخلة بواجبات الوظيفة العامة، لذلك فهي تفترض في مرتكبها صفة خاصة، وهي أن يكون المتهم صاحب النفوذ الحقيقي أو المزعوم موظفًا عامًا أو من في حكمه طبقًا لنص المادة الثامنة من النظام سالف الذكر، فإذا لم يكن صاحب النفوذ موظفًا عامًا فلا تقوم الجريمة، وقد ساوى النظام في نطاق هذه الجريمة بين التذرع في الطلب أو القبول أو الأخذ بنفوذ حقيقي للحصول على مزية من سلطة عامة أو جهة خاضعة لإشرافها والتذرع بنفوذ مزعوم. والنفوذ الحقيقي المستعمل من قبل الموظف العام يعني ممارسة سلطاته الإدارية الإشرافية ـــ في غالب ا لأمر ـــ لكونه غير مختص مباشرة بمزاولة العمل أو اتخاذ القرار [24].

وأن يصدر من صاحب النفوذ فعل مادي يتمثل في طلبه لنفسه أو لغيره أو قبوله أو أخذه وعدًا أو عطية ، وقد ساوى النظام بين الفائدة أو المزية التي يحصل عليها الموظف لنفسه وتلك التي يشترطها أو يطلبها أو يقبلها لغيره، ويجب أن يكون الغرض من هذا الفعل المادي هو استعمال النفوذ الحقيقي أو المزعوم للحصول أو لمحاولة الحصول من أية سلطة عامة على عمل أو أمر أو قرار أو التزام أو ترخيص أو اتفاق توريد أو على وظيفة أو خدمة أو مزية من أي نوع، ويجب أن يكون استعمال النفوذ لدى سلطةعامة، سواء أكانت وحدات من الحكومة المركزية أم كانت وحدات إقليمية أو محلية أو مؤسسات عامة لرقابة الحكومة المركزية [25].

المطلب الثالث: جريمة إساءة استغلال الوظيفة في التشريعات المقارنة

جريمة استغلال الوظيفة العامة لتحقيق مكاسب شخصية نص المشرع المصري على تجريمها فى المادة (115) من قانون العقوبات: (كل موظف عام حصل أو

(23) وعقوبة الرشوة وفقًا للمادة الأولى من نظام مكافحة الرشوة الصادر بموجب المرسوم الملكى رقم (م/36) وتاريخ 29/ 12/ 1412هـ، هى السجن مدة لا تتجاوز عشر سنوات وبغرامة لا تزيد عن مليون ريال أو بإحدى هاتين العقوبتين.

(24) د. محمد نعيم فرحات، الأحكام التعزيرية لجرائم التعزير والرشوة فى المملكة العربية السعودية، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة (1994م)، ص276.

(25) د. محمد محيى الدين عوض، ، ص115؛ د. فتوح عبد الله الشاذلى، جرائم التعزير المنظمة فى المملكة العربية السعودية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الثانية، سنة (2013م)، ص77 وما بعدها.

حاول أن يحصل لنفسه أو حصل أو حاول أن يحصل لغيره، بدون حق على ربح أو منفعة من عمل من أعمال وظيفته يعاقب بالسجن المشدد).

باستقراء هذا النص نجد أن جريمة استغلال الوظيفة من جرائم الموظفين العموميين، شأنها شان جريمة الاختلاس والغدر والأضرار، وهذا معناه أن من لا يتحمل بصفة الموظف العام لا يمكن أن يكون فاعلًا لهذه الجريمة وإن جاز جعله شريكًا مع الموظف العام في ارتكابها، ولهذا فإن صفة الموظف العام تعد ركنا مبدئيًا أو مفترضًا لا تقوم الجريمة بدونه.

وجريمة استغلال الوظيفة مهما كانت الصورة التي تتخذها، أمام الغير الذي تخفى واراءه الموظف للحصول لنفسه على الربح أو المنفعة، أو ظفره بالربح أو حاول له، فإنه يعد شريكًا للموظف في جريمته تطبيقًا للقواعد العامة في المساهمة الجنائية [26].

أما المشرع المغربي فكان أكثر تحديدًا، فجرم مختلف صور استغلال الوظيفة حيث نصت المادة (245) من قانون العقوبات على أن: (كل موظف عمومي أخذ أو تلقى أية فائدة في عقد أو دلالة أو مؤسسة أواستغلال مباشر يتولى إدارته أو الإشراف كليًا أو جزئيًا في أثناء ارتكابه الفعل، سواء قام بذلك صراحة أو بعمل صوري أو بواسطة غيره يعاقب بالحبس من سنة إلى خمس سنوات، وبغرامة من مائتين وخمسين إلى خمسة آلاف درهم، وتطبق العقوبة نفسها على كل موظف حصل على فائدة ما من عملية كلف بتسيير الدفع أو بإجراء التصفية بشأنها).

كما جرم المشرع الفرنسي استغلال الوظيفة في قانون العقوبات الجديد في (432 - 13) التي تنص على أن : كل موظف عام بصفته هذه وكل وكيلًا أو مندوبًا قام بالإشراف على أعمال شركة خاصة أو الرقابة عليها أو أبرم معها عقودًا أيًا كانت طبيعتها أو أبدى أي رأي حول عملية من العمليات التي نفذتها، وذلك إذا حصل على عمل أو شارك فيه أو أعطى استشارة أو شارك في رأس مال شركة من هذه الشركات الخاصة قبل انتهاء مدة ثلاثة سنوات من تاريخ تركه لوظيفته..).

والجريمة الثانية لاستغلال الوظيفة في المادة (432 - 12) عقوبات فرنسي جديد تنص على: (كل شخص يحوز سلطة عامة أو مكلف بخدمة في مرفق عام، وكل شخص معين من قبل وكالة انتخابية عامة يأخذ أو يحتفظ بطريق مباشرة أو غير مباشرة بمنفعة من أي نوع من شركة أو من عميل أو من عملية كان مكلفة بالرقابة عليها كليًا أو جزئيًا أو إدارتها أو تصفيتها، يعاقب بالحبس خمس سنوات وغرامة 75000 يورو..)

المبحث الثالث: نماذج من جرائم تعارض المصالح فى القانون الليبي

(26) د. محمد زكى أبو عامر، قانون العقوبات (القسم الخاص)، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، الطبعة الخامسة، سنة (2005م)، (238/ 239).

نعالج في هذا المبحث نماذج من جرائم تعارض المصالح في القانون الليبي، فنتناول في المطلب الأول جريمة (جريمة الكسب غير المشروع)، وفي المطلب الثاني جريمة (المتاجرة بالنفوذ)، وفي المطلب الثالث جريمة (إساءة استغلال الوظيفة)، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: جريمة الكسب غير المشروع في القانون الليبي

لبحث الأنموذج القانوني لجريمة الكسب غير المشروع لا بد من توافر أركان ثلاثة، وهي: أن يكون هناك نص يحظر الجريمة ويعاقب عليها وهو ما نسميه اليوم اصطلاحًا بالركن الشرعي، وإتيان العمل المكون للجريمة سواء كان فعلًا أو امتناعًا، وهذا ما نسميه في الاصطلاح بالركن المادي، وكذلك أن يكون الجاني مكلفًا أي مسؤولًا عن الجريمة فهذا ما نسميه بالركن المعنوي، وفيما يلي نتناول البنيان القانوني لجريمة الكسب غيرالمشروع في الفروع الآتية:

الفرع الأول: الركن الشرعي

يقصد بالركن الشرعي وجود نص قانوني جنائي يصف الفعل بأنه جريمة ويقرر له عقابًا، ويُعد الركن الشرعي في قانون العقوبات هو شرط وجود نص عقابي يجرم الفعل الإيجابي أو السلبي ويعاقب عليه ، إذ لا جريمة بغير نص قانوني ، فالنص القانوني هو الذي يحدد مواصفات الفعل الذي يعده النظام القانوني جريمة، وهذه الصفة مستخلصة من نص القانون الذي حدد الحريمة وبين عقوبتها، وبدون النص القانوني يبقى الفعل مباحًا [27] ، شريطة أن يكون النص قد صدر قبل ارتكاب الفعل المراد عقابه، وفيما يلي نتناول في هذا الفرع الركن الشرعي لجريمة الكسب غير المشروع، وذلك على النحو الآتي:

عالج المشرع الليبي في قانون من أين لك هذا رقم (3) لسنة 1986م جريمة الكسب غير المشروع فأشار في المادة الأولى منه على أنه لا يجوز لأي شخص أن يكتسب مالًا أو منفعة أو مزية مادية أو معنوية بطريقة غير مشروعة، ويعد الكسب غير مشروع إذا كان مصدره المحاباة أو التهديد أو مخالفة القانون أو إساءة استعمال الوظيفة أو المهنة أو المكانة أو التأثير أو كان مجهول المصدر أو السبب أو لا يتناسب مع الموارد المشروعة للشخص.

وتشير المادة الثانية من القانون إلى أنه لا يجوز لأي شخص مكلف بخدمة عامة أو أنيطت به مهمة تنفيذ القوانين أن يخل بمبدأ المساواة أو يتهاون في ذلك لصفة شخص أو مكانته أو تأثيره أو قرابته أو لطمع فيه أو صداقة أو خلاف شخصي معه.

كما لا يجوز لأي شخص أن يستغل وظيفته أو مهنته أو مكانته أو تأثيره في تخويف الغير أو التأثير عليهم أو إجبار القائمين على تنفيذ القوانين على القيام

(27) انظر د. سعد بو علي، دنيا رشيد، شرح قانون العقوبات "القسم العام"، بدون طبعة، الجزائر، دار البيضاء، سنة (2016م)، ص60.

بعمل مخالف لها أو إيهامهم بأنه لا يخضع لأحكامها.
ويجب التنويه إلى أن المشرع عالج جريمة الكسب غير المشروع في قانون الكسب الحرام رقم (3) لسنة 1970م، فنص في المادة الأولى من قانون الكسب الحرام رقم (3) لسنة 1970م على أنه: (على أصحاب المناصب العامة، ورجال القضاء والنيابة العامة، وأعضاء السلك الدبلوماسي والقنصلي، وضباط القوات المسلحة والشرطة والموظفين المصنفين في الحكومة والإدارة المحلية، والهيئات والمؤسسات العامة وعلى كل شخص يكلف بخدمة عامة، أو تكون له صفة نيابية عامة، وذلك بصفة دائمة أو مؤقتة بأجر أو بغير أجر أن يقدم خلال خمسة وأربعين يومًا من تاريخ تعيينه أو توليه الخدمة العامة أو انتخابه إقرارا عن ذمته المالية وذمة زوجه وأولاده القصر يبين فيه ما يكون لهم في هذا التاريخ من أموال ثابتة ومنقولة وعلى الأخص الأسهم والسندات والحصص والودائع لدى المصارف وعقود التأمين والنقود والمعادن والأحجار الثمينة وكذلك ما عليهم من التزامات مالية) وعد القانون في مادته الرابعة كل زيادة تطرأ على الذمة المالية لأي ممن تسري في شأنهم أحكام هذا القانون كسبًا حرامًا. إذا كانت هذه الزيادة لا تتناسب مع الموارد المالية لمقدم الإقرار ومن يشملهم هذا الإقرار، وعجز عن إثبات مصدرها، أو ثبت أنها اكتسبت بسبب استغلال المنصب أو الوظيفة أو الخدمة أو صفة مقدم الإقرار سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشر. كما يعد كسبًا حرامًا كل ما حصل عليه أي شخص من طريق اشتراكه مع أي شخص ممن ذكروا في المواد السابقة أو تواطئه معه على استغلال منصبه أو وظيفته أو خدمته أو صفته.

كذلك عالج قانون التطهير رقم (10) لسنة 1423م ر، موضوع الكسب غير المشروع فأشار في المادة الأولى إنه يخضع لأحكام هذا القانون أمناء وأعضاء اللجان الشعبية وأمناء وأعضاء أمانات المؤتمرات والقضاة وأعضاء النيابة ومكتب الإدعاء الشعبي وغيرهم من أعضاء الهيئات القضائية في المحكمة العليا ومحكمة الشعب والمحاكم الأخرى، وكذلك المحامون ومحررو العقود والأطباء والمحكمون والخبراء والمترجمون والضباط وأفراد الشعب المسلح والشرطة وحرس الجمارك والحرس البلدي وجهاز التفتيش الزراعي وغيرهم ممن لهم صفة الضبط القضائي والعاملون بالهيئات العامة والخاصة ذات النفع العام، والمؤسسات والشركات المملوكة كليًا أو جزئيًا للدولة والشركات والمنشآت التي طبقت بشأنها مقولة شركاء لا أجراء، وكذلك أي موظف عام أو مكلف بخدمة عامة داخل الجماهيرية أو خارجها بصفة دائمة أو مؤقتة أو بدون مقابل.
وألزمت المادة الرابعة من القانون على كل من يخضع لأحكام هذا القانون أن يقدم خلال ستين يومًا من تاريخ تعيينه أو توليه وظيفة وخدمة عامة إقرارًا عن ذمته المالية وذمة زوجه وأولاده القصر على النموذج المعد لذلك يبين فيه

ما يكون له أو لهم في هذا التاريخ من أموال ثابتة ومنقولة، وكذلك ما عليه أو عليهم من التزامات مالية.

واشارت المادة السادسة من القانون نفسه على أنه يعد سرقة وكسبًا غير مشروع كل مال أو عمولة حصل عليها أحد الخاضعين لأحكام هذا القانون لنفسه أو لغيره بسبب استغلاله لمكانته أو إساءة سلطات وظيفته أو بسبب المحاباة أو التهديد أو التأثير سواء كان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر أو كان لكسب ناتجًا عن المضاربة بالعملة أو المتاجرة بالسلع الأساسية أو ممارسة نشاط محظور قانونًا، كما يعد سرقة وكسبًا غير مشروع كل زيادة تطرأ على الذمة المالية بعد تولي الوظيفة أو قيام الصفة متى كانت هذه الزيادة لا تتناسب مع موارده أو موارد زوجه أو أولاده القصر وعجز عن إثبات مصدر مشروع لها. ويعد سرقة وكسبًا غير مشروع كل مال أو منفعة مادية حصل عليها أي شخص عن طريق اشتراكه أو تواطئه مع أي ممن تسري في شأنهم أحكام هذا القانون.

الفرع الثاني : الركن المادي

الركن المادي هو القيام بسلوك معين يضر أو يهدد بالخطر حقا أو مصلحة اجتماعية ما محمية بالنص الجنائي، ويترجم هذا السلوك في اكتساب مال أومنفعة أو مزية مادية أو معنوية بطريقة غير مشروعة، ويعد الكسب غير مشروع إذا كان مصدره المحاباة أو التهديد أو مخالفة القانون أوإساءة استعمال الوظيفة أو المهنة أو المكانة أو التأثير أو كان مجهول المصدر أو السبب أو لا يتناسب مع الموارد المشروعة للشخص، ونتناول الركن المادي لجريمة الكسب غير المشروع كالآتي:

أولًا: الركن المفترض:

إن الأنظمة الجنائية الحديثة تنص في بعض الجرائم كجريمة الكسب غير المشروع وجريمة الرشوة وجريمة اختلاس الأموال العامة على أن تتوافر في مرتكبها صفة خاصة وهي كون هذا الجاني موظفاً عاماً أو من في حكمه ويتمتع بسلطة تمكنه من تحقيق ما يصبوا إليه من جريمته، وهذه الصفة لابد أن تقوم في شخص الجاني قبل ارتكاب الجريمة، فإذا انتفت هذه الصفة فلا عقوبة عليه، وبالتالي تسقط هذه الجريمة وتصبح كأنها لم تكن لأنها لم تكتمل فيها جميع الأركان.

ويشترط المشرع الليبي في جريمة الكسب غير المشروع توافر صفة خاصة في الجاني وهي كونه موظفًا عامًا أو من هو في حكم الموظف العام، وهذه الصفة يحددها القانون وفق ما يراه من مصلحة، وقد ورد تعريف الموظف العام في المادة (16) الفقرة الرابعة من قانون العقوبات الليبي بأنه: (كل من أنيطت به مهمة عامة في خدمة الحكومة أو الولايات أو الهيئات العامة الأخرى سواء كان موظفًا أو مستخدمًا، دائمًا أو مؤقتًا، براتب أو بدونه، ويدخل في ذلك محررو

العقـود والأعضـاء المسـاعدون في المحاكـم والمحكمـون والخـبراء والتراجمـة والشـهود أثنـاء قيامهـم بواجباتهـم). ثـم تنـص المـادة (229) مكـررًا (ج) مـن القانـون نفسـه عـلى أن: (مـع عـدم الإخـلال بتعريـف الموظـف العمومـي الـوارد في البنـد (4) مـن المـادة (16) يعـد في حكـم الموظـف العـام (أ) رؤسـاء وأعضـاء الهيئـات النيابيـة أو المحليـة سـواء كانـوا منتخبـين أو مختاريـن بأيـة طريقـة. (ب) رؤسـاء وأعضـاء اللجـان الشـعبية. (ج) رؤسـاء وأعضـاء مجالـس إدارة وموظفـو أو مسـتخدمو الـشركات والمؤسسـات والجمعيـات والمنشـآت إذا كانـت الدولـة أو إحـدى الهيئـات أو المؤسسـات العامـة تسـهم في رأسـمالها).

وتفـترض جريمـة الكسـب غيرالمـشروع وفـق أحـكام قانـون مـن أيـن لـك هـذا رقـم (3) لسـنة 1986م، وقانـون التطهـير رقـم (10) لسـنة 1423م، وقانـون الكسـب الحرام رقـم (3) لسـنة 1970م، أن يكـون مرتكـب الجريمـة موظفًـا عامًـا أومـن في حكمـه، وبمعنـى آخرشـخص يملـك نوعًـا مـن السـلطة يسـمح لـه بالإثـراء عـلى حسـابها، فهـذه الجريمـة تواجـه التعسـف في اسـتعمال السـلطة التـي يسـتهدف إلى جمـع المـال، لهـذا كانـت هـذه الجريمـة مـن جرائـم أصحـاب النفـوذ في الدولـة، وكان النـص عليهـا مـن علامـات سـيادة القانـون.

ثانيًـا: الركـن المـادي لجريمـة الكسـب غـير المـشروع في القانـون الليبي:الركـن المـادي في الجريمـة يتكـون مـن عنـاصر ثلاثـة هـي : النشـاط والنتيجـة وعلاقـة السـببية بينهمـا ، وحديثنـا هنـا خـاص بنتيجـة النشـاط الإجرامـي في جريمـة الكسـب غـير المـشروع، الـذي يظهـر مـن خـلال صورتـين مختلفتـين همـا:

الصـورة الأولى: الاسـتغلال الفعـلي للوظيفـة أو الصفـة: أي قيـام الخاضع لأحـكام قانون مـن أيـن لـك هـذا رقـم (3) لسـنة 1986م، وقانـون التطهـير رقـم (10) لسـنة 1423م، وقانـون الكسـب الحـرام رقـم (3) لسـنة 1970م بالحصـول عـلى المـال بالاسـتناد إلى الإعمـال أو السـلطات التـي تخولهـا لـه وظيفتـه أو صفتـه[28]، ولفظ الاسـتغلال يتضمن بالـضرورة تصرفـا إيجابيـا مـن قبـل الفـرد، حيـث تعـد جريمـة الكسـب غـير المـشروع مـن الجرائـم الإيجابيـة التـي يتعـين أن يبـذل الفاعـل فيهـا نشـاطًا يكـون لـه أثـره في المحيـط الخارجـي، ويسـتوي أن يكـون نشـاطه قيامـه بعمـل أو الامتنـاع عـن القيـام بعمـل[29]، ويسـتوي في ذلـك أيضًـا أن يكـون النشـاط مخالفًـا للقانـون أو متفقًـا معـه. وحيـث ربـط القوانـين سـالفة الذكـر الاسـتغلال بالوظيفـة أو الصفـة، فـلا بـد أن تتوافـر في الشـخص المسـتغل إحـدى حالتـين، الوظيفـة وهـي التـي تتطلـب قيـام العلاقـة الوظيفـة مـا بـين الموظـف والدولـة كمشـغل، أو الصفـة في حـال عـدم توافـر علاقـة التبعيـة وإنمـا الاسـتغلال يكـون لصفـة منحـت لهـذا الشـخص ومكنتـه مـن

(28) د. عبـد اللطيـف ربايعـة، جريمـة الكسـب غـير المشـورع فى النظـام الجزائـى الفلسـطينى (دراسـة تأصيليـة مقارنـة)، رسـالة دكتـوراه، جامعـة نايـف العربيـة للعلـوم الأمنيـة، الريـاض، سـنة (2014م)، ص127.

(29) د. حسن صادق المرصفاوى، قانون الكسب غير المشروع، منشأة المعارف، الإسكندرية، سنة (1983م)، ص53.

الاتصال بالمال العام، كما يجب أن تكون الوظيفة أو الصفة التي يتمتع بها الشخص قائمة وقت التصرف، وأن يكون العمل الذي يشغله الشخص مما يصلح بطبيعته لأن يستغل فيحصل من ورائه على زيادة في ثروته [30] ، وفي هذا السياق بينت محكمة النقض المصرية في حكمها القائل: (أن المقصود بالكسب غيرالمشروع، كل مال تملكه الموظف أو من في حكمه فصار ضمن ذمته المالية عنصرًا من عناصرها، باستغلال ما تسبغه عليه وظيفته، أو يخوله مركزه من إمكانية تطوع له الاجتراء على محارم القانون مما يمس بما يفترض في الموظف العام ومن في حكمه من الأمانة والنزاهة، وهذا هو المعنى الذي عناه الشارع، وبينه سواء فيما أورده من نص) [31] .

الصورة الثانية: الاستغلال الحكمي أو المفترض: وهي حالة افتراض قانوني لقيام الاستغلال من دون إثبات أن الموظف قد استغل بالفعل سلطات وظيفته أو صفته لتحقيق الكسب غير المشروع، فقد أوجد المشرع هذا الافتراض القانوني لما يستفاد من الزيادة غيرالمبررة في ثروة المكلف أو زوجه أو أولاده القصر مع عجزه عن أثبات مصدر مشروع لتلك الزيادة، وهو ما عبرعنه المشرع الليبي في المادة السادسة من قانون التطهير رقم (10) لسنة 1423م ر :(يعد سرقة وكسبًا غير مشروع كل زيادة تطرأ على الذمة المالية بعد تولي الوظيفة أو قيام الصفة متى كانت هذه الزيادة لا تتناسب مع موارده أو موارد زوجه أو أولاده القصر وعجزعن إثبات مصدر مشروع لها..)، ويتطلب لتحقق الاستغلال الحكمي أو المفترض، ثلاثة شروط [32] .

الشرط الأول: زيادة ثروة الخاضع للقانون أو زوجة أو أولادة القصر بعد تولي الوظيفة أو الصفة.

الشرط الثاني: عدم وجود تناسب بين الزيادة التي طرأت مع موارد الخاضع للقانون وزوجه وأبنائه القصر.

الشرط الثالث: عجز الخاضع للقانون عن إثبات مصدر مشروع لتلك الزيادة في الثروة.

ولا يشترط لقيام جريمة الكسب غير المشروع معرفة مصدر المال الذي حصل عليه الخاضع للقانون، ولا يؤثر في قيامها أن يكون المال من أموال الدولة أو من أموال الغير كأن يكون رشوة لم يتم إثبات عناصرها، كما لم يحدد القانون مقدارًا للمال الذى يعد الحصول عليه كسبًا غير مشروع، ولم يحدد الزيادة المطلوبة في ثورة الخاضع للقانون أو زوجه أو أبنائه القصر متى كانت لا تتناسب

(30) إسماعيل الخلفى، شرح قانون الكسب غير المشروع، مكتبة كوميث، القاهرة، سنة (1997م) ، ص55.

(31)حكم محكمة النقض المصرية، جلسة 27 /12/ 1965م، أحكام محكمة النقض المصرية، السنة (16)، ص183.

(32) إسماعيل الخلفى، شرح قانون الكسب غير المشورع، مرجع سابق، ص54.

مــع مواردهــم، وهــو بذلــك تــرك الأمــر لتقديــر القــاضي [33] .

الفرع الثالث: الركــن المــعنــوي

يمثـل الركــن المعنــوي الأصــول النفســية لماديــات الجريمــة والســيطرة النفســية عليهــا، إلا أن هــذه الماديــات لا تعنــي المــشرع إلا إذا صــدرت عــن إنســان يســأل عنهــا ويتحمــل العقــاب المقــرر لهــا [34]،فتعــد جريمــة الكســب غيرالمــشروع مــن الجرائــم العمديــة التــي يجــب أن يتوافــر فيهــا قصــد جنائــي يظهــر مــن جهــة مرتكبهــا حتــى يمكننــا القــول عنهــا بأنهــا قــد توافــرت أركانهــا وثبــت قيامهــا فعــلاً.

يظهــر معنــى قصــد الاســتيلاء عــلى المــال العــام في جريمــة الكســب غــير المــشروع مــن خــلال معرفــة القصــد الجنائــي للجانــي في هــذه الجريمــة، والــذي يــبرزه الجانــي هنــا عــبر توجيــه لنشــاطه الإجرامــي نحــو اســتغلال الخدمــة أو نحــو ســلوك مخالــف لنــص قانونــي عقابــي، وهــو يعلــم أن هــذا النشــاط مــن شــأنه أن يــؤدي إلى الحصــول عــلى المــال العــام.

القصد الجنائي:

القصــد الجنائــي هــو توجيــه الجانــي إرادة نحــو الفعــل الموصــل إلى النتيجــة التــي يعاقــب عليهــا القانــون وهــو يعلــم بــأن مــن شــأن فعلــه أن يوصــل إليــه[35]، ويتطلــب القصــد الجنائــي عنصريــن همــا:

العنــصر الأول: العلــم: هــو إحاطــة الجانــي بعنــاصر الواقعــة الإجراميــة، وبكافــة العنــاصر القانونيــة الأخــرى المكونــة لهــا بحســب نموذجهــا الإجرامــي القانونــي[36]، والعلــم بعنــاصر الجريمــة في الكســب غــير المــشروع هــو أن يعلــم الجانــي أن حصولــه عــلى المــال لنفســه إنمــا يتــم بســبب اســتغلاله للخدمــة أو الصفــة، فــلا يتوافــر القصــد الجنائــي إذا حصــل عــلى المــال زوجــه أو ابنــه بســبب نفــوذه مــن دون أن يعلــم هــو بذلــك [37].

العنــصر الثانــي: الإرادة: هــي جوهــر القصــد الجنائــي، وتعنــي إرادة الفعــل، وإرادة النتيجــة معــاً ، فــلا يكفــي مجــرد الإحاطــة بالواقعــة وتَمثُّــلِ النتائــج أو توقعهــا، بــل

(33) رشــا توفيــق عمارنــة، جريمــة الكســب غــير المــشروع فى النظــام الجزائــى الفلســطينى ومــدى انســجامها مــع الاتفاقيــة الأمميــة لمكافحــة الفســاد (دراســة تحليليــة مقارنــة)، رســالة ماجســتير، كليــة الحقــوق والإدارة، جامعــة بــيروت، ســنة (2019م)، ص (25 /28).

(34) د. فــؤاد جمــال عبــد القــادر، موســوعة القضــاء والفقــه للــدول العربيــة، القســم الأول: الكســب غــير المــشروع، الــدار العربيــة للموســوعات، القاهــرة، الطبعــة الأولى، ســنة (1987م)، ص 157.

(35) د. حسن صادق المرصفاوى، قانون الكسب غير المشروع، مرجع سابق، ص 13.

(36) د. عبــد الفتــاح خــضر، الجريمــة أحكامهــا العامــة في الاتجاهــات المعــاصرة والفقــه المعــاصر والفقــه الإســلامى، معهــد الإدارة العامــة، الريــاض، ســنة (1405هـــ)، ص 281.

(37) القــاضى محمــد كمــال عبــد العزيــز، قانــون الكســب غــير المــشروع أصولــه النظريــة وتطبيقاتــه العمليــة، عالــم الكتــب، القاهــرة، ســنة (1968م)، ص137.

لابد كذلك من إرادة النتيجة الإجرامية" . [38]
وتتحقق الإرادة في جريمة الكسب غير المشروع:لحظة مباشرة النشاط، أي وقت مقارفة الركن المادي سواء تمثل في استغلال الخدمة أم الصفة أم في السلوك المخالف لنص القانون، ولا يعتد بها وقت تحقيق النتيجة، أي حصول الشخص على المال فهذا أمر تالي لوقوع الجريمة ذلك أنه إن تم التوصل إلى المال فقد تمت الجريمة كاملة ، أما أن لم تتحقق هذه النتيجة لسبب لا دخل لإرادة الشخص فيه، فإن الجريمة تقف عند حد الشروع [39] .
وتعد جريمة الكسب غير المشروع من الجرائم الوقتية والتي تتطابق فيها لحظة تمام الجريمة من قبل الجاني مع لحظة ارتكاب عناصرها المكونة لها، ومن ثم يتعين أن يتوفر القصد الجنائي وقت مقارفة الركن المادي للجريمة سواء تمثل في استغلال الخدمة أو الصفة أو في السلوك المخالف لنص قانوني، فإذا كان الشخص وقت ارتكاب الجريمة لا يهدف إلى تحقيق نتيجتها أو انصرفت إرادته نحو ارتكاب النشاط المؤدي إليها، انتفت في حقه عناصر الركن المادي للجريمة[40] .
في ضوء ما سبق يتبين لنا أن قصد الاستيلاء على المال العام يظهر ويتحقق متى وجه الشخص إرادته ونشاطه نحو استغلال الخدمة أو الصفة أو نحو سلوك مخالف لنص قانوني وعلم أن من شأن هذا النشاط أو هذه الإرادة الحصول على المال الحرام.
المطلب الثاني: جريمة المتاجرة بالنفوذ في القانون الليبي
يشتمل هذا المطلب على عرض أركان جريمة المتاجرة بالنفوذ في القانون الليبي، مبينًا أن يكون هناك نصا يجرم فعل المتاجرة بالنفوذ ويعاقب على إتيانه، شريطة أن يكون النص الذي حرم ذلك الفعل نافذ المفعول وقت مباشرة الفعل، وأن يكون ساريًا على المكان الذي ارتكب فيه الفعل وعلى الشخص الذي ارتكبه ما لم يمتنع العقاب على الفعل المجرم، يليه الركن الثاني وهو أن يقع من المجرم الأمر المادي المكون للجريمة سواء كان هذا الأمر أيجابيًا أم سلبيًا فعليًا أم اشتراكًا، جريمة تامة أم شروعًا، أما الركن الثالث والأخير هو الركن المعنوي يتجلى في موضوعين الأول المسؤولية الجنائية من حيث سببها ودرجاتها والقصد الجنائي بشقيه العلم والإرداة وأثر الجهل والخطأ على المسؤولية الجنائية، والموضوع الثاني ارتفاع المسؤولية الجنائية إما بسبب يتعلق بالفعل فيعد مباحًا، وإما لسبب يرجع للفاعل حيث يبقى محرمًا ولكن لا يعاقب على إتيانه[41] ،

(38) د. عبد الفتاح خضر، الجريمة أحكامها العامة في الاتجاهات المعاصرة، المرجع السابق، ص80.

(39) د. حسن صادق المرصفاوى، قانون الكسب غير المشروع، مرجع سابق، ص115.

(40) المرجع السابق، ص 70.

(41) المستشار عبد القادر عودة، التشريع الجنائى الإسلامى مقارنًا بالقانون الوضعى، دار الفكر العربى، القاهرة، سنة (1986م)، ج1، ص467.

ونتناول فيما يلي أركان جريمة المتاجرة بالنفوذ في القانون الليبي، وذلك في الفروع الآتية :

الفرع الأول

الركن الشرعي

نصت المادة (227) من قانون العقوبات الليبي على أنه: (يعد قانونًا في حكم الرشوة قبول أي شخص له صفة نيابية عامة اكتسبت بالانتخاب أو بغيره وعدا بشئ ما أو هدية أو عطية للحصول من أية سلطة عامة على أي التزام أو ترخيص أو اتفاق توريد أو مقاولة أو على وظيفة أو خدمة أو رتبة أو نيشان أو مكافأة أو مزية أو للشروع في الحصول على شئ من ذلك، أو لاستعمال نفوذ مركزه النيابي العام حقيقيًا كان أو أوامر أو أحكاما أو مزعومًا للحصول على أعمال أو أوامر أو أحكام أو قرارات من أية سلطة إدارية أو قضائية أو للشروع في الحصول على شيء من ذلك).يستنتج من هذا النص على قصر الفعل الإجرامي على النفوذ الوظيفي الذي يمارسه موظف عام أو من هو في حكمه، بأن يستغل نفوذه الحقيقي أو المزعوم ـــ المستمد من صفته كموظف عام ـــ لدى السلطات العامة لخدمة مصالح بعض الأفراد، أو لتحقيق منافع شخصية لهم، مقابل فائدة أو عطية يتقاضاها، والمصلحة المحمية في تجريم الاتجار بالنفوذ، هي حماية الثقة في نزاهة الوظيفة العامة. فالجاني يوحي إلى صاحب الحاجة أن السلطات العامة لا تتصرف وفقًا للقانون وبروح من الحيدة والموضوعية، وإنما تتصرف تحت سطوة ما له من نفوذ عليها، وإذا كان النفوذ حقيقيًا فهو يتضمن إساءة استغلال السلطة المخولة له قانونًا لمستغل النفوذ، فضلًا عما في ذلك من إخلال بمساواة المواطنين أمام المرافق العامة، كما أن استغلال النفوذ يؤدي إلى الإثراء غير المشروع للموظف النفوذ، فضلًا عن السلطة المخولة له إذا اتخدها سلعة يتجر فيها، وإذا كان النفوذ مزعومًا، فإلى جانب الإضرار بالثقة في الوظيفة العامة والسلطات العامة، يعد مدعي النفوذ محتالًا على أصحال الشأن، عندما يوهمهم بنفوذه للاستيلاء على أموالهم بغير حق[42].

الفرع الثاني: الركن المادي

الركن المادي للجريمة هو ما يدخل فى بنائها القانوني من عناصر مادية

(42) د. محمد عبد الحميد مكى، جريمة الاتجار بالنفوذ، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة (2009م)، ص (86 /87)؛ د. محمود نجيب حسنى، شرح قانون العقوبات (القسم الخاص)، الجرائم المضرة بالمصلحة العامة، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة (1982م)، ص13؛ د. حسن المرصفاوى، قانون العقوبات الخاص، منشأة المعارف، الإسكندرية، سنة (1978م)، ص67؛ د. فتوح عبد الله الشاذلى، شرح قانون العقوبات (القسم الخاص)، الجرائم المضرة بالمصلحة العامة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، سنة (1999م)، ص169. وانظر أيضًا:

M, Bozèriàn, Discussions parlemetaires prèalables au vote de la loi française du 4 Juilet 1889, Journal official, 27 aout 1888, Annexes, no 323, P.290; Dandine, (B): De la rèpression du traffic d'indluenairce en droit positif français actule, Thèse paris, 1979,P. 35. et S.

ملموسة يمكن إدراكها بالحواس، كما أن النشاط أو السلوك الذي يكون الركن المادي هو الذى يصيب بالضرر أو يعرض للخطر الحقوق والمصالح الجديرة بالحماية الجنائية [43] ، ولقيام الركن المادي لجريمة الاتجار بالنفوذ يجب توافر العناصر الآتية:

أولًا: الركن المفترض:

الشرط المفترض مركزا قانونيا تحميه قاعدة جنائية، يستقل ويتميز عن أركان الجريمة التي تعد في نهاية الأمر انتهاكًا لهذا الشرط وعدوانًا عليه[44]، فيعد القانون الليبي من التشريعات التي تفترض صفة الموظف العام أو من في حكمه في المتهم صاحب النفوذ، فمن المسلم به أن هذ الصفة تعد ركنًا من أركان جريمة الاتجار بالنفوذ أو استغلاله، لا تقوم الجريمة إلا به.

ويتبين من نص المادة (227) من قانون العقوبات الليبي أن المشرع جعل نطاق جريمة الاتجار بالنفوذ واستغلاله مقصورًا على ذوي الصفة النيابية العامة دون غيرهم، وأن المتهم صاحب النفوذ يتجر في سلطة حقيقية أو مزعومة منه على الموظف المختص لتنفيذ العمل أو الامتناع المطلوب ، فيشترط لقيام الجريمة - وفقًا للمادة (227) عقوبات ليبي - أن يكون مرتكبها من ذوي الصفة النيابية العامة، أي أن يكون عضوًا في أحد المجالس التمثيلية التي تنوب عن كل المواطنين أو بعضهم في التبعير عن إرادتهم الجماعية في الشؤون العامة، ويستوي أن تكون هذه المجالس عامة بمعنى أنها تمثل جميع مواطني ليبيا ، كمجلس النواب، أو محلية بمعنى أنها تمثل مواطني وحدات التقسيم الإداري للدولة كمجالس المحافظات والمدن [45]، ويستوي أن يكون العضو قد اكتسب صفته النيابية بالانتخاب أو بغيره كالتعيين، ولا يقدح في قيام جريمة الرشوة أو الاتجار بالنفوذ الطعن ببطلان انتخاب العضو ذو الصفة النيابية العامة طالما أن هذا البطلان لم يتقرر بعد، حتى ولو تقرر ذلك البطلان بعد تمام الجريمة بل أكثر من هذا يمكن تصور ارتكاب الجريمة بعد أن يتقرر البطلان ويطعن فيه بالإلغاء أمام القضاء، ومن بطيعة الطعن بالإلغاء إيقاف مفعول قرار بطلان الانتخاب الذي لم يصبح نهائيًا، طالما أن العضو قد اشترك في أعمال المجالس النيابية وتقاضى الرشوة أو تاجر بالنفوذ في أثناء ذلك[46].

(43) د. عادل عبد الله المسدى، المحكمة الجنائية الدولية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار النهضة العربية، 2002م، ص63.

(44) د. عبد العظيم مرسى وزير، شرح قانون العقوبات (القسم العام)، بدون طبعة، بدون دار نشر، 2009م ، ج1، ص202.

(45) د. محمود نجيب حسنى، شرح قانون العقوبات (القسم الخاص)، ، ص21؛ د.إدوار غالى الذهبى، جرائم الموظفين فى التشريع الليبى المقارن، المكتبة الوطينة، بنغازى، ليبيا، سنة (1975م)، ص52.

(46) د. احمد رفعت خفاجى، جرائم الرشوة فى التشريع المصرى والقانون المقارن، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة (1999م) ، ص 361؛ د. آمال عبد الرحيم عثمان، شرح قانون العقوبات (القسم الخاص)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة (1989م)، ص52

ثانيًا: الركن المادي:

يشترط لقيام جريمة الاتجار بالنفوذ ـــ وفقًا للمادة (227) عقوبات ليبي - أن يتخذ الفعل الإجرامي صورة الأخذ أو القبول الذي ينصب على هدية أو عطية أو وعد بشئ ما، وأن يتذرع صاحب الصفة النيابية العامة بنفوذه الحقيقي أو المزعوم، وهذا التذرع يمثل السند الذي يعتمد عليه في قبوله وعدًا أو أخذه هدية أو عطية أو شي ما، ويستوي أن يكون هذا النفوذ بنفسه أو في سعي لدى الموظف المختص، ومن أمثله العمل الذي يؤديه المتهم صاحب النفوذ بنفسه أن يقوم بالتصويت داخل المجلس النيابي لصالح أحد المقاولين للقيام بأشغال عمومية وذلك في مقابل مبالغ مالية حصل عليها، أما السعي لدى السلطة العامة للحصول على مزية، فمثاله أن تكون لعضو المجلس النيابي سلطة الرقابة على الموظف الإداري المختص، فيستند إلى هذه السلطة في تحقيق طلب صاحب الحاجة. وفضلًا عن ذلك يجب أن تكون غاية التذرع بالنفوذ الحقيقي أو المزعوم، الحصول أو الشروع في الحصول من أية سلطة عامة على التزام أو ترخيص أو اتفاق توريد أو مقاولة أو وظيفة أو خدمة أو رتبة أو نيشان أو مكافأة أو مزية ،كما يجب أن يكون التذرع بالنفوذ لغرض السعي لدى سلطة عامة وطنية، فلا تقع الجريمة إذا كان السعي لدى سلطة أجنبية، ومن البديهي أن يكون لهذه السلطة العامة وجود فعلي، فإذا كانت وهمية أمكن أن تقوم بالفعل جريمة نصب إذا توافرت سائر أركانها[47].

الفرع الثالث: الركن المعنوي

يقوم القصد الجنائي في جريمة الاتجار بالنفوذ في قانون العقوبات الليبي على عنصرين: العلم والإرادة. أي علم بأركان الجريمة وإرادة متهجة إلى ارتكاب الفعل المكون للجريمة ونتيجته، وفيما يلي بيان ذلك:

العنصر الأول: العلم:

يجب أن يحيط المتهم المتجر بنفوذه علمًا بأركان الجريمة: فيجب أن يعلم بأنه يتمتع بنفوذ حقيقي، أو أن يكون على الأقل قد زعم لنفسه هذا النفوذ، وأن يعلم بنوع المزية التي يعد صاحب الحاجة بالحصول عليها أو محاولة ذلك، ويعلم كذلك بأن السلطة المراد بذل النفوذ لديها والحصول منها على المزية المطلوبة، هي سلطة عامة وطنية أو جهة خاضعة لإشرافها، فإن كانت سلطة أجنبية أو جهة خاصة غير خاضعة لإشراف السلطة العامة الوطنية، فإن القصد الجنائي لا يعد متوفراً لديه.

كما يجب أن يكون المتجر بنفوذه عالمًا بأن ما يتقاضاه من فائدة أو وعد بها ليس إلا مقابلًا لاستعمال نفوذه الحقيقي أو المزعوم، بهدف الحصول لإشرافها،

(47) د. محمد عبد الحميد مكى، جريمة الاتجار بالنفوذ، مرجع سابق، ص (170/ 171).

فإن تخلف لديه هذا العلم اعتقد مثلًا أنه يستوفي دينًا مستحقًا له في ذمة صاحب الحاجة، أو أن ما يقدم إليه من فائدة لا يعدو أن يكون هدية بريئة من صديق، ولا صلة لها بالتذرع بالنفوذ، أو كان معدوم النفوذ، أو لم يصدر منه سلوك يفيد زعمه بهذا النفوذ، فإن القصد الجنائي لا يعد متوفرًا لديه.

العنصر الثاني: الإرداة:

يجب أن يتوافر لدى المتهم المتجر بنفوذه إرادة أخذ الفائدة أو العطية، أو قبول الوعد بها، أو طلب العطية أو الوعد، فإن كان ذلك غير جدي، فلا يتوافر القصد الجنائي، كما لو تظاهر بقبول العطية المقدمة للحصول على مزية من السلطة العامة، بغية الإيقاع بصاحب الحاجة والعمل على ضبطه متلبسًا بجريمته، أو إذا دس صاحب الحاجة فى جيب صاحب النفوذ من دون أن تنصرف إرادة هذا الأخير إلى أخذها.

وكذلك يتخلف القصد الجنائي، فلا تقوم في حالة ما إذا كان الجاني لم تنصرف إرادته عند طلب العطية أو الفائدة أو قبولها أو أخذها إلى أنها مقابل استعمال نفوذ حقيقي أو مزعوم، وإنما إلى أنها أجر وكالته للسعي المشروع لدى سلطة عامة أو ما في حكمها للحصول أو لمحاولة الحصول على مزية ما مشروعة لصاحب الحاجة [48].

وقد اختلف الفقه حول تحديد نوع القصد الجنائي في جريمة الاتجار بالنفوذ، هل هو قصد عام، أم هو قصد خاص؟

وتفرع الرأي إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: كفاية القصد العام: يذهب أنصار هذا الاتجاه - وهو الرأي السائد - إلى أن القصد الجنائي المتطلب في جريمة الاتجار بالنفوذ يتخذ صورة القصد العام الذي يقوم على عنصري العلم والإرداة. فيجب أن تنصرف إرادة الجاني إلى طلب العطية أو أخذها أو قبول الوعد بها، وأن يكون عالمًا بالغرض الذي تبذل هذه العطية من أجله، أى أنها تقابل مقابل استعمال لنفوذه الحقيقي أو المزعوم لدى سلطة عامة أو جهة خاضعة لإشرافه في سبيل تحقيق مزية ما لمصلحة الغير. فلا يشترط في هذه الجريمة أن تتجه نية الجاني إلى استعمال النفوذ الذي تذرع به، ومحاولة الحصول على المزية المطلوبة. وسند ذلك أن المشرع قد ساوى بين النفوذ الحقيقي والمزعوم مما يفيد ضمنًا أنه يستوي لديه أن تتجه نية الجاني الحقيقية إلى استعمال نفوذه الحقيقي، أو لا تتجه إلى ذلك، كما في حالة التذرع بالنفوذ المزعوم ، يضاف إلى ذلك أن الاستعمال الفعلي للنفوذ وتحقق المزية

(48) د. محمد محيي الدين عوض، القانون الجنائى (جرائمه الخاصة)، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى، القاهرة، سنة (1976/ 1977م)، ص573.

بالفعل ليس عنصرًا في الركن المادة للجريمة [49] .

الاتجاه الثاني: تطلب القصد الخاص إلى جانب القصد العام: يذهب أنصار هذا الاتجاه إلى أن القصد المتطلب في جريمة الاتجار بالنفوذ يتخذ ـــــ إلى جانب القصد العام ـــــ صورة القصد الخاص الذي يتمثل في نية الاتجار بالنفوذ أو نية استغلاله على حسب الأحوال، فالقانون لا يعاقب الجاني، لأنه تلقى الفائدة لذاتها، وإنما باعتبارها مقابلًا لاستغلاله نفوذه في سبيل الحصول على مزية من أحدى السلطات العامة، وإن مناط تحقق النية بالنفوذ لدى الجاني أن يكون هناك تصرف فعلي منه. ومظهرها أن يستعمله لتنفيذ الغرض من الفعل بالسعي للحصول على مزية لصاحب الحاجة، وأما نية استغلاله النفوذ فتتحقق في شخصه إذا لم يكن له هذا النفوذ فأوهم صاحب الحاجة بنفوذ مزعوم، أو كان له نفوذ حقيقي وتقاضى العطية على نية عدم التنفيذ. ومظهرها قعوده عن السعي للحصول على مزية لصاحب الحاجة [50] .

والرأي الراجح في نظرنا الاتجاه الأول - السائد فقهًا - وذلك على أساس أنه يكفي لتحقق القصد أن يتوافر العلم لدى المتهم صاحب النفوذ بأن الفائدة أو الوعد بها تقدم كثمن لإستعمال نفوذه، سواء أكان حقيقيًا أو مزعومًا، لدى سلطة عامة لتحقق مزية ما لصاحب المصلحة، من دون حاجة إلى توافر نية متجهة إلى غاية أبعد من ذلك، أي من دون اشتراط اتجاه النية الحقيقية إلى استعمال النفوذ فعلًا والحصول أو محاول الحصول على المزية المطلوبة،

وليس ثمة خلاف في الفقه حول وجوب معاصرة القصد الجنائي بعنصريه العلم والإرادة لفعل أخذ أو قبول أو طلب الفائدة أو الوعد بها، بمعنى أنه يلزم أن يتوافر لدى الجاني في ذات الوقت الذي يرتكب فيه فعل الأخذ او القبول أو الطلب كافة العناصرالتي يتكون منها قصد الاتجار بالنفوذ، فإذا تخلف في هذا الوقت عنصر من تلك العناصر، فإنه ينفي حصول أخذ الفائدة أو طلبها أو قبول الوعد بها عمدًا، كما لا يكفي توافره في لحظة لاحقة لمساءلة الجاني عن الجريمة [51].

المطلب الثالث: جريمة إساءة استغلال الوظيفة في القانون الليبي

تعد أركان الجريمة هي العناصر الأساسية التي يجب توافرها حتى يوصف الفعل بأنه سلوك إجرامي، وبالتالي يستحق العقاب، وفيما يلي نتناول البنيان القانوني لجريمة إساءة استغلال الوظيفة في القانون الليبي، وذلك في الفروع الآتية:

(49) د. محمد عبد الحميد مكى، جريمة الاتجار بالنفوذ، مرجع سابق، ص232؛ د. أحمد فتحى سرور، الوسيط فى قانون العقوبات (القسم الخاص)، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة (1991م)، ص 200؛ د. عوض محمد عوض، الجرائم المضرة بالمصلحة العامة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، سنة (1985م)، ص119

(50) د. محمد زكى أبو عامر، قانون العقوبات (القسم الخاص)، مطابع جريدة السفير،الإسكندرية، سنة (1987م)، ص154؛ د. محمد عبد الحميد مكى، جريمة الاتجار بالنفوذ، المرجع سابق، ص 233.

(51) د. محمد عبد الحميد مكى، جريمة الاتجار بالنفوذ، المرجع سابق، ص 235.

الفرع الأول: الركن الشرعي

جرم المشرع الليبي جريمة استغلال الوظيفة في المادة (233) من قانون العقوبات القائلة: (يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر كل موظف عمومي يحصل لنفسه، سواء مباشرة أو عن طريق غيره أو بأفعال مختلفة، على منفعة من أي عمل من أعمال الإدارة التي يمارس فيها وظيفته).

ويستفاد من هذا النص أن رغبة المشرع في حماية المصلحة العامة من الخطر الذي يتهددها إذا استغل الموظف وظيفته للحصول على ربح أو منفعة، تقديرًا من المشرع بأن تحقيق أو محاولة تحقيق هذا الهدف الخاص عن طريق العمل الوظيفي سيكون على حساب التضحية بالمصلحة العامة أو تهديدها بالخطر، إذ يتعذر أن يكون رقيبًا على نفسه ومراقبًا منها في الوقت ذاته ، لذلك تعد تلك الجريمة من جرائم الخطر لا من جرائم الضرر؛ لأن سلوك الموظف على النحو السالف بيانه يعرض المصلحة العامة للخطر ولو لم يترتب على فعله ثمة أضرار [52] .

الفرع الثاني: الركن المادي

إن الركن المادي لهذه الجريمة يتحلل إلى أربعة عناصر، ركن مفترض، ونشاط معين يصدر عن الجاني هو الحصول لنفسه، ومحل معين يرد عليه هذا النشاط، وهو الربح أو المنفعة، وصلة محددة لهذه الربح أو المنفعة بالعمل الوظيفي، وهو أن يكون أعمال وظيفة الجاني.

الأول: الركن المفترض:

صفة الجاني ذات شقين: فمن ناحية يتعين أن يكون موظفًا عامًا، ومن ناحية ثانية يتعين أن يكون مختصًا بالعمل الذي حصل أو حاول أو يحصل منه على ربح أو منفعة.

فصفة الموظف العام تحدد وفقًا للمدلول الذي نصت عليه المادة (16/4) من قانون العقوبات الليبي، أما اشتراط اختصاصه بالعمل الذي تربح منه فتستخلصه من قول الشارع أن حصوله أو محاولته الحصول على الربح كان (من علم من أعمال الإدارة التي يمارس فيها وظيفته) ويحدد عنصر (الاختصاص) وفقًا للقواعد العامة: فيجوز أن يكون الاختصاص بناء على قانون أو لائحة أو قرار إداري أو تكليف كتابي أو شفوي من رئيس مختص، ولا يشترط أن يكون الموظف مختصًا بكل العمل الذي تربح منع، وإنما يكفي وتستوى الصورة التى يتخذها اختصاصه بالنسبة للعمل: فقد يختص باتخذ القرار في شأنه أو إبداء الرأي فيه أو يختص بتنفيذه مباشرة، أو إدارة تنفيذه، او مجرد الإشراف عليه [53] .

(52) د. فوزية عبد الستار، شرح قانون العقوبات (القسم الخاص)، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة (2000م)، ص (161 /162)؛ د. محمود نصر، الوسيط فى جرائم المضرة بالمصلحة العامة، منشأة المعارف، الإسكندرية، سنة (2004م)، ص453.

(53) د. أحمد فتحى سرور، الوسيط فى قانون العقوبات (القسم الخاص)، مرجع سابق، ص 264.

ومن أمثلة الحالات التي ترتكب فيها جريمة استغلا الوظيفة: المهندس الذي يشغل وظيفة عامة ويتربح من عملية إنشاء مبنى الدولة أو إنشاء جسر أو تعبيد طريق عام إذا كان اختصاص ما في شان هذه العملية؛ ومعاون المدرسة أو الموظف المختص في المستشفى أو السجن الذي يتربح من عملية توريد الأغذية اللازمة للمرفق الذي يعمل فيه؛ وضابط القوات المسلحة المختص الذي يتربح من عملية شراء أسلحة أو ذخائر للجيش [54] .

والعبرة في توافر الصفة هو بوقت ارتكاب الفعل، ما لم يكن قد كسب الصفة أو الاختصاص بعد البدء فى العملية ولم يعتذر عن الاستمرار فيها، إذ يكون قد جمع الاختصاص وفعل الاستغلال مما يحقق قيام جريمة استغلال الوظيفة [55] .

الثانى:النشاط الإجرامي: التوسل بالعمل الوظيفي للحصول لنفسه مطلقا على ربح أو منفعة :

إن النشاط الذي يلزم صدوره من الموظف لقيام الجريمة هو التوسل بالعمل الوظيفي للحصول على ربح أو منفعة. فالحصول يتحقق بكل فعل يترتب عليه تناول الموظف فورًا - ماديًا أو حكميًا - لربح أو منفعة يكون قد دخل بالفعل ذمة الموظف بالحصول، ويكون هذا التناول ماديًا كما لو سلم إليه الربح الذي جناه يدًا بيد، او أودع الربح في حسابه بالبنك، أو سلمت إليه شقة على وجه الملكية أو الإيجار، في حين يكون حكميًا كما لو تمثل الربح أو المنفعة في دين أسقط عنه، أو في منفعة ليست ذات طبيعة مادية بذلت بالفعل للموظف، كالتعاقد معه للعمل مستشارًا أو خبيرًا، أو بعد التقاعد، او تمكينه من الاستمتاع بمصيف أو بمشتى إلى غير ذلك، والفكرة الجوهرية في ذلك كله أن الحصول لا يتحقق إلا بالتناول الفوري للربح أو المنفعة، والأصل أن جريمة استغلال الوظيفة تقع تامة بالحصول، أو بتناول الموظف المنفعة أو الربح فعلًا، إذ تكون الجريمة قد وقعت في تلك اللحظة تامة لتحقق نتيجتها، وتفريعًا على هذا الأصل، كان بدء الموظف في تنفيذ فعل الحصول، أي صدور فعل منه شأنه أن يؤدي مباشرة إلى الحصول على المنفعة، يشكل شروعًا معاقبًا عليه وفق القواعد العامة، ما دام قصد الحصول ثابتًا لديه [56]. كما لو استصدر رئيس مجلس إدارة من مجلس الإدارة قرارا بإسناد عملية توريد مصنع وتركيبه أو خلافه إلى شركة معينة يملكها رئيس مجلس الإدارة هذا باسم مستعار أو يشارك غيره فيها، فهذا بدء في التنفيذ قد يعدل عنه رئيس مجلس الإدارة اختيارًا بعدم التعاقد فعلًا، فيصبح الشروع غير معاقب عليه، أو يوقف هذا التنفيذ اضطرارًا، كاكتشاف الأمر أو ضبط الجريمة

(54) د. محمود نجيب حسنى، شرح قانون العقوبات (القسم الخاص)، مرجع سابق، ص144؛ د. جلال ثروت، نظم القسم الخاص فى قانون العقوبات، مطابع السعدنى، الإسكندرية، سنة (2006م)، ص486.

(55) د. جلال ثروت، نظم القسم الخاص فى قانون العقوبات، المرجع السابق، ص486.

(56) د. محمد زكى أبو عامر، قانون العقوبات (القسم العام)، بدون دار نشر، سنة (1986م)، ص 162 وما بعدها.

بعد قرار المجلس وقبل التعاقد، أو قد يخيب أثره بتعرض العملية للخسارة لا للربح، وفي الحالين يكون في الأمر شروعًا معاقبًا عليه.

فإذا اتجه فعل الموظف إلى الحصول لنفسه على ربح أو منفعة من عمل من أعمال وظيفته، كان فعله مؤثمًا على إطلاقه، فالقانون لم يبتغ من هذه الجريمة أصلًا إلا منع الموظف من تحري النفع الخاص له مطلقًا وخلط مصالحه الخاصة بالمصلحة العامة التي وفرته الدولة على رعايتها، فطالما كانت أعمال وظيفته تقتضي رعاية المصلحة العامة وإقامته رقيبًا عليه أن يمتنع عن أي فعل يصبح له بمقتضاه مصلحة خاصة عبر العمل الوظيفي المسند إليه؛ لأن التعارض بين المصلحتين وارد على الدوام، واحتمال الميل لمصلحة نفسه غالب [57].

الثالث: محل النشاط: محل النشاط (الحصول) هو الموضوع الذي يقع عليه هذا النشاط، وهو الربح أو المنفعة، فلا جريمة إلا إذا كان ما تم الحصول عليه يشكل ربحًا أو منفعة، فالربح يتسع في معناه ليشمل كل فائدة يكون لها مظهر مالي أو اقتصادي، فقد تكون نقودًا أوأوراقًا مالية أو سندات أو ذهب أو سيارة أو ملابس أو بيع لعقار أو لمنقول بأقل من ثمنه أو شراء لعقار أو منقول بأكثر من ثمنه، بالعموم يتسع معنى الربح ليشمل كل فائدة مادية يمكن تقويمها بالنقود. أما المنفعة فمقصود بها الفائدة الاعتبارية أو غير المادية التي تمثل خدمة لا يمكن تقويمها بالنقود، كالتوظيف والترقية والزواج والطلاق، والحصول على الملذات والمتع الشخصية ومنها العلاقات الجنسية الأثمة، ولاعبرة بقيمة الربح أوالمنفعة التي يقع عليها نشاط الموظف، كما يستوي أن تكون هذه أو تلك صريحة أو مقنعة، غاية الأمر أنه يلزم أن لا يكون حصل عليها، إذا توافر سبب كاف للحصول عليها لا تكون بينه وبين العمل الوظيفي أية علاقة، كعلاقة القربى أوالمصاهرة أوالصداقة الحقيقية. ولا يلزم بطبيعة الحال أن يكون الموظف قد حصل فعلًا على (الربح أو المنفعة) طالما كانت الجريمة تقع تامة بمجرد المحاولة، كما أن الجريمة تكون قد وقعت تامة ولو كان الحصول على الربح أو المنفعة معلقًا على شرط لم يتحقق، فلم يتم الحصول عليها، وكذلك إذا رفض الطرف الثاني بذل الربح أو المنفعة لنكوله عن وعده، أو لخسارة لحقت به أو لغير ذلك من الأسباب [58].

الرابع: صلة الربح أو المنفعة بالعمل الوظيفي: لا تقع جريمة استغلال الوظيفة من مجرد أن هناك موظفًا عامًا حصل لنفسه على ربح أو منفعة، وإنما يجب لوقوع الجريمة أن يكون الحصول على الربح أو محاول الحصول عليه من عمل

(57) د. محمد زكى أبو عامر، قانون العقوبات (القسم الخاص)، مرجع سابق، ص(240 /242).

(58) د. محمد زكى أبو عامر، قانون العقوبات (القسم الخاص)، مرجع سابق، ص(246 /247)؛ د. جلال ثروت، نظم القسم الخاص فى قانون العقوبات، مرجع سابق، ص488؛ د. أحمد فتحى سرور، الوسيط فى قانون العقوبات (القسم الخاص)، مرجع سابق، ص288.

من أعمال الوظيفة، سواء كان ذلك في مرحلة تقرير العمل الذي يستغله الموظف، أو في مرحلة المداولة في اتخاذ، أو عند التصديق عليه، أو تعديله على نحو معين أو تنفيذه أو أبطاله أو إلغائه، فيشترط أن يكون الموظف مختصًا بالعمل الذي حصل منه على ربح أو منفعة، ويشترط أن يكون الاختصاص بهذا المعنى حقيقيًا، لاموهومًا ولامزعومًا، فإذا لم يكن الموظف مختصًا بالعمل الوظيفي الذي تربح منه فلا تقوم الجريمة ولو كان قد زعم هذا الاختصاص أو كان معتقدًا أنه مختص به ولو أقحم فيه تدخلًا منه أو تهاونًا من زملائه ومهما استطال به الزمن، كما أن العبرة بتوافر الصفة والاختصاص بوقت ارتكاب الفعل الذي تقوم به الجريمة، وهو الوقت الذى تقع فيه المحاولة من جانب الموظف عن طريق التدخل فى العمل الوظيفي [59] .

الفرع الثالث : الركن المعنوي

جريمة استغلال الوظيفة من الجرائم العمدية، وهي من جرائم القصد الخاص التي يتطلب القانون لقيامها إلى جوار القصد العام قصدًا خاصًا هو نية (التربح أو المنفعة) كغرض يسعى الفاعل (الموظف) إليه بنشاطه.

والقصد العام اتجاه الإرادة إلى الحصول على ربح أو منفعة لنفسه من وراء أحد أعمال وظيفته، مع علمه بذلك. وبناء على ذلك فلا يكفي مجرد التسبب في الحصول على ربح أو منفعة من وراء أعمال الوظيفة العامة المذكورة لقيام هذه الجريمة ما لم يثبت أن الموظف العام قد قام بالحصول على هذه المنفعة قاصدًا ذلك. ولا يصلح عذرًا أن يدعي الجاني جهله بالواجب المفروض عليه في عدم الجمع بين المصلحتين العامة والخاصة من خلال العمل المكلف به؛ لأن مصدر هذا الواجب هو قانون العقوبات ذاته، ولا يقبل من أحد الاعتذار بجهله به أو الغلط فيه إلا أن القصد ينتفي إذا أثبت الموظف العام جهله بأن العمل الذي أداه يندرج تحت إدارته أو إشرافه، ولو انطوى ذلك على جهل باللوائح الإدارية أو التعليمات؛ لأن الجهل أو الغلط في غير قانون العقوبات يصلح عذرًا إنتفاء هذا القصد[60].

ولأن جريمة استغلال الوظيفة من جرائم القصد الخبيث، التي يعد قصد الغش جوهرها وبنيانها، فإن القصد العام وحده لا يكفي لقيام الجريمة، ذلك أن الفعل الصادر من الجاني وهو فعل الحصول على الربح أو المنفعة لا يبدي وجه الإجرام في ظاهره، وإنما في باطنه، بمعنى أن الموظف يحصل على الربح أو يحاول الحصول عليه من خلال التداخل في عمل وظيفي من اختصاصه، وهو عمل لا يلزم أن يكون غير مشروع أو مخالف لواجبات الوظيفة، بل أن الجريمة تقوم في مادياتها سواء أكان العمل مشروعًا ومتفقًا مع واجبات الوظيفة، او غير مشروع ومخالف

(59) د. أحمد فتحى سرور، الوسيط فى قانون العقوبات (القسم الخاص)، المرجع السابق، ص (288/ 289)؛ د. محمد زكى أبو عامر، قانون العقوبات (القسم الخاص)، المرجع السابق، ص(246/ 247).

(60) د. أحمد فتحى سرور، الوسيط فى قانون العقوبات (القسم الخاص)، مرجع سابق، ص191.

لواجباتها؛ لأن المشرع قصد أن يكون تربح الموظف من العمل الوظيفي مؤثم على إطلاقه، وبالتالي فإن (طبيعة الجريمة) وحكمة العقاب فيها (تستلزمان الاعتداد بنية التربح، باعتبارها الغرض الخبيث الذي يسعى إليه الموظف للتفرقة بين الموظف الذي يقوم بأداء العمل الوظيفي ويتداخل فيه باعتبارها واجبًا من واجباته وإنجاز لوظيفته، وهو بلا ريب بعيد عن دائرة التجريم مهما أخطأ، والموظف الذي يتوسل بالعمل الوظيفي لتظفير نفسه بالربح أوالمنفعة، ذلك أن الملحوظ في تجريم التربح إنما هوالغرض أوالغاية من أداء العمل الوظيفي [61]، فإذا كانت نية الموظف العام حين تداخل في العمل الوظيفي (وهي تعد الحلقة الأولى من حلقات محاولة الحصول على المنفعة أو الربح) متجهة إلى هذا التداخل بنية أداء الواجب الوظيفي فلا جريمة، مهما أصاب الموظف من منفعة أو ربح عرضًا؛ لأن التداخل بالعمل الوظيفي الذي يشكل أولى درجات محاولة الحصول على المنفعة، خلا من الغرض الخبيث الذي يجرمه المشرع.

أما إذا كانت نية الموظف العام حين تداخل بالعمل الوظيفي متجهة إلى تظفير نفسه بالمنفعة من وراء هذا التداخل، قامت الجريمة واستحق عقوبتها، لتحقق الغرض الخبيث الذي يسعى المشرع إلى تجريمه وهو نية المنفعة، مهما كان هذا العمل مشروعًا ومتفقًا مع واجبات الوظيفة.

ولا تقوم جريمة استغلال الوظيفة إذن إلا إذا ثبتت لدى الجاني (نية المنفعة لنفسه) كغرض يسعى إليه من خلال تداخله في العمل الوظيفى. ولما كانت نية المنفعة بطبيعتها أمر باطني يبطنه الموظف ويضمره في نفسه فيتعين على القاضي أن يعنى بالتحدث عنه استقلالًا واستظهار بإيراد الأدلة التي تدل وتكشف عنه[62].

المبحث الرابع

تقييم تعارض المصالح في التشريعات الليبية

وقعت دولة ليبيا على اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد بتاريخ الأول من ديسمبر سنة 2003م، وصادقت عليها بموجب القانون رقم (10) لسنة 2005م بشأن التصديق على اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد وأودعت صك مصادقتها على الاتفاقية لدى الأمين العام للأمم المتحدة فى 7 يونيه سنة 2005م. وطبقًا للأعلان الدستوري الصادر في 2 أغسطس عام 2011م، يمارس المجلس الوطني الانتقالي المتكون من ممثلي المحلية نظام الحكم باعتباره أعلى سلطة في الدولة في ظل المرحلة الانتقالية، حيث يباشر أعمال السيادة بما فيها التشريع ووضع السياسة العامة للدولة، وتسند مهمة تنفيذ السياسة العامة إلى المكتب

(61) د. محمد زكى أبو عامر، قانون العقوبات (القسم الخاص)، مرجع سابق، ص ص251.

(62) د. محمود نجيب حسنى، شرح قانون العقوبات (القسم الخاص)، مرجع سابق، ص(148 /149)؛د. محمد زكى أبو عامر، قانون العقوبات (القسم الخاص)، مرجع سابق، ص ص(251 /252).

التنفيذي للمجلس الوطني الانتقالي الذي يتولى إصدار اللوائح التنفيذية للقوانين الصادرة.

وقد كرست الدولة الليبية من خلال الطعن الدستوري رقم (57/1) بتاريخ 23 ديسمبر سنة 2013م مبدأ أسبقية تطبيق المعاهدات الدولية على التشريعات الداخلية. وتعد المبادئ القانونية التي تقرها المحكمة العليا إلزامية لجميع المحاكم وكل الجهات القضائية الأخرى في ليبيا طبقًا لسنة 1982م المعدل بموجب القانون رقم (33) لسنة (2012م)، وقد تم الأخذ بالمبدأ نفسه أيضًا في مسودة الدستور الليبي في المادة (13) والتي تنص على أن: (المعاهدات والاتفاقيات المصادق عليها في مرتبة أعلى من القانون وأدنى من الدستور) ويتضمن الإطار القانوني الوطني لمكافحة الفساد أحكامًا من عدد من القوانين لا سيما قانون العقوبات وقانون الإجراءات الجنائية وقانون إنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد وقانون الجرائم الاقتصادية بالإضافة إلى قانون مكافحة اوتمويل الإرهاب.

ولدى ليبيا العديد من الجهات والأجهزة المعينة بمكافحة الفساد لعل أبرزها الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد ومكتب النائب العام وهيئة الرقابة الإدارية وديوان المحاسبة ووحدة المعلومات المالية الليبية، وفيما يلي نتناول ملاحظات على تنفيذ مواد الفساد وتعارض المصالح، وغياب العديد من النقاط القانونية عن تعارض المصالح في التشريعات الليبية:

المسألة الأولى: ملاحظات على تنفيذ مواد الفساد وتعارض المصالح:

أبرز تقرير الأمم المتحدة تجريم أفعال الفساد وتعارض المصالح على الصعيد الوطني، إلا أن من الصعب إجراء تقييم تفصيلي للممارسة المتبعة في ليبيا فى التجريم وإنفاذ القانون في قضايا الفساد وتعارض المصالح مع اتفاقية مكافحة الفساد، نظرًا لغياب البيانات الكافية ذات الصلة [63] .

أولًا: الرشوة والمتاجرة بالنفوذ المواد (15) و(16) و(18) و(21) من اتفاقية مكافحة الفساد:

تعتمد الدولة الليبية تعريفًا واسعًا لمصطلح الموظف العام يشمل جميع العاملين في السلطة التشريعية والتنفيذة والقضائية (م/4/16) من قانون العقوبات، والمادة الثانية من القانون بشأن الجرائم الاقتصادية.

وجرمت المادة (226) من قانون العقوبات، والمادة (21) من القانون بشأن الجرائم الاقتصادية طلب موظف أو قبوله أو أخذه رشوة لأداء عمل أو للامتناع عن عمل من أعمال وظيفته أو للإخلال بواجباتها. كما جرمت المادة (226) قبول الموظف لعطية عن علم من أعمال وظيفته تم القيام به.

(63) تقرير استعراض تنفيذ اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، مؤتمر الدول الأطراف فى اتفقاية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، فيينا 12 إلى 14 نوفمبر عام 2018م، الدورة التاسعة المستأنفة الثانية، الأمم المتحدة (CAC/COSP/IRG/2018/1/Add.2).

وجرمت المادة (229) من قانون العقوبات والمادة (22) من القانون بشأن الجرائم الاقتصادية رشوة الموظف في حالة رفض الرشوة. أما في حالة قبولها، فيعاقب الراشي بناءً على المادة (226) من قانون العقوبات، والمادة (21) من القانون بشأن الجرائم الاقتصادية اللتين تنصان على أن العقوبة تتناول أيضًا الراشي والوسيط، ما يغطي الرشوة غير المباشرة.

ولم تجرم المادة (227) من قانون العقوبات قيام موظف عمومي بطلب أو قبول رشوة لاستعمال نفوذ حقيقي أو مزعوم للحصول أو محاولة الحصول من أية سلطة عامة أو أية جهة خاضعة لإشرافها على مزية من أي نوع كانتن ويجرم الراشي والوسيط في حالة قبولة الرشوة بناءً على أحكام المادة (226) معطوفة على المادة (227) من قانون العقوبات، كما جرمت المادة (31) من القانون بشأن الجرائم الاقتصادية ارتشاء أي شخص للمتاجرة بنفوذه.

ولم تغط التشريعات الليبية رشوة الموظفين العموميين للمتاجرة بنفوذهم في حالة رفض الرشوة كما لم تغط رشوة أشخاص من غير الموظفين العموميين للمتاجرة بنفوذهم، وجرم المشرع الليبي طلب الرشوة في القطاع الخاص أو قبوها وذلك في المادة (229) مكررة (ب) من قانون العقوبات من دون أن تجرم الوعد بالرشوة أو عرضها أو منحها.

ثانيًا: غسل الأموال، والإخفاء المادتان (23)، و(24) من اتفاقية مكافحة الفساد:

جرم المشرع الليبي غسل العائدات الإجرامية بموجب المادة (38) من قانون مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب لسنة 2017م. كما جرم مختلف أوجه المشاركة في الجريمة بالإضافة إلى الشروع بارتكاب هذه الجريمة بموجب المادتين (38) و(40) من القانون نفسه، واعتمد المشرع الليبي المنهج الشامل حيث تشمل الجرائم الأصلية حسبما حددتها المادة الأولى من القانون أي فعل يرتكب في الدولة الليبية ويشكل جريمة، أو أي فعل يرتكب في الخارج ويكون مجرمًا من الدولة التي ارتكبت فيها الجريمة وفي ليبيا. كما جرمت الغسل الذاتي.

وجرم المشرع الليبي كذلك إخفاء الأشياء الناجمة عن جناية أو جنحة، كجريمة مستقلة، سواء في حالة اتفاق سابق أو في حالة عدم وجود مثل هذا الاتفاق، وذلك في المادة (465) مكررة (أ) من قانون العقوبات، والمادة (20) من قانون التطهير، والمادة (5) من قانون (من أين لك هذا).

ثالثًا: الاختلاس، إساءة الوظائف، الإثراء غير المشروع أو الكسب غير المشروع المواد (17)، و(19), و(20)، و(22) من اتفاقية مكافحة الفساد:

جرم المشرع الليبي في المادة (230) من قانون العقوبات فعل اختلاس أو تبديد موظف عمومي لما أوكل إليه بحكم وظيفته من نقود وأموال منقولة دون سائر الممتلكات لاسيما الأموال غير المنقولة، غير أن قانون الجرائم الاقتصادية غطى هذا النقص حيث جرم أيضًا هذه الأفعال، لاسيما في المواد (11)، و(15)، و(27)

منـه، ولكـن بشـكل مطلـق.
وجـرم المـشرع الليبـي قيـام موظـف عمومـي باسـتغلال منصبـه أو علمـه لتحقيـق منفعـة لـه أو لغـيره وذلـك في قانـون العقوبـات المـواد (213)، و(233) إلى (236)، وفي قانـون الجرائـم الاقتصاديـة المـواد (3)، و(33)، و(34)، وفي المـادة الأولى مـن قانـون إسـاءة اسـتعمال الوظيفـة أو المهنـة.
وجـرم المـشرع الليبـي كذلـك الإثـراء غـير المـشروع أو الكسـب غـير المـشروع وذلـك في المـادة (6) مـن قانـون التطهـير، والمـادة الأولى مـن قانـون (مـن أيـن لـك هـذا).
وجرمـت المـادة (465) مـن قانـون العقوبـات فعـل اختـلاس نقـود وأمـوال منقولـة في القطـاع الخـاص دون سـائر الممتلـكات .
رابعا: أعاقة العدالة المادة (25) من اتفاقية الفساد:
جـرم المـشرع في المـادة (269) مـن قانـون العقوبـات فعـل تقديـم عطيـة نقديـة أو أي منفعـة أخـرى أو وعـدًا بهـا إلى شـاهد أو خبـير أو مترجـم لحملـه عـلى شـهادة زور أو الإدلاء بـرأي غـير صحيـح أو القيـام بترجمـة كاذبـة في حالـة عـدم قبـول العطيـة أو المنفعـة أو الوعـد ويطبـق الحكـم نفسـه إذا قبلـت العطيـة أو الوعـد مـن دون حصـول الكـذب أو الـزور.
ولـم يجـرم المـشرع الليبـي الوعـد بمزيـة غـير مسـتحقة أو عرضهـا أو منحهـا للتحريـض عـلى الإدلاء بشـهادة زور أو للتدخـل في الإدلاء بالشـهادة في حالـة القبـول وحصـول الكـذب أو الـزور. كمـا لـم يجـرم اسـتخدام القـوة البدنيـة أو التهديـد أو الترهيـب أو الوعـد بمزيـة غـير مسـتحقة أوعرضهـا أو منحهـا للتدخـل في تقديـم أدلـة في إجـراءات تتعلـق بارتـكاب أفعـال مجرمـة وفقًـا للاتفاقيـة.
كمـا جـرم المـشرع اسـتخدام القـوة البدنيـة أو التهديـد أو الترهيـب ضـد موظـف حكومـي وذلـك في قانـون العقوبـات المـواد مـن (245) إلى (248)، والمـادة الثالثـة مـن قانـون (مـن ايـن لـك هـذا)، والتـي جرمـت قيـام شـخص باسـتغلال وظيفتـه أو مهنته أو مكانتـه أو تأثـيره في تخويـف الغـير أو التأثـير عليهـم أو إرغـام القائمـين عـلى تنفيـذ القوانـين عـلى القيـام بعمـل مخالـف لهـا أو إيهامهـم بأنـه لا يخضـع لأحكامهـا.
خامسا: مسؤولية الشخصيات الاعتبارية، المادة (26) من اتفاقية الفساد:
لـم تنـص التشريعـات الليبيـة عـلى المسـؤولية الجنائيـة للشـخصيات الاعتباريـة فيمـا يتعلـق بالجرائـم المنصـوص عليهـا في الاتفاقيـة سـوى بالنسـبة لجريمـة غسـل الأمـوال (المـادة (48) مـن قانـون مكافحـة غسـل الأمـوال وتمويـل الإرهـاب). ويمكـن البنـاء عـلى المـواد (53)، و(166)، و(177) مـن القانـون المدنـي لتقريـر مسـؤولية الشـخص الاعتبـاري المدنيـة إذا كان الفعـل الضـار قـد صـدر مـن التابـع في حالـة تأديـة وظيفتـه أو بسـببها.
كمـا أن المـشرع الليبـي قـد نـص عـلى المسـؤولية الإداريـة للشـخص الاعتبـاري في عـدة قوانـين. إلا أن هـذه المسـؤولية تبـدو محصـورة في حـالات مخالفـة القوانـين ذات الصلـة

مـن دون أن تمتـد لجرائـم الفسـاد وتعـارض المصالـح.
ولا تمـس مسـؤولية الشـخص الاعتباريـة، متـى مـا كانـت مقـررة، بالمسـؤولية الجنائيـة للشـخصيات الطبيعيـة التـي ارتكبـت الجرائـم (الفقـرة (4) مـن المـادة (49) مـن قانـون مكافحـة غسـل الأمـوال وتمويـل الإرهـاب).
وباسـتثناء العقوبـات الجنائيـة المنصـوص عليهـا بالنسـبة لجرائـم غسـل الأمـوال، لا تخضـع التشريعـات الليبيـة للشـخصيات الاعتباريـة لعقوبـات فعالـة ومتناسـبة ورادعـة عنـد المشـاركة في الأفعـال المجرمـة وفقًـا للاتفاقيـة.
سادسـا: الملاحقـة والمقاضـاة والجـزاءات، والتعـاون مـع سـلطات إنفـاذ القانـون، المادتـان (30) و(37) مـن اتفاقيـة مكافحـة الفسـاد:
اعتمـد المـشرع الليبـي عقوبـات عـلى الجرائـم المنصـوص عليهـا في الاتفاقيـة تـتروا بـين 24 سـاعة حبـس إلى السـجن المؤبـد، مـع مراعـاة مـدى خطـورة الجريمة باسـتثناء جرائـم الإثـراء غـير المـشروع المـادة (6) مـن قانـون التطهـير، والارتشـاء في القطـاع الخاص(المـادة (229) مكـررة (ب) مـن قانـون العقوبـات)، والاختـلاس في القطـاع الخـاص (المـادة (465) مـن قانـون العقوبـات). هـذا بالإضافـة للغرامـة والعـزل مـن الوظيفـة والمصـادرة بالنسـبة لعـدد مـن هـذه الجرائـم.
ويعتمـد المـشرع الليبـي مبـدأ شرعيـة الملاحقـة (المـادة الأولى مـن قانـون الإجـراءات الجنائيـة) ويمكـن تطبيـق الحبـس الاحتياطـي في جرائـم الفسـاد وتعـارض المصالـح. كمـا أن الإفـراج إلى حـين المحاكمـة يمكـن تعليلـه عـلى تقديـم ضمـان مـالي أو غـيره مـن الضمانـات. ويجـوز الإفـراج المـشروط عـن كل محكـوم عليـه بعقوبـة مقيـدة للحريـة إذا أمـضى في السـجن ثلاثـة أربـاع مـدة العقوبـة وبعـد أداء الالتزامـات الماليـة المحكـوم بهـا وذلـك مـا لـم يثبـت عجـزه عـن ذلـك (المـادة (450) من قانـون الإجـراءات الجنائيـة).
ويجـوز وقـف الموظـف عـن عملـه إذا قضـت المصلحـة العامـة أو مصلحـة التحقيـق ذلـك (المادتـان (31) و(32) مـن قانـون إنشـاء هيئـة الرقابـة الإداريـة) كمـا أن كل موظـف يحبـس احتياطيًـا أو تنفيـذًا لحكـم جنائـي يوقـف بقـوة القانـون عـن عملـه مـدة حبسـه (المـادة (158) مـن قانـون تنظيـم علاقـات العمـل) ويحـوي قانـون العقوبـات الليبـي الحرمـان مـن الحـق في تـولي الوظائـف العموميـة، مـن دون أن يشـمل صراحـة الحرمـان مـن الحـق في تـولي الوظائـف في المنشـآت المملوكـة مـن الدولـة.
ويجـوز توقيـع عقوبـات تأديبيـة بموجـب المـادة (155) مـن قانـون تنظيـم علاقـات العمـل وذلـك بالإضافـة إلى عقوبـات جزائيـة في قضايـا الفسـاد. وليـس لـدى الدولـة الليبيـة برامـج مخصصـة لمتابعـة الأشـخاص المدانـين بعـد إطـلاق سراحهـم بغيـة إعـادة إدماجهـم في مجتمعاتهـم (الرعايـة اللاحقـة)، غـير أن هـؤلاء الأشـخاص يشـاركون في عـدد مـن البرامـج التثقفيـة والتدريـب والتأهليـة خـلال فـترة سـجنهم. كمـا نـص قانـون الإجـراءات الجنائيـة عـلى رد الاعتبـار إلى المحكـوم عليـه بعـد انقضـاء

مدة الزمن من تاريخ انتهاء تنفيذ عقوبته المادة (491) إجراءات.
ولم تعتمد ليبيا تدابير لمنح مرتكبي الجرائم المتعاونين حصانة من الملاحقة القضائية، كما تقتصر الحالات التي يتم فيها تشجيع الأشخاص الذين يشاركون في ارتكاب أفعال الفساد للإبلاغ عنه من خلال إعفائهم من العقوبة على جرائم الرشوة وغسل الأموال والإعضاء أو التخفيف منها في حالة غسل الأموال، حيث يمكن للأشخاص الذين يتعاونو مع العدالة أن يستفيدوا من الإعفاء من العقاب إذا أبلغوا عن الجريمة قبل اتخاذ إجراء فيها (المادة (24) من قانون الجرائم الاقتصادية بالنسبة للراشي والوسيط فى جريمة الرشوة)، أو أن يستفيدوا من الإعفاء من العقاب أو التخفيف منه إذا أبلغوا عن الجريمة قبل علم السلطات (المادة (52) من قانون مكافحة غسل الأموال وتمويل والإرهاب). وفي حالات غسل الأموال، إذا حصل الإبلاغ بعد علم السلطان بالجريمة وأدى إلى حجز وسائل الجريمة ومتحصلاتها أو ضبط باقي الجناة، يجوز للمحكمة أن تقضي بوقف تنفيذ العقوبة (المادة (52) من قانون مكافحة غسل الأماول وتمويل الإرهاب).
ولم يتخذ المشرع الليبي أية تدابير لتوفير حماية فعالة لمرتكبي الجرائم المتعاونين مع العدالة.
ويمكن للدولة الليبية إبرام اتفاقات مخصصة لتوفير إمكانية إعفاء الأشخاص المتعاونين مع العدالة والموجودين في الخارج من العقوبة ضمن الضوابط القانونية المعمول بها.
سابعا : حماية الشهود والمبلغين، المادتان (32)، و(33) من اتفاقية مكافحة الفساد:
لم يتخذ المشرع الليبي أية تدابير لتوفير حامية فعالة للشهود والخبراء الذين يدلون بشهادة تتعلق بأفعال مجرمة وفقًا للاتفاقية، ولا يسمح المشرع بالأدلاء بالشهادة باستخدام تكنولوجيا الاتصالات، كما لا يتيح التشريع الليبي إماكنية عرض آراء الضحايا وشواغلهم وأخذها بعين الاعتبار في المراحل المناسبة من الإجراءات الجنائية المتخذة ضد الجناة، ولا تنص التشريعات الليبية على حماية قانونية للمبلغين.
ثامنا : التجميد والحجز والمصادرة، السرية المصرفية، المادتان (31)، و(40) من اتفاقية مكافحة الفساد:
نصت المادتان (163) و(164) من قانون العقوبات والمادة (59) من قانون مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب على إمكانية مصادرة الأشياء التي تحصلت من الجريمة أو التي استخدمت أو كانت معدة للاستخدام في ارتكابها. ويمكن أن تكون المصادرة غير مستندة إلى إدانة.
وينص قانون الإجراءات الجنائية في المواد من (11) إلى (84)، وقانون مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب في المواد من (53) إلى (57)، وقانون إنشاء الهيئة

الوطنية لمكافحة الفساد في المادتين (4) و(5) على مجموعة واسعة من تدابير التحقيق المتاحة للتعرف على عائدات الجريمة وأدواتها وتتبعها وتجميدها لغرض مصادرتها، وفقًا للاتفاقية.

ولدى الدولة الليبية بعض الإجراءات والنصوص التشريعية المتعلة بإدارة الأشياء المضبوطة حيث نصت المادة (92) من قانون الإجراءات الجنائية على جواز بيع الشئ المضبوط مما يتلف بمرور الزمن أو يستلزم حفظه نفقات تستغرق قيمته. كما نصت المادة (58) من قانون مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب على إنشاء بموجب قرار من النائب العام مكتب إدارة الأموال المحجوزة والمصادرة، يتبعه مباشرة ويتولى مهام إدراة الأموال المحجوزة والمصادرة، وجمع كل البيانات المتعلقة بتلك الأموال وحفظها والإجراءات المتخذة بشأنها، إلا أن هذا المكتب لم يتم إنشاؤه بعد.

ونصت المادة السادسة من قانون إنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد على إماكنية أن تطلب من أي شخص يشتبه في حصوله على أموال غير مشروعة أن يبين المصدر المشروع لأمواله.

ولا تشكل السرية المصرفية عائقًا أمام القيام بالتحقيقات الجنائية الفعالة (المادتان (61) و(94) من قانون المصارف).

تاسعا: الولاية القضائية المادة (42) من اتفاقية مكافحة الفساد:

تخضع ليبيا لولايتها القضائية في الحالات المشار إليها في المادة (42)، باستثناء جرائم الفساد التي ترتكب ضد مواطنيها.

عاشرًا: السلطات المتخصصة والتنسيق فيما بين الهيئات المواد (36)، و(38)، و(39):

أنشأت ليبيا هيئة متخصصة بمكافحة ومنع الفساد وتعارض المصالح بموجب القانون رقم (11) لسنة 2014م بإنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد. بالإضافة إلى ذلك، توجد عدة جهات حكومية تعنى بجوانب مكافحة الفساد وتعارض المصالح كل في مثال اختصاصه، ومن بين تلك الجهات: مكتب النائب العام وهيئة الرقابة الإدارية وديوان المحاسبة ووحدة المعلومات المالية الليبية. وقد نصت التشريعات على استقلالية هذه الأجهزة. كما تنظر ليبيا في إنشاء دائرة (محكمة) ونيابة متخصصة لمكافحة الفساد، ولم تقدم الدولة الليبية معلومات كافية تسمح بالتأكد من أن الهيكل المكون من مختلف أجهزة إنفاذ القانون ومؤسسات العدالة يعمل بفعالية ومن أن هذه السلطات مزودة بقدر وافٍ من التدريب والموارد وتتمتع علميًا بما يلزم من الاستقلالية، وفقًا للاتفاقية.

وفيما يتعلق بالتعاون بين السلطات الوطنية، توجب المادة (258) من قانون العقوبات، والمادة (16) من قانون الإجراءات الجنائية على كل من علم من الموظفين العموميين أو المكلفين بخدمة عامة في أثناء مباشرة عمله أو بسبب

تأديته بوقوع جريمة أن يبلغ عنها. كما توجب المادة (24) من قانون إنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد على كل من لديه معلومات جدية أو وثائق بشأن جريمة فساد أن يقدم بلاغًا عنها إلى الهيئة (دون النص على عقوبة في حالة عدم الإبلاغ). وهذه المادة هي نص عام ينطبق أيضًا على الموظفين العموميين. وأعطت المادة الخامسة من القانون نفسه الهيئة صلاحية الحصول على المعلومات من الدوائر الرسمية وغير الرسمية. كما تنص المادة (51) من قانون إنشاء هيئة الرقابة الإدارية على الجهات الخاصعة لرقابة الهيئة إبلاغها عن المخالفات التي تقع بها وذلك عقب اكتشافها. وألزمت المادة (52) من القانون نفسه هذه الجهات بدراسة الملاحظات والاستفسارات التي توجه إليها والرد عليها في الوقت المحدد، وتوجب المادة (12) من قانون مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب على الجهات الرقابية إبلاغ وحدة المعلومات المالية فورًا بأي معلومات تتعلق بعمليات مشبوهة أو بغسل الأموال.

وعلى الرغم من أن القوانين المختلفة في الدولة الليبية تنص على إمكانية وجود تعاون وتنسيق وثيق بين مختلف السلطات الوطنية المختصة، إلا أنه كان من الواضح للمستعرضين أن هذا التعاون يعوقه العديد من العوامل وفي المقام الأول الوضع الحالي في البلاد.كما ألزم قانون مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب عددًا من كيانات القطاع الخاص، بما فيها المصارف وشركات الصرافة وشركات التأمين والمحامين والمحاسبين، بإبلاغ وحدة المعلومات المالية عن أية عملية مشبوهة، بالإضافة إلى تقديم المعلومات والبيانات والمستندات التي تطلبها الوحدة أو النائب العام.

وتتضمن المادة (15) من قانون الإجراءات الجنائية التزام أدبي على الأشخاص ممن علموا بوقوع جريمة المبادرة بالإبلاغ، دون النص على عقوبة في حالة عدم الإبلاغ. وتتضمن المادة (24) من قانون إنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد التزامًا أدبيًا مشابهًا بالنسبة للإبلاغ عن جرائم الفساد. ولا تقتصر هاتان المادتان على الموظفين العموميين، بل تنطبق على الجمهور بوجه عام.

في ضوء ما سبق يتبين لنا أن المشرع الليبي وضع العديد من الضوابط والقيود للوقاية من تعارض المصالح، كما يتبين من استقراء النصوص القانونية المنظمة للوظيفة العامة والمجال السياسي والأنشطة الاقتصادية والمالية والمصرفية، ومؤسسات حماية الحقوق والحريات العامة، ويظهر من التحليل أن هذه الترسانة من النصوص القانونية الواسعة لم تحقق أهدافها .

المسألة الثانية: غياب العديد من النقاط القانونية عن تعارض المصالح في التشريعات الليبية:

أبان تقييم المقتضيات القانونية سالفة الذكر يتبين لنا أن هناك العديد من النقاط القانونية عن تعارض المصالح في التشريعات الليبية يمكن إجمالها على

النحو الآتـــي[64]:

(1) غيـاب تعريـف قانونـي لتعـارض المصالـح نتـج عنـه صعوبـة في تكييفـه القانونـي وتمييـزه بشـكل أدق عـن الحـالات التـي تدخـل في حكمـه كالجمـع بـين المناصـب، والمنـع مـن مزاولـة أنشـطة موازيـة مـدرة للدخـل، تتنـافى مـع الوظيفـة أوالمهمـة أوالمهنـة الحـرة.

(2) غيـاب نـص تشريعـي عـام ينظـم جرائـم تعـارض المصالـح والاكتفـاء بنصـوص قانونيـة متفرقـة وقـاصرة عـن اسـتيعاب مختلـف مظاهـر تعـارض المصالـح وتجريمهـا، كمـا هـو الشـأن بالنسـبة لجنايـة تحصيـل المنافـع غـير القانونيـة.

(3) غيـاب آليـات قانونيـة تلـزم بالتصريـح الإجبـاري للمصالـح الشـخصية أو الماديـة المرتبطـة بممارسـة الوظيفـة أو النشـاط أو المهنـة، وحـصر الأشـخاص الملزمـين بهذا التصريـح، والجهـات المختصـة بتلقيـه ومعالجـة وضعيـات التعـارض، وبالتشريعـات القانونيـة الواجـب اتباعهـا لإيـداع التصريـح بالتعـارض؛ والآليـات القانونيـة والإجرائيـة الخاصـة بتقديـم الشـكايات والتبليـغ عـن حـالات تعـارض المصالـح.

(4) التأثـير السـلبي لتعـدد الأنظمـة الأساسـية المنظمـة للوظيفـة في القطـاع العـام عـلى توحيـد المقتضيـات القانونيـة المنظمـة لتعـارض المصالح.

(5) غيـاب آليـات قانونيـة تمنـع تعـارض المصالـح في القوانـين المنظمـة للمعاهـد والجامعـات والمـدارس والمراكـز الاستشـفائية، ومباريـات الولـوج إلى الوظيفـة العامة، ومنـح الأهليـة لمزاولـة الأعمـال الحـرة ومراقبـة أنشـطتها مـن طـرف السـلطات المختصـة.

(6) غيـاب آليـات قانونيـة تمنـع تعـارض المصالـح في تدبيرالشـؤون السياسـية والنقابية والتعاونيـة، بمـا فيهـا التزكيـات للترشـح في الانتخابات.

(7) غيـاب اعتمـاد شروط خاصـة في عقـود العمـل يتعهـد فيها الموظـف المغـادر لوظيفته بالحفـاظ عـلى سريـة المعلومـات التـي اطلـع عليهـا بحكـم وظيفتـه مـع تعرضـه للمسـاءلة القانونيـة في حالـة الإخـلال بهـذا الـشرط.

(8) اتسـاع مجـال السـلطة التقديريـة واعتمادهـا عـلى القناعـات الشـخصية يفـضي إلى تفـشي حـالات تعـارض المصالـح في ممارسـات المسـؤولية في غيـاب الآليـات القانونيـة لضبـط حـدود الصلاحيـات بـكل تجـرد واسـتقلالية.

(9) الفعاليـة المحـدودة لهيئـات التفتيـش والمراقبـة والتدقيـق بالقطاعـين العـام والخـاص لمراقبـة ورصـد وحـصر مظاهـر الجمـع بـين الوظائـف والأنشـطة الحـرة وتعـارض المصالـح التـي تفرزهـا الممارسـة والعمـل عـلى تطويقهـا وإنـزال العقوبات الملائمـة لهـا، الأمـر الـذى يفـضي إلى عـدم تفعيـل المقتضيـات القانونيـة المحـددة لمختلـف حـالات تعـارض المصالـح.

(64) تقرير الهيئة المركزية للوقاية من الرشوة، أرضية أولية لمعالجة تضارب المصالح، ديسمبر عام 2012م، ص (12 /13).

(10) إغفال البرامج الحكومية ذات الصلة بالنزاهة ومكافحة الفساد لمختلف مظاهر تعارض المصالح.
(11) ضعف التوعية بمخاطر تعارض المصالح وانعكاساته على التدبير الرشيد للشأن العام، وغياب برامج التكوين المستمر لتفعيل وتدعيم أخلاقيات ممارسة الوظيفة أو النشاط أو المهنة.
(12) عدم نشر تقارير المفتشيات العامة للوزارات والقرارات التأديبية والأحكام القضائية المعاقبة على تعارض المصالح.
(13) غياب دراسات وإحصاءات رسمية حول تعارض المصالح.
(14) غياب معايير قانونية للتميز بين حدود المعالجة التأديبية والمعالجة الجنائية لتعارض المصالح.
(15) غياب مدونات قواعد السلوك والأخلاقيات المهنية، أو مساءلة تأديبية أو جنائية منصوص عليها في هذه المدونات، فضلًا عن عدم وجود تعميمها على جميع القطاعات الحكومية ومجالات القطاع الخاص، ومختلف المهنة الحرة.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولًا: النتائج:

(1) إن ظاهرة الفساد وتعارض المصالح ليست مشكلة في حد ذاتها، بل هي سلوك يولد وينشأ في ظل بيئة سمحت له وبكل أشكاله وصوره في التفشي، وهذه البيئة لها عواملها الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.
(2) يعد الفساد وتعارض المصالح ظاهرة بالغة الخطورة نظرًا لطبيعتها وآثارها الاجتماعية والاقتصادية فضلًا عن منافاتها للأخلاق وهو عبارة عن استخدام السلطة العامة من أجل الكسب أو الربح الشخص، أو من أجل تحقيق هيبة أو مكانة اجتماعية، أو من أجل تحقيق منفعة لجماعة ما بالطريقة التي يترتب عليها خرق القانون، أو مخالفة التشريع ومعايير السلوك الأخلاقي وبذلك يتضمن انتهاكًا للواجب العام وانحرافًا عن المعايير الأخلاقية في التعامل، ومن ثم يعد هذا السلوك غير مشروع من ناحية، وغير قانوني من ناحية أخرى.
(3) إن قضية مكافحة الفساد وتعارض المصالح بكل صوره وأنواعه في أجهزة الدول ازدادت أهمية في السنوات الأخيرة، ولجأت الدول إلى سن التشريعات التي تساعد في مكافحة جرائم الفساد وتعارض المصالح بعد إبرام اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد في عام 2003م، وانضمام الكثير من الدول إليها والتصديق عليها.
(4) صعوبة إثبات جرائم تعارض المصالح لما يميزها عن الجرائم الأخرى من

خصوصية فعبء الإثبات يقع على النيابة العامة ما يجعل القاضي الجنائي يلجأ إلى القواعد العامة في المواد الجنائية، أي يقوم على اقتناع القاضي بما يعرض عليه من وقائع، ذلك أن القصد الجنائي ووقت قيامه مسألة داخلية تتعلق بالنفوس ويستدل عليها من مظاهر خارجية، فلا يقوم عليها دليل مباشر إلا في صور نادرة كحالة الاعتراف مثلًا.

(5) إن علمية مكافحة جرائم الفساد وتعارض المصالح والوقاية منها عملية معقدة نظرًا لخصوصية هذا النوع من الجرائم التي ترتكب في دواليب الدولة، ومن قبل شخص نوعي وهو الموظف الذي يسعى إلى محو آثار جرائم تعارض المصالح والقضاء على أدلتها، وإذا فهمنا الأمر من هذه الزاوية نكون قد أدركنا بأن التصدي لهذه الظاهرة الخطيرة يستدعي تكاتف جهود المجتمع وإشراك الكل في ذلك بدءًا بالإدارة والقضاء وانتهاء بالمجتمع المدني والمواطن.

ثانيًا: التوصيات:

(1) أوصي بسن قانون خاص بحالات تعارض المصالح يحدد مبادئ ومعايير للتصدى لهذه الوضعية، وكيفية التعامل معها تحت مسمى (قانون تعارض المصالح)، ويجب أن يشمل مجموعة من الأحكام التي تبين الإطار القانوني والتنظيمي لحالات تعارض المصالح، وكذلك مجموعة من العقوبات تندرج لتتناسب مع حجم مخافة القانون.

(2) التحديد الدقيق لمفهوم تعارض المصالح، بما يوضح تكييفه القانوني وتمييزه عن كل الحالات المشابهة.

(3) تطبيق آليات قانونية تمنع تعارض المصالح فى تدبير الشؤون السياسية والنقابية والتعاونية، وفي منح التزكيات للترشح في الانتخابات التشريعية والمحلية .

(4) إنشاء مفوضية عليا خاصة بمنع تعارض المصالح وتحديد مجال أخلاقيات الموظف العمومي، وتكون تابعة للهيئة الوطنية لمكافحة الفساد.

(5) العمل على توحيد الأنظمة الأساسية والخصوصية والخاصة المنظمة للوظيفة العامة في شكل نظام أساسي يشمل مختلف وظائف القطاع العام، ويتضمن مقتضيات وقائية لمنع كل الممارسات المؤدية إلى تعارض المصالح.

(6) اعتماد مقتضيات لمنع وتنظيم تعارض المصالح في القوانين المنظمة للمعاهد والجامعات والمدارس والمراكز الاستشفائية، أو مناصب القطاع الخاص، أو الحصول على ترخيص أو الأهلية لمزاولة مهنة حرة، او البت في وضعيات الترقية ومراقبة أنشطة المهنيين من طرف السلطات المختصة.

(7) إدراج تعارض المصالح فى البرامج الحكومية والسياسات العمومية ذات الصلة بالنزاهة ومكافحة الفساد، بما يشمل الوقاية والمحاربة، فضلًا عن التوعية بمخاطر التعارض فى المصالح، وتبنى برامج للتكوين المستمر لفعيل وتدعيم أخلاقيات ممارسة الوظيفة أو النشاط أو ا لمهنة.

فهرس المراجع:

أولًا: المراجع العربية:

(1) أحمد عبد الحميد السيد، حماية الأموال العامة فى الشريعة الإسلامية والقانون الجنائى، دار الفكر الجامعى، الإسكندرية، سنة (2014م).

(2) أحمد فتحى سرور، الوسيط فى قانون العقوبات (القسم الخاص)، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة (1991م).

(3) إسماعيل الخلفى، شرح قانون الكسب غير المشروع، مكتبة كوميث، القاهرة، سنة (1997م).

(4) أنور محمد صدقى، جريمة الإثراء غير المشروع (دراسة مقارنة)، مجلة كلية الحقانون الكويتية العالمية، السنة السادسة، العدد الثالث، العدد التسلسلى (23)، سبتمبر 2018م.

(5) جلال ثروت، نظم القسم الخاص فى قانون العقوبات، مطابع السعدنى، الإسكندرية، سنة (2006م).

(6) حسن المرصفاوى، قانون العقوبات الخاص، منشأة المعارف، الإسكندرية، سنة (1978م).

(7) حسن صادق المرصفاوى، قانون الكسب غير المشروع، منشأة المعارف، الإسكندرية، سنة (1983م).

(8) رشا توفيق عمارنة، جريمة الكسب غير المشروع فى النظام الجزائى الفلسطينى ومدى انسجامها مع الاتفاقية الأممية لمكافحة الفساد (دراسة تحليلية مقارنة)، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والإدارة، جامعة بيروت، سنة (2019م).

(9) سعد بو على، دنيا رشيد، شرح قانون العقوبات "القسم العام"، بدون طبعة، الجزائر، دار البيضاء، سنة (2016م).

(10) صبرى الحمادى، موسوعة الفقه والقضاء فى جرائم الأموال العامة، بدون دار نشر، الطبعة الأولى، سنة (2012م).

(11) عبد الفتاح خضر، الجريمة أحكامها العامة في الاتجاهات المعاصرة والفقه المعاصر والفقه الإسلامى، معهد الإدارة العامة، الرياض، سنة (1405هـ)،.

(12) عبد القادر عودة، التشريع الجنائى الإسلامى مقارنًا بالقانون الوضعى، دار الفكر العربى، القاهرة، سنة (1986م)

(13) عبد اللطيف ربايعة، جريمة الكسب غير المشورع فى النظام الجزائى الفلسطينى (دراسة تأصيلية مقارنة)، رسالة دكتوراه، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، سنة (2014م).

(14) عبد الله الشاذلى، شرح قانون العقوبات (القسم الخاص)، الجرائم المضرة بالمصحلة العامة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، سنة (1999م).

(15) عبد المجيد محمود، المواجهة الجنائية للفساد فى ضوء الاتفاقيات الدولية والتشريع المصرى، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، القاهرة، سنة (2011م).
(16) عوض محمد عوض، الجرائم المضرة بالمصلحة العامة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، سنة (1985م).
(17) فؤاد جمال عبد القادر، موسوعة القضاء والفقه للدول العربية، القسم الأول: الكسب غير المشروع، الدار العربية للموسوعات، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة (1987م).
(18) فوزية عبد الستار، شرح قانون العقوبات (القسم الخاص)، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة (2000م).
محمد زكى أبو عامر، قانون العقوبات (القسم الخاص)، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، الطبعة الخامسة، سنة (2005م).
(19) محمد زكى أبو عامر، قانون العقوبات (القسم الخاص)، مطابع جريدة السفير،الإسكندرية، سنة (1987م).
(20) محمد زكى أبو عامر، قانون العقوبات (القسم العام)، بدون دار نشر، سنة (1986م).
(21) محمد عبد الحميد مكى، جريمة الاتجار بالنفوذ، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة (2009م).
(22) محمد كمال عبد العزيز، قانون الكسب غير المشروع أصوله النظرية وتطبيقاته العملية ، عالم الكتب، القاهرة، سنة (1968م).
(23) محمد محيى الدين عوض، ، ص115؛ د. فتوح عبد الله الشاذلى، جرائم التعزير المنظمة فى المملكة العربية السعودية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الثانية، سنة (2013م).
(24) محمد محيي الدين عوض، القانون الجنائى (جرائمه الخاصة)، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى، القاهرة، سنة (1976/ 1977م).
(25) محمد نعيم فرحات، الأحكام التعزيرية لجرائم التعزير والرشوة فى المملكة العربية السعودية، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة (1994م).
(26) محمد الوكيلى، مشيل الزرازى، تنازع المصالح، ترانسبرانسى، الرباط، المغرب، بدون تاريخ.
(27) محمود نجيب حسنى، شرح قانون العقوبات (القسم الخاص)، الجرائم المضرة بالمصلحة العامة، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة (1982م).
(28) محمود نجيب حسنى، شرح قانون العقوبات (القسم الخاص)، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الخامسة، سنة (2017م).

(29) محمود نصر، الوسيط فى جرائم المضرة بالمصلحة العامة، منشأة المعارف، الإسكندرية، سنة (2004م).

ثانيًا: القوانين والقرارات والاتفاقيات:

(1) اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، قرار الجمعية العامة (58 /4) المؤرخ 31 اكتوبر 2003م، الأمم المتحدة، نيويورك، المكتب المعنى بالمخدرات والجريمة، سنة (2004م).

(2) بوغازى سماعين، جريمة تعارض المصالح فى مجال الصفقات العمومية (دراسة مقارنة)، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، الجيزة، الطبعة الأولى، سنة (2017م).

(3) تقرير استعراض تنفيذ اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، مؤتمر الدول الأطراف فى اتفقاية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، فيينا 12 إلى 14 نوفمبر عام 2018م، الدورة التاسعة المستأنفة الثانية، الأمم المتحدة (CAC/COSP/IRG/2018/1/Add.2).

(4) تقرير الهيئة المركزية للوقاية من الرشوة، أرضية أولية لمعالجة تضارب المصالح، ديسمبر عام 2012م.

(5) الجريدة الرسمية، قرار بقانون رقم (106) لسنة 2013م فى شأن حظر تعارض مصالح المسؤولين فى الدول، العدد (45) مكرر (أ) فى 13 نوفمبر سنة 2013م.

(6) القانون الإيطالى رقم (356) لسنة 1992م والمعدل بالقانون رقم (501) لسنة 1992م بشأن مصادرة الأصول غير المشروعة.

(7) قانون رقم (6 /1) المؤرخ فى 21 محرم 1427هـ الموافق 20 فبراير 2006م المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته، الجريدة الرسمية، العدد رقم (14)، سنة (2006م).

(8) نظام مكافحة الرشوة الصادر بموجب المرسوم الملكى رقم (م/36) وتاريخ 29/12/1412هـ .

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

(1)Annexes, no 323, P.290; Dandine, (B): De la rèpression du traffic d'indluenairce en droit positif français actule, Thèse paris, 1979.

(2) Ancel et Yvonne Maex, les code pènaux Europèens (code penal otaien), tome 11 (1957).3)Edicté par l'article 2 du chapitre 9 des lois du Canada (2006).)

(4)Garraud,(R): Traitè thèorque et pratique de droit penal fançais, 3ème èd Garraud Sepcè. Tome iv, 1935.

(5)Delahaye, (P): Recherchw de la notion du traffic d'influence, Rev. de droit penal et de criminologiques, 1946.

(6)Giuliano Turone, "Legal Frameworks and Investigative Tools for Combating Organized Transnational Crime in the Italian Experience", Resource Material Series No. 73, Tokyo, Japan: UNAFEI, December 2007. http://www.unafei.or.jp/english/pdf/RS_No73/No73_10VE_Turone. (7)Policy and Research Department, Transparecy International, Perception Indexl S Corruption Barometerm 2005.

(8)Rapport de la commission de réflexion pour la prévention des conflits d'intérêts dans la vie publique, Remis au président de la république le 26 janvier 2011, du site internet, www.conflits – interets.

(9)Yves Mayaud, code pènal, nouveau code pênal, èdition, 2000.

التفكير الإيجابي وعلاقته بدافعية الإنجاز لدى عينة من طلبة جامعة طبرق

إعداد:
د. فاطمة حسين عبدالخالق المبروك / أستاذ مساعد
كلية أصول الدين / جامعة محمد بن على السنوسي الإسلامية

أ. هنية بالقاسم عيسي الظافري / محاضر
كلية أصول الدين/ جامعة محمد بن على السنوسي الإسلامية

أ. رحاب سعد منيسي صالح / محاضر / كلية الآداب/ جامعة طبرق

الاستلام 12 /12/ 2020 القبول 25/ 1/ 2021

المستخلص :
تهدف الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين مستوى التفكير الايجابي والدافعية للإنجاز لدى طلبة الآداب والموارد جامعة طبرق، حيث بلغ عدد مجتمع الدراسة (328) طالب وطالبة منهم (102) تخصص علمي و(226)، وتم تطبيق المقياس على عينة بلغت (100)، وقد بلغ عدد الذكور (67)، وعدد الإناث (33) و تم اختيار العينة بطريقة عشوائية من كليتي(كلية الآداب- وكلية الموارد)، وتم تطبيق مقياس التفكير الايجابي إعداد (حسين: 2018) ومقياس الدافعية للإنجاز (الدافعية: 1990). وقد تمّ التحقق من صدق أداة الدراسة صدق الاتساق، حيث اتضح أن أدوات الدراسة تتمتع بمعاملات صدق عالية، كما تتمتع ادوات الدراسة بمعاملات الثبات مرتفعة، كما تمّ استخدام بعض المعالجات الإحصائية باستخدام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS، وهي المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية معامل الارتباط سيبرمان (بروان) ومعامل ارتباط بيرسون واختبار T-Test. وقد أسفرت نتائج الدراسة عن النقاط التالية:
- إن أفراد العينة لديهم مستوى مرتفع من التفكير الايجابي حيث بلغ مستوى التفكير الإيجابي(83 %).
- إن أفراد العينة لديهم مستوى مرتفع من الدافعية للإنجاز، حيث بلغ مستوى الدافعية (88 %).
- توجد علاقة ذات دلاله إحصائية بين مستوى التفكير الإيجابي ومستوى

الدافعيــة للإنجــاز حيــث بلــغ معامــل ارتبــاط ســيبرمان (0.74) كمــا بلــغ معامــل بيرســـون (0.77).
- توجــد فــروق ذات دلالــة إحصائيــة بــين أفــراد العينــة وفقــا للنــوع عــلى مقيــاس التفكــير الإيجابــي.
- لا توجــد فــروق ذات دلالــة إحصائيــة بــين أفــراد العينــة وفقــا للنــوع عــلى مقيــاس الدافعيــة للإنجــاز.
- توجــد فــروق ذات دلالــة إحصائيــة بــين أفــراد العينــة وفقــا للتخصــص عــلى مقيــاس قلــق التفكــير الإيجابــي
- توجــد فــروق ذات دلالــة إحصائيــة بــين أفــراد العينــة وفقــا للتخصــص عــلى مقيــاس الدافعيــة للإنجــاز.

الكلمات المفتاحية:
- التفكير الإيجابي، دافعية الإنجاز.

Abstract

The study aims to reveal the relationship between the level of positive thinking and the motivation for achievement among students of arts and resources at Tobruk University, where the number of the study population reached (328) students, including (102) scientific specializations and (226), and the scale was applied to a sample of (100), The number of males was (67), the number of females was (33), and the sample was randomly selected from the two colleges (College of Arts – and College of Resources), and the positive thinking scale was applied (Hussein: 2018) and the measure of motivation for achievement (motivation: 1990). The validity of the study tool has been verified for consistency, as it became clear that the study tools have high validity coefficients, and the study tools have high stability coefficients, and some statistical treatments were used using the SPSS statistical package, which are the arithmetic averages and the standard deviations of the Cyberman correlation coefficient (Brown), Pearson Correlation Coefficient, and T-Test. The results of the study resulted in the following points:

– The sample members have a high level of positive thinking, where the level of positive thinking is (83%).

– The sample members have a high level of motivation for achievement, where the level of motivation reached (88%).

– There is a statistically significant relationship between the level of positive thinking and the level of motivation for achievement, where the Seberman correlation coefficient was (0.74) and Pearson's coefficient was (0.77).

– There are statistically significant differences between the sample members according to gender on the Positive Thinking Scale.

– There are no statistically significant differences between the sample members according to gender on the motivation to achieve scale.

– There are statistically significant differences between the sample members according to specialization on the positive thinking anxiety scale

– There are statistically significant differences between the sample members according to specialization on the motivation to achieve scale.

key words:

Positive thinking, achievement motivation.

تمهيد:

إن المرحلة الجامعية تعتبر مرحلة انتقالية بين مرحلتي المراهقة والرشد فهي المرحلة التي تتبلور فيها سمات الشخصية للطلبة، حيث تشتمل الشخصية على مجموعة من العوامل والأبعاد المتداخلة والمتشابكة والتي يمكن تعليمها وترسيخها للطلبة داخل الجامعة، كما يمكن التنبؤ بها من خلال التفكير الإيجابي لدى الطلبة، ولهذا يعد الاهتمام بدافعية للإنجاز لدى طلبة الجامعة من أهم الأهداف التربوية، بغية خلق الكوادر البشرية المدربة القادرة على العمل في كافة المجالات المختلفة، فجاءت هذا الدراسة لتبحث في التفكير الإيجابي وعلاقته بدافعية الإنجاز لدى طلبة جامعة طبرق، بناء على ما سبق فإن مشكلة الدراسة تتحدد في التساؤلات التالية:

1 – ما مستوى التفكير الإيجابي لدى عينة من طلاب جامعة طبرق خلال العام الجامعي (2019/ 2020) ؟

2 – ما مستوى دافعية الإنجاز لدى عينة من طلاب جامعة طبرق خلال العام الجامعي (2019 /2020)؟

3 – هل هناك فروقا ذات دلالة إحصائية في التفكير الإيجابي لدى عينة من طلبة جامعة طبرق بكلية الآداب وكلية الموارد الطبيعية حسب المتغيرات الآتية: النوع (ذكور- إناث)، التخصص (علمي - أدبي)؟

4 – هل هناك فروقا ذات دلالة إحصائية في مستوى دافعية الإنجاز لدى عينة من طلبة جامعة طبرق بكلية الآداب وكلية الموارد الطبيعية حسب المتغيرات الآتية: النوع (ذكور- إناث)، التخصص (علمي - أدبي)؟

5 – ما طبيعة العلاقة بين التفكير الإيجابي والدافعية الإنجاز؟

أهمية الدراسة:

تنبثق أهمية الدراسة الحالية من أهمية التفكير الإيجابي ذاتهُ، والشباب الجامعي حيث تعد هذه الفئة مهمة جدا لكونها فئة يعول عليها المجتمع، ولأن معرفة أساليب وأنماط التفكير لدى الطلبة يؤدي إلي معرفة الأجيال التي سوف تتحمل مسؤولية بناء مستقبل المجتمع، ومن هنا تتضح أهمية الجامعات في إعداد الأجيال القادرة على البحث والتقصي والابتكار وعلى ممارسة التفكير الناجح والفعال، وكذلك تساهم في رفع مستوى الفعالية لديهم ، وكما أيضا يمكن أن تفيد نتائج هذه الدراسة المرشدين والأخصائيين النفسيين والعاملين في مجال الإرشاد النفسي والتربوي في جميع المؤسسات النفسية والتربوية والقائمين على عملية التعليم بصفة عامة ،كما يستفاد منها في بناء برامج إرشادية ومناهج تعليمية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على ما يأتي:

- مستوى التفكير الإيجابي لدى عينة الدراسة من طلبة جامعة طبرق بكلية الآداب وكلية الموارد الطبيعة.
- مستوى الدافعية للإنجاز لدى عينة الدراسة من طلبة جامعة طبرق بكلية الآداب وكلية الموارد الطبيعية.
- الفروق بين ذكور والإناث في مستوى التفكير لدى عينة الدراسة من طلبة جامعة طبرق بكلية الآداب والموارد الطبيعية.
- الفروق بين طلاب التخصص العلمي (كلية الموارد) وطلاب التخصص الأدبي (كلية الآداب) المشمولين في عينة الدراسة في مستوى التفكير الايجابي
- الفروق بين ذكور والإناث في مستوى دافعية الإنجاز لدى عينة الدراسة من طلبة جامعة طبرق بكلية الآداب والموارد الطبيعية.
- الفروق بين طلاب التخصص العلمي (كلية الموارد) وطلاب التخصص الأدبي (كلية الآداب) المشمولين في عينة الدراسة في مستوى دافعية الإنجاز.
- الكشف عن طبيعة العلاقة بين التفكير الايجابي ودافعية الإنجاز للطلاب المشمولين في عينة الدراسة.

حدود الدراسة :

تقتصر الدراسة ونتائجها على العينة المستخدمة فيها، والمكونة من الطلبة الليبيين المسجلين بالسنة الرابعة بكلية الآداب وكلية الموارد بجامعة طبرق ذكوراً وإناثاً خلال العام الجامعي (2019/ 2020) بمدينة طبرق.

مصطلحات الإجرائية للدراسة :

- التفكير الإيجابي: وهو مجموع الدرجات التي يحصل عليها الطالب خلال إجابته على فقرات مقياس [1] .
- الدافعية للإنجاز: هي الدرجة التي يحصل عليها الطالب، حيث تشير الدرجة المرتفعة على ارتفاع درجة الإنجاز، بينما الدرجة المنخفضة تدل على انخفاض دافعية الإنجاز [2] .
- متغير النوع: وله فئتان (ذكور- إناث).
- متغير التخصص: وله فئتان (علمي- أدبي).

- الإطار النظري للدراسة:

أولا: التفكير الإيجابي:

يعد التفكير عاملاً من العوامل الأساسية في حياة الإنسان، فهو الذي ساعد على تطور الحياة وتقدمها، كما ساعد على حل الكثير من المشاكل وتجنب الكثير

(1) ناصر حسين، (2018)، محددات التفكير الإيجابي والسلبي وعلاقتها بسمتي الشخصية المتفائلة والمتشائمة، كلية التربية الأساسية، جامعة المثنى، مجلة ادروك العلوم الإنسانية، العدد الأول، المجلد الحادي عشر.

(2) على حمدالله مجيد، (1990)، مستوى دافع الإنجاز الدراسي لطالبات كليات التربية بالجامعات العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة صلاح الدين.

من المخاطر ؛ و به يستطيع الإنسان أن يسيطر ويتحكم في أمور كثيرة وتسييرها لصالحة، فالتفكير عملية عقيلة راقية تبني وتؤسس على محصلة العمليات النفسية الأخرى [3] .

وتشير سعيدة [4] ، إلي التفكير الإيجابي على أن التوجه نحو حل المشكلة يعتبر عنصرا أساسيا في التعليم فهو بداية التفكير الايجابي بمعناه العام، كما إنه مجال مهم لربط التعليم بالحياة العملية و إذا أحسن استخدامه يعطي دافعية كثيره للتلميذ للعمل الجاد، حيث يكتسب المهارات أساسية في التوجه نحو حل المشكلة.

- سمات الشخص ذو التفكير الإيجابي:

1 – قادر على الحوار والمناقشة. 2 – ذو لغة ومفردات تتصف بالمرونة قابلة للأخذ والعطاء. 3 – له القدرة على اختيار كلامه. 4 – يمتلك الفكر المستنير. يبحث. 5 – عن المعلومات والمعرفة. 6 –يميل إلي إعطاء تصور طبيعي وواقعي. 7 – يعطي حلول ناجحة. 8 – لا يقع نفسه في مواقف حرجة. 9 – ينظر إلي نفسه بتواضع. 10 – أكثر تكيفا مع نفسه وأفكاره. 11 – لديه القدرة على الاسترخاء [5] .

– النظريات التي تناولت التفكير: اختلفت النظريات المفسرة لأساليب التفكير في الهدف الذي تسعى إلي تحقيقه.

أ– نظرية هاريسون برامسون: فقد صنفت التفكير إلي خمسة أساليب وهي أسلوب التفكير التراكمي ـ أسلوب التفكير المثالي ـ أسلوب التفكير التحليلي ـ أسلوب التفكير الواقعي ـ أسلوب التفكير العملي

ب– نظرية جابنسن: وهي تمثل عملية التفكير الإيجابي وتتضمن ستة مستويات تغلب عليها الأبعاد المعرفية وهذه المستويات هي: ـ مستوى حل المشكلات ـ مستوي اتخاذ القرار ـ مستوى الاستنتاجات ـ مستوى التفكير الايجابي ألتباعدي ـ مستوى التفكير الايجابي التقويمي ـ مستوى الاستنتاجات ـ مستوى التفكير الايجابي التقويمي ـ مستوى الفلسفة والاستدلال.

ج– نظرية العقلانية الانفعالية السلوكية: واعتمدت هذه النظرية على عدد من الفروق والمبادئ منها: التفكير يحدث الانفعال، الدلالة اللفظية للأشياء، تأثير الحالة المزاجية للفرد، الوعي والاستبصار وتنبيه الذات، التصور والتخيل ـ توجد علاقة متبادلة بين كل من المعرفة والانفعال والسلوك ـ يؤثر تحكم الفرد في ذاته

(3) زياد بركات غانم، (2005)، التفكير الايجابي لدى طلبة الجامعة دراسة مقارنه في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية والتربوية ،دراسات عربية في علم النفس، العدد 3، ص 1.

(4) أماني سعيدة، (2005)، فاعلية برنامج لتنمية التفكير الايجابي لطالبات المعرضات للضغوط النفسية، مجلة كلية التربية بالإسماعلية، جامعة قناة السويس ص 131.

(5) جمال محمد الخطيب، (2003)، تعديل السلوك دليل العاملين في المجالات النفسية والتربوية والاجتماعية، الامارات العربية متحدة، مكتبة الفلاح، ص 33.

ـ تأثر توقع الفرد الذي تسيطر عليه الأفكار اللاعقلانية [6] .
ثانياً- دافعية الإنجاز: يعرفها زيدان [7] ، بأنها تكوين أو نظام نستدل عليه من السلوك الملاحظ، وعلى هذا الأساس فهي تكوين فرضي يترتب عليه ارتفاع الفرد منه ووصوله إلى مستوى أمثل من الأداء والإنجاز.
كما تعرف أيضا بأنها مدى استعداد الفرد وميله إلي السعى في سبيل تحقيق هدف ما، والنجاح في تحقيق ذلك الهدف وإتقانه، إذ يتميز هذا الهدف بخصائص وسمات ومعايير معينة [8] .
- النظريات المفسرة لدافعية الإنجاز:
أ- نظرية موراي، (Murray) كان موراي أول من قدم مفهوم الحاجة إلي الإنجاز، حيث حدد قائمة تشتمل على (28) حاجة، حيث يرى أن الحاجة إلى الإنجاز تحدد بالرغبة أو الميل إلى عمل الأشياء بسرعة على نحو جيد، وقد قدم تصوراته لقياس دافع الإنجاز من خلال اختيار الموضوع TAT [9] .
ب- نظرية ماسلو ،(Maslaow) تفترض نظرية التدرج الهرمي للحاجات أن الناس في محيط العمل، يدفعون للأداء بالرغبة في إشباع مجموعة من الحاجات الذاتية والأساسية هي (البشر كائنات محتاجة من الممكن أن تؤثر الاحتياجات على سلوكها. و ترتيب حاجات الإنسان حسب أهميتها، أو تتدرج هرميا فتبدأ بالأساسية مثل الطعام والمأوى [10] .
- الدراسات السابقة :
يشتمل هذا الجزء على الدراسات السابقة التي أهتمت بمعرفة مستوى التفكير الإيجابي وعلاقته ببعض المتغيرات الديموغرافية، حيث قسمت هذه الدراسات إلى مجموعتين: قسم عن الدراسات العربية، وقسم آخر عن الدراسات الأجنبية. مراعاة للفروق الثقافية وتأثيرها على مستوى تفكير الفرد الإيجابي ولقد تم سرد هذه الدراسات من الأقدم إلى الأحداث بقدر الإمكان.
أولاً- مستوى التفكير الايجابي وعلاقته بمتغيرات الدراسة:
حاز موضوع التفكير الايجابي على اهتمام العديد من التربويين وعلماء النفس في العصر الحديث، فقاموا بدراسته من جوانبه المتعددة: ومن الجوانب التي دُرست

(6) قحطان الطاهر، (2005)، تعديل السلوك، ط1، القاهرة للطبع والنشر، ص 22.

(7) الشناوي عبدالمنعم زيدان، (1997)، علاقة وضع الضبط بالدافع الإنجاز لدى طلبة وطالبات الجامعة الكويت، المجلة التربوية، العدد 42، ص 19.

(8) عبدالرحمن عدس، (1998)، علم النفس التربوي، عمان، دار الفكر، ص 3.

(9) على عباس اليوسيفي، (2008)، دافع الانجاز الدراسي وعلاقته بالقلق الاجتماعي لدى طالبات كلية التربية البنات، رسالة غير منشورة مركز تطوير والتدريب الجامعي، جامعة الكوفة، ص 11.

(10) مصطفي باهي حسين و، امينة ابراهيم شبلي ، (1999)، الدافعية نظريات وتطبيقات، القاهرة، مركز الكتاب للنشر.

في هـذا الموضـوع تحديـد مسـتوى التفكـير الإيجابـي لـدى الطلبـة وعلاقتـه بمتغـيرات معينـة، وفيمـا يـلي بعـض الدراسـات التـي قـد تفيـد في الدراسـة الحاليـة وقـد تـم إدراجهـا حسـب التسلسـل الزمنـي:

- دراسـة (غانـم ،2005) [11] ، هدفـت هـذه الدراسـة إلي التعـرف عـلى مسـتوى التفكـير الإيجابـي لـدى طلبـة في ضـوء متغـيرات الديمغرافيـة والتربويـة، واختـار الباحـث عينـة مكونـه مـن (200) طالـب وطالبـة جامعيـين مـن جامعـة القـدس فلسـطين، وتوصلـت الدراسـة إلي أن نسـيته 40.5 % مـن أفـراد الدراسـة اظهـروا ميـلا نحـو التفكـير الإيجابي منهـم نسـبة 40 % مـن الذكـور و16.5 % مـن الإنـاث، ووجـود فـروق دالـة إحصائيـا بـين الجنسـين عـلى مقيـاس التفكـير الإيجابـي لصالـح الإنـاث.

- ولقـد قـام كلا مـن (عـلا و، بـوزاد، 2016) [12] ، بدراسـة هدفـت لمعرفـة مسـتوى التفكـير الإيجابـي لـدى الطلبـة الجامعيـين مـن خـلال الإجابـة عـلى التسـاؤلات التاليـة: مـا هـو مسـتوى التفكـير الإيجابـي لـدى الطلبـة الجامعيـين؟ مـا هـي الأبعـاد الأكثـر شـيوعا بـين الطلبـة الجامعيـين؟ هـل توجـد فـروق ذات دلالـة إحصائيـة في التفكـير الإيجابـي وفقـا للنـوع؟، وللإجابـة عـن هـذه التسـاؤلات اسـتخدمنا مقيـاس التفكـير الإيجابـي لعبـد السـتار(2010) عـلى عينـة مـن الطلبـة، حيـث بلـغ عددهـم 200 طالبـا وحيـث توصـل لمجموعـة مـن النتائـج ارتفـاع مسـتوى التفكـير الإيجابـي لـدى الطلبـة الجامعيـين، أمـا الأبعـاد الأكثـر شـيوعا فقـد جـاء الشـعور العـام بالرضـا أولا، تـم التقبـل الإيجابـي للاختـلاف حـب التعلـم والتفتـح المعـرفي والصحـي، السـماحة والأريحيـة، الضبـط الانفعـالي والتحكـم، والمجازفـة الإيجابيـة، الـذكاء الوجدانـي، التوقعـات الإيجابيـة والتفـاؤل وأخـيرا تقبـل المسـؤولية الشـخصية، أمـا الفـروق فقـد توصلـت لوجـود فـروق ذات دلالـة إحصائيـة في التفكـير الإيجابـي لصالـح الإنـاث.

- بينمـا قـام (تركـي، 2012)، بدراسـة هدفـت لمعرفـة مسـتوى التفكـير الإيجابـي وعلاقتـه ببعـض المتغـيرات لـدى طلبـة الجامعـة بجامعـة بغـداد بالعـراق، اسـتهدف البحـث إعـداد صـورة مختـصرة لمقيـاس إبراهيـم 2011، وكذلـك معرفـة مسـتوى التفكـير الإيجابـي للطلبـة، وعلاقتـه ببعـض المتغـيرات الديموغرافيـة كالنـوع والعمـر والتخصـص، وتكونـت العينـة مـن(110) طالـب وطالبـة وكانـت النتائـج أن الطلبـة الجامعيـين يتمتعـون بتفكـير إيجابـي مرتفـع وعـدم وجـود فـروق دالـة إحصائيـا بـين الطلبـة في التفكـير الإيجابـي تبعـا لمتغـير النـوع ووجـود فـروق دالـة إحصائيـا في التفكـير الإيجابـي تبعـا لمتغـير التخصـص لصالـح العلمـي [13] .

(11) زيـاد بـركات غانـم، (2005)، التفكـير الايجابـي لـدى طلبـة الجامعـة دراسـة مقارنـة في ضـوء بعـض المتغـيرات الديموغرافيـة والتربويـة، دراسـات عربيـة في علـم النفـس، العـدد 3، ص 66.

(12) عيشـة عـلاء، ونعيمـة بـوزاد، (2016)، التفكـير الايجابـي لـدى الطلبـة الجامعـين دراسـة ميدانيـة، العلـوم النفسـية والتربويـة، المجلـد 3، العـدد 2، 124 ـ 149.

(13) عيشـة عـلاء و، نعيمـة بـوزاد، (2016)، التفكـير الايجابـي لـدى الطلـة الجامعـين دراسـة ميدانيـة، العلـوم النفسـية

ثانياً- دراسات دافعية الإنجاز وعلاقتها بمتغيرات أخرى:

- دراسة (الصافي، 2000) [14] ، هدفت إلي التعرف على العلاقة بين نوعية النجاح والفشل الدراسي وبين دافعية الإنجاز، وتكونت عينة الدراسة من (200) طالبا بواقع (100) متفوقا دراسيا و(100) طالبا متأخرا دراسيا من كلية التربية وكلية اللغة العربية، بجامعة الملك خالد، تحتاج إلي مراجعة واستخدم الباحث مقياس العزو بصورتيه (النجاح والفشل الدراسي)، من إعداد الباحث، واختبار الدافع للإنجاز إعداد هيرمان، وتوصلت النتائج إلى أن المتفوقين ذوي دافعية الإنجاز المنخفض عزو فشلهم إلى المزاج والحظ والمعلم.

ثالثاً- دراسات تناولت التفكير الإيجابي وعلاقته بدافعية الإنجاز وعلاقتها بمتغيرات الدراسة

- دراسة (مطرش و، ودريد، 2014) [15] بعنوان التفكير الإيجابي وعلاقته بالدافعية الأكاديمية الذاتية والاتجاه نحو مهنة التدريس لدى طلبة كليات التربية بجامعتي بغداد والمستنصرية، بهدف التعرف على العلاقة بين المتغيرين، ومعرفة الفروق في التفكير الإيجابي حسب النوع والتخصص، ثم تطبيق مقياس إبراهيم ،2011 (للتفكير الإيجابي، ومقياس الدافعية الأكاديمية الذاتية) لكوتفريد (2010) على عينة قوامها344 طالب وطالبة وكانت النتائج وجود علاقة ارتباطيه موجبة ودالة بين التفكير والدافعية، ووجود مستوى مرتفع في التفكير الإيجابي لدى الطلبة ووجود فروق دالة إحصائيا في التفكير الإيجابي تبعا لمتغير النوع والتخصص لصالح الذكور.

- الدراسات الأجنبية:

- دراسة (Haveren، 2004)، هدفت الدراسة إلى دراسة أثر مستوى التفكير السلبي والإيجابي في التحصيل لدى طلبة الجامعة في ضوء متغيرات الجنس والمستوى التعليمي، ، وبلغ عدد أفراد العينة 200 طالبا وطالبة الملتحقين في إحدى الجامعات الأمريكية ومن مستويات مختلفة، وقد أسفرت النتائج عن عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين طلبة سنة أولى والسنة الأخيرة من حيث مستوى التفكير السلبي والإيجابي بينما أظهرت النتائج وجود فروق دالة في مستوى التفكير حسب النوع لصالح الذكور حيث وأظهروا مستوى أفضل في التفكير الإيجابي [16].

والتربوية، المجلد 3، العدد 2، ص 15.

(14) عبدالله بن طه الصافي، (2000)، عزو النجاح والفشل الدراسة وعلاقة بدافعية الانجاز، مجلة جامعة أم القرى، المجلد 12، العدد 2.

(15) منتهي مطرش، و سوزان دريد، (2014)، التفكير الايجابي وعلاقته بالدافعية الأكاديمية الذاتية والاتجاه نحو مهنة التدريس لدى طلبة كليات التربية بجامعتي بغداد والمستنصرية، مجلة البحوث التربوية والنفسية، ص 41.

(16) عيشة علاء، و نعيمة بوزاد، (2016)، التفكير الايجابي لدى الطلبة الجامعين دراسة ميدانية، العلوم النفسية والتربوية، المجلد 3، العدد 2، ص 12.

- دراسة (Edmeads2004 ,)، والتي هدفت لمعرفة علاقة بعض المتغيرات بنمطي التفكير الإيجابي والسلبي ،لدى طلبة الجامعة، حيث أجريت الدراسة في إحدى الجامعات الأمريكية، إذ بلغت عينة الدراسة (75) طالبا و (105) طالبة ،وتوصلت الدراسة إلي النسبة (41.4 %) من الطلبة ذكورا وإناثاً، قد أظهروا ميلا نحو التفكير الإيجابي ،كما أظهرت الدراسة وجود علاقة ذات دلالة إحصائية في التفكير والتحصيل حسب النوع [17] .

نقاش الدراسات السابقة:

مناقشة الدراسات السابقة التي ذكرت من حيث الاتفاق والاختلاف فيما بينهن ومن حيث الأهداف والعينة والأدوات المستخدمة بالإضافة إلى النتائج التي تم التوصل إليها. ومن حيث الأهداف، فلقد اتفقت أغلب الدراسات على الأهداف التي تسعى لتحقيقها، حيث هدفت لقياس مستوى التفكير الإيجابي لدى الطالب الجامعي وعلاقته ببعض المتغيرات، وبهذا يتضح أن كل الدراسات السابقة ركزت في أخذ عيناتها من طلاب المرحلة الجامعية.

أما من حيث عينات تلك الدراسات السابقة فقد اختلفت أحجام تلك العينات كان أصغرها يشتمل علي (110) طالب وطالبة وهو حجم عينة تركي (2012)، بينما أكثر حجم من العينات قد ضم (200) طالب وطالبة وهي دراسة غانم، 2005 م ودراسة علا وبوزاد (2016).

أما من حيث الأدوات المستخدمة فقد اعتمدت أغلب الدراسات على استخدام اختبار إبراهيم (2011) و كدراسة مطرش ودريد (2013)،ودراسة تركي (2012) واختبار التفكير الإيجابي لعبد الستار(2010) ودراسة علا وبو زاد (2016). واختبار الدافع للإنجاز إعداد هيرمان كما في دراسة الصافي (2000) ومقياس الدافعية الأكاديمية الذاتية لكوتفريد (2010) كدراسة مطرش ودريد (2013).

أما من ناحية النتائج فقد توصلت الدراسات السابقة إلى أن مستوى التفكير الإيجابي كان يتراوح ما بين مستوى متوسط كما في دراسة(Edmeads2004 ,) ودراسة غانم (2005)، ومستوى مرتفع كما في دراسة علا وبوزاد (2016)، ودراسة تركي (2012). مطرش و دريد (2013)

أما فيما يتعلق بالفروق بين الذكور والإناث فقد أوضحت بعض الدراسات وجود فروق بين الذكور والإناث مثل دراسة مطرش و دريد (2013) وجدت فروقا بين طلاب جامعة البعث لصالح الذكور. و دراسة Haveren 2004) وبينت أيضاً أن هناك فرقا بين الذكور والإناث في التفكير الايجابي لصالح الذكور، بينما دراسة غانم (2005)؛ ودراسة علا وبو زاد (2016) توصلتا إلي إن هناك فرقا بين الذكور والإناث في التفكير الإيجابي لصالح الإناث، بينما توجد بعض الدراسات

(17) ،محمد جبر، (2013)، دور المناهج الدراسية في تنمية التفكير الايجابي ومهارات الاستذكار لدى طالبات كلية التربية للبنات في ضوء بعض المتغيرات، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد 13 ص 121.

التـي لـم تظهـر فرقـاً بـين الذكـور والإنـاث كدراسـة تركـي (2012).
أمـا فيمـا يخـص متغـير التخصـص الـدراسي فقـد اتفقـت بعـض الدراسـات في وجـود فـروق ذات دلالـة إحصائيـة بـين طلبـة الأقسـام الأدبيـة والعلميـة لصالـح الأقسـام العلميـة مثـل دراسـة تركـي 2012.
أمـا فيمـا يخـص طبيعـة العلاقـة بـين التفكـير الإيجابـي ودافعيـة الإنجـاز فقـد توصلـت دراسـة مطـرش و دريـد (2013) لوجـود علاقـة موجبـة بـين التفكـير الإيجابي ودافعيـة الانجـاز.
- تعقيب على الدراسات السابقة في دافعية الإنجاز:
لقـد اتفقـت الدراسـات السـابقة في أهدافهـا، حيـث كانـت تهـدف دراسـة الصـافي ،2000 لمعرفـة العلاقـة بـين النجـاح والفشـل ودافعيـة الإنجـاز، ودراسـة مطـرش و دريـد (2013) بعنـوان التفكـير الإيجابـي وعلاقتـه بالدافعيـة ؛ وكمـا تعـددت الأسـاليب الإحصائيـة المسـتخدمة في الدراسـات مـن معامـل الارتبـاط، والتحليـل والتبايـن، ولقـد اتفقـت الدراسـات في نتائجهـا وفي اختيـار نـوع العينـة ولكـن لقـد اختلفـت عـن بعضها البعـض مـن حيـث الأدوات وحجـم العينـة. وقـد تمـت الاسـتفادة مـن الدراسـات السـابقة في الدراسـة الحاليـة مـن حيـث اختيـار نـوع العينـة والمنهـج والأهـداف، والأدوات المسـتخدمة، وتكويـن فكـرة أعـم وأوسـع عـن موضـوع الدراسـة ،والاطـلاع عـلى المراجـع والمصـادر المختلفـة التـي تتناسـب مـع الدراسـة الحاليـة.
إجراءات الدراسة:
أ- منهـج الدراسـة: نظـرا لطبيعـة الدراسـة الحاليـة تـم الاعتمـاد عـلى المنهـج الوصفـي التحليـلي ؛ ولتحقيـق أهـداف الدراسـة.
ب- مجتمـع الدراسـة: تبـين مـن الدراسـات التـي أهتمـت بالفـروق في النـوع في مسـتوى التفكـير الإيجابـي وجـود تضـارب واختـلاف في التفكـير الإيجابـي، وكذلـك وجـود اختلاف بـين طـلاب التخصصـات العلميـة وطـلاب التخصصـات الأدبيـة، وقـد يرجـع اختيـار طـلاب السـنة الرابعـة في المرحلـة الجامعيـة لكونهـم أكثـر انضباطـا وتعاونـا، ونظـرا لترددهـم عـلي كلياتهـم أثنـاء فـترة تطبيـق الاختبـار، وعليـه فـأن مجتمـع الدراسـة الحاليـة تتكـون مـن جميـع الطلبـة الليبيـين النظامـين المقيديـن بالسـنة الرابعـة في كليتـي الآداب و المـوارد الطبيعيـة بجامعـة طـبرق للعـام 2019 - 2020 حيـث قامـت الباحثـات بالاتصـال بمسـجلي الكليتـين والحصـول منهمـا عـلى إحصائيـة بعـدد الطلبـة والطالبـات في الكليتـين السـابقتين والجـدول التـالي يوضـح حجـم مجتمـع الدراسـة: ـ

جدول (1) توزيع مجتمع الدراسة حسب النوع والتخصص

النوع	التخصص		المجموع	النسبة المئوية
	علمي	أدبي		
إناث	40	67	107	% 33
ذكور	62	159	221	% 67
المجموع	102	226	328	% 100

ج- عينة الدراسة: تكونت عينة الدراسة من 100 طالب وطالبة من طلبة السنة الرابعة بكلية الآداب وكلية الموارد في جامعة طبرق للعام الجامعي 2019 - 2020 واختيرت العينة بالطريقة العشوائية البسيطة، والجدول التالي يوضح توزيع أفراد العينة حسب متغير النوع، والتخصص.

جدول (2) توزيع أفراد العينة حسب النوع والتخصص

النوع	التخصص		المجموع	النسبة المئوية
	علمي	أدبي		
إناث	18	15	33	% 33
ذكور	32	35	67	% 67
المجموع	50	50	100	% 100

د- أدوات الدراسة :

أ- مقياس التفكير الإيجابي من إعداد حسين [18]، ولقد تألف مقياس الدراسة الحالية من (36) فقرة بناء على طريقة ليكرت ذو الخمس بدائل (دائما ـ غالبا ـ أحيانا ـ نادرا ـ لا ينطبق على مطلقا) وبذلك فإن الدرجة الكلية على هذا المقياس تتراوح بين (180 ـ 36)، والدرجة المرتفعة تعد مؤشرا على التفكير الإيجابي، بينما الدرجة المنخفضة تعد مؤشرا إلي التفكير السلبي، وقد اعتمدت الدرجة (108) الحد الفاصل بين التفكير الإيجابي والتفكير السلبي، مقياس الدافعية الإنجاز من إعداد مجيد [19]، حيث صنف المقياس إلى عدة مجالات وهي

(18) ناصر حسين، (2018)، محددات التفكير الايجابي والسلبي وعلاقتها بسمتي الشخصية المتفائلة والمتشائمة، كلية التربية الأساسية، جامعة المثنى، مجلة ادروك العلوم الإنسانية، العدد الأول، المجلد الحادي عشر.

(19) على حمدالله مجيد، (1990)، مستوى دافع الانجاز الدراسي لطالبات كليات التربية بالجامعات العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة صلاح الدين.

(التحمل المثابرة، المواظبة، الاستجابة نحو مواقف الفشل، الرغبة في أداء المنافسة، وإدراك سرعة مرور الوقت، الرغبة في المعرفة)، فأصبح عدد فقرات المقياس (39) فقرة، وأمام كل فقرة خمسة بدائل (تنطبق على بدرجة كبيرة جدا، تنطبق على بدرجة كبيرة، تنطبق على بدرجة متوسطة، تنطبق على بدرجة قليلة، تنطبق على بدرجة قليلة جدا)، فالمتوسط الفرضي للمقياس (117) درجة

- الخصائص السيكو مترية لمقياس التفكير الإيجابي لدراسة الأصلية:

1 - صدق المقياس:

أ- الصدق الظاهري: تم عرض فقرات المقياس على (10) من المحكمين المتخصصين في العلوم التربوية والنفسية، وكانت نسبة اتفاق المحكمين على فقرات المقياس 100%.

ب- صدق الاتساق الداخلي: وهي علاقة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس: فقد استعمل الباحث معامل ارتباط بيرسون؛ لاستخراج العلاقة الارتباطية بين كل فقرة والدرجة الكلية للمقياس، ويوضح أن جميع معاملات الارتباط للفقرات دالة إحصائية لدى موازنتها بالقيمة الجدولية البالغة (13.0) عند مستوى دلالة (0.05).

2 ـ الثبات المقياس:

- إعادة الاختبار: تم ذلك بتطبيق المقياس على عينة مكونه من (400) طالبا وطالبة من طلبة عينة استطلاعية تنتمي لمجتمع الدراسة الأصلي جامعة القادسية وتم اختيارهم بالطريقة العشوائية بفاصل زمني 14 يوما تم تطبيق المقياس على العينة نفسها؛ لاستخراج معامل الثبات وقد بلغ الثبات بهذه الطريقة (0. 88).

- الخصائص السيكو مترية لمقياس الدافعية الإنجاز للدراسة الأصلية:

1 - صدق المقياس: تم عرض المقياس على مجموعة من المحكمين، وقد وصل دقة المقياس إلي (80 %).

2 - ثبات المقياس: تم استخدام طريقة إعادة تطبيق المقياس على (50) فرد من أفراد العينة الكلية وبعد مرور خمسة عشر يوما أعيد تطبيق المقياس تحت نفس الظروف وتم حساب معامل الارتباط بين التطبيق الأول والتطبيق الثاني، وقد بلغ معامل الثبات للمقياس (87 %).

- الخصائص السيكو مترية لدراسة الحالية:

1 - صدق المقياس: حيث قامت الباحثات باستخدام طرق متعددة لحساب صدق مقياس التفكير الإيجابي ومقياس الدافعية الإنجاز منها:

أ- صدق الاتساق (صدق البناء): حيث يتم فيه حساب معاملات الارتباط بين كل فقرة من فقرات المقياس والدرجة الكلية للمقياس كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول رقم (3) معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية وفقرات مقياس التفكير الإيجابي

الدرجة الكلية	1	2	3	4	5	6	7	8	9
	0.571	0.523	0.597	0.561	0.493	0.660	0.426	0.512	0.039
الدرجة الكلية	10	11	12	13	14	15	16	17	18
	0.437	0.636	0.600	0.703	0.703	0.658	0.534	0.510	0.527
الدرجة الكلية	19	20	21	22	23	24	25	26	27
	0.288	0.377	0.074	0.463	0.356	0.595	0.367	0.112	0.239
الدرجة الكلية	28	29	30	31	32	33	34	35	36
	0.450	0.287	0.442	0.362	0.239	0.486	0.479	0.629	0.639

يتضح من الجدول السابق أن معاملات الارتباط دالة بين الدرجة الكلية للمقياس وكل فقرة من فقرات المقياس عند مستوى دلالة (0.001).

ب- صدق التمييز: حيث يتم التأكد من مدى قدرة المقياس في التمييز بين أفراد العينة في مستوى التفكير الإيجابي كما هو مبين في الجدول:

جدول رقم (4) الصدق التمييزي لمقياس التفكير الإيجابي

مستوى التفكير الإيجابي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	درجة الحرية	قيمةf	مستوى الدلالة
مرتفعي مستوى التفكير	4.1483	0.19486	11.729	98	67.141	0.00
منخفضي مستوى التفكير	3.1511	0.56873				

يتضح من الجدول السابق أن المقياس له القدرة في التمييز بين مرتفعي ومنخفضي مستوى التفكير.

2 - ثبات المقياس: قامت الباحثات بحساب معاملات الثبات لمقياس التفكير الإيجابي بطريقتي الفاء كرو نباخ و التجزئة النصفية كما مبين في الجدول: -

جدول رقم(5) معاملات الثبات لمقياس التفكير الإيجابي

طريقة حساب الثبات	معامل الثبات
معامل الفاء كرو نباخ	0.92
طريقة التجزئة النصفية	0.90

يتضح من الجدول أن المقياس يتمتع بمعاملات ثبات مرتفعة

- حساب معاملات الصدق لمقياس الدافعية للإنجاز:

- صدق الاتساق (صدق البناء): حيث يتم حساب معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية للمقياس وكل فقرة من فقراته كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول رقم (6) معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية وفقرات مقياس الدافعية

الدرجة الكلية	1	2	3	4	5	6	7	8	9
	0.432	0.392	0.642	0.662	0.412	0.408	0.434	0.607	0.181
الدرجة الكلية	10	11	12	13	14	15	16	17	18
	0.329	0.487	0.361	0.399	0.759	0.751	0.561	0.410	0.032
الدرجة الكلية	19	20	21	22	23	24	25	26	27
	0.394	0.421	0.467	0.351	0.328	0.270	0.203	0.431	0.540
الدرجة الكلية	28	29	30	31	32	33	34	35	36
	0.629	0.551	0.461	0.736	0.490	0.496	0.406	0.521	0.644
الدرجة الكلية	37	38	39						
	0.611	0.525	0.508						

يتضح من الجدول السابق أن معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية وفقرات المقياس دالة عند مستوى دلالة (0.001).

صدق التمييز: حيث يتم التحقق من قدرة المقياس في التمييز بين مرتفعي ومنخفضي مستوى الدافعية للإنجاز كما هو مبين في الجدول:

جدول رقم (7) الصدق التمييزي لمقياس الدافعية للإنجاز

مستوى الدافعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمةt	درجة الحرية	قيمة f	مستوى الدلالة
مرتفعي الدافعية	4.2272	0.27421	13.950	98	21.987	0.000
منخفضي الدافعية	3.1251	0.48669				

يتضح من الجدول السابق أن للمقياس قدرة في التمييز بين مرتفعي مستوى الدافعية ومنخفضي مستوى الدافعية.

ثبات مقياس الدافعية للإنجاز: تم حساب ثبات المقياس باستخدام معامل الفاء

كـرو نبـاخ كمـا هـو مبـين في الجـدول التـالي:

جدول رقم (8) معاملات الثبات لمقياس الدافعية للإنجاز

طريقة حساب الثبات	معامل الثبات
الفاء كرو نباخ	0.93

يتضح من الجدول السابق أن المقياس يتمتع بمعاملات ثبات مرتفعة

3 – الوسائل الإحصائية:

تـم اسـتخدام الحزمـة الإحصائيـة للعلـوم الاجتماعيـة (SPSS)حيـث تـم حسـاب المتوسـطات الحسـابية والانحرافـات المعياريـة والتكـرارات كمـا تـم اسـتخدام معامـل (الفـاء كـرو نبـاخ) وعامـل الارتبـاط (سـيبرمان ـ بـراون) الاختبـار التائـي (t).

4 – تحليل ومناقشة النتائج:

الهـدف الاول: تحديـد مسـتوى التفكـير الايجابـي ومسـتوى الدافعيـة للإنجـاز لـدى أفـراد عينـة الدراسـة.

ويتـم تحقيـق هـذا الهـدف مـن خـلال حسـاب المتوسـطات الحسـابية والانحرافـات المعياريـة والتكـرارات والنسـبة المئويـة كمـا هـو في الجـداول التاليـة:

جدول رقم (9) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والتكرارات والنسبة المئوية

الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التكرارات	النسبة المئوية	المجموع
ف 1	3.8000	1.47710	4	3.3	380.00
ف 2	3.4700	1.60463	4	3.3	347.00
ف 3	3.9100	1.44317	4	3.3	391.00
ف 4	3.5100	0.97954	4	3.3	351.00
ف 5	3.9400	1.09931	4	3.3	394.00
ف 6	3.9100	1.26407	1	0.8	391.00
ف 7	3.7800	1.19409	4	3.3	378.00
ف 8	3.3100	1.39041	1	0.8	331.00
ف 9	3.3100	1.15798	1	0.8	395.00
ف 10	3.2700	1.27806	1	0.8	327.00
ف 11	3.6700	1.42882	1	0.8	367.00

ف 12	4.1300	1.33829	9	7.5	413.00
ف 13	3.7900	1.09448	5	4.2	379.00
ف 14	3.8200	1.40978	1	0.8	382.00
ف 15	3.6700	1.49108	2	1.7	367.00
ف 16	3.6700	1.34881	2	1.7	367.00
ف 17	3.2100	1.38020	6	5.0	321.00
ف 18	3.3600	1.17654	1	0.8	336.00
ف 19	3.3300	1.30310	1	0.8	333.00
ف 20	3.7800	1.00081	6	5.0	378.00
ف 21	3.8200	1.11355	2	1.7	382.00
ف 22	3.8100	1.26087	2	1.7	381.00
ف 23	3.8100	1.07021	1	0.8	381.00
ف 24	3.7500	1.35121	2	1.7	375.00
ف 25	3.6400	1.32207	4	3.3	364.00
ف 26	4.0400	0.80302	2	1.7	404.00
ف 27	3.4900	1.43192	11	9.2	349.00
ف 28	3.6000	1.09175	4	3.3	360.00
ف 29	3.4900	1.21018	1	0.8	349.00
ف 30	3.5500	1.32097	1	0.8	355.00
ف 31	3.4600	1.17568	3	2.5	346.00
ف 32	3.4700	1.20147	1	0.8	347.00
ف 33	3.4600	1.29037	1	0.8	346.00
ف 34	3.5500	1.20080	1	0.8	360.00
ف 35	3.6000	1.28708	1	0.8	357.00
ف 36	3.5700	1.45126	1	0.8	364.00
المجموع			100	% 83	

يتضح من الجدول السابق أن أفراد العينة لديهم مستوى مرتفع من التفكير الإيجابي حيث بلغ مستوى التفكير الإيجابي (83 %).

جدول رقم (10) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والتكرارات والنسبة المئوية لمقياس الدافعية

الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التكرارات	الوزن النسبي	المجموع
ف 1	3.9100	1.17288	4	3.3	391.00
ف 2	3.8600	1.33333	4	3.3	380.00
ف 3	3.4600	1.18731	4	3.3	362.00
ف 4	3.6400	1.22808	1	0.8	363.00
ف 5	3.7800	1.00081	4	3.3	378.00
ف 6	3.5500	1.30000	4	3.3	387.00
ف 7	3.8700	1.38078	4	3.3	355.00
ف 8	3.9800	1.20588	4	3.3	398.00
ف 9	3.7300	1.27806	2	1.7	373.00
ف 10	3.7600	1.38622	2	1.7	376.00
ف 11	3.8400	1.18680	5	4.2	384.00
ف 12	3.6800	1.46253	3	2.5	368.00
ف 13	3.8100	1.43333	1	0.8	381.00
ف 14	3.4500	1.57233	2	1.7	345.00
ف 15	3.4400	1.45171	4	3.3	344.00
ف 16	3.3000	1.36700	5	4.2	330.00
ف 17	3.5700	1.27331	1	0.8	357.00
ف 18	4.0400	1.06287	1	0.8	404.00
ف 19	3.6700	1.40745	1	0.8	367.00
ف 20	3.7300	1.44148	1	0.8	373.00
ف 21	4.0600	1.14433	7	5.8	406.00
ف 22	3.9800	1.15453	1	0.8	398.00
ف 23	4.1600	1.19528	3	2.5	416.00
ف 24	4.0200	1.19747	3	2.5	402.00
ف 25	4.1000	1.14150	1	0.8	410.00

ف 26	3.7700	1.31698	2	1.7	377.00
ف 27	3.9800	1.07290	5	4.2	398.00
ف 28	3.4900	1.25927	3	2.5	349.00
ف 29	3.3000	1.53412	3	2.5	330.00
ف 30	3.8500	1.23399	2	1.7	385.00
ف 31	3.4400	1.45171	1	0.8	344.00
ف 32	3.5800	1.37201	2	1.7	358.00
ف 33	3.4600	1.19274	1	0.8	346.00
ف 34	3.5000	1.39624	1	0.8	350.00
ف 35	2.9000	1.33712	1	0.8	290.00
ف 36	2.9800	1.59532	1	0.8	298.00
ف 37	3.2900	1.59098	1	0.8	329.00
ف 38	3.8700	1.31545	1	0.8	387.00
ف 39	3.4800	1.61733	1	0.8	348.00
المجموع			100	88%	

يتضح من الجدول السابق أن أفراد العينة يتمتعون بمستوى مرتفع من الدافعية الإنجاز حيث بلغ مستوى الدافعية (88%).

الهدف الثاني: الكشف عن العلاقة بين مستوى التفكير الايجابي ومستوى دافعية الإنجاز.

ولتحقيق هذا الهدف تم حساب معاملات الارتباط بين مقياس التفكير الايجابي والدافعية للإنجاز كما هو مبين في الجدول.

جدول رقم (11) معاملات الارتباط بين مقياس التفكير الايجابي والدافعية للإنجاز

المقياس	العدد	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
التفكير الإيجابي	100	(سيبرمان ـ بروان) 0.74	0.001
الدافعية للإنجاز	100	بيرسون ـ 0.77	0.001

يتضح من الجدول السابق أن هناك علاقة ارتباطية موجبة دالة عند مستوى (0.001) بين التفكير الإيجابي والدافعية للإنجاز وتتفق مع دراسة مطرش ودريد (2013).

الهـدف الثالـث: إيجـاد الفـروق بـين أفـراد العينـة عـلى مقيـاس التفكـير الإيجابـي وفقـا للنـوع والتخصـص.
ولتحقيـق الهـدف تـم اسـتخدام الاختبـار التائـي لدلالـة الفـروق بـين أفـراد العينـة وفقـا للنـوع والتخصـص كمـا هـو مبـين في الجـداول التاليـة:

جدول رقم (12) نتائج الاختبار التائي لدلالة الفروق بين أفراد العينة وفقا للنوع على مقياس التفكير الايجابي

النوع	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	درجة الحرية	قيمة f	مستوى الدلالة
ذكور	3.6882	0.59466	0.835	98	5.330	0.023
إناث	3.5715	0.76914				

يتضـح مـن الجـدول أنهـا توجـد فـروق ذات دلالـة إحصائيـة بـين أفـراد العينـة وفقـا للنـوع عـلى مقيـاس التفكـير الإيجابـي، واتفقـت نتائـج هـذه الدراسـة مـع (غانـم: 2005) ودراسـة (تركـي: 2012).

جدول رقم (13) نتائج الاختبار التائي لدلالة الفروق بين أفراد العينة وفقا للتخصص على مقياس التفكير الإيجابي

التخصص	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	درجة الحرية	قيمة f	مستوى الدلالة
أدبي	3.2933	0.70869	6.455	98	36.032	0.000
علمي	4.0061	0.32763				

يتضـح مـن الجـدول السـابق أنهـا توجـد فـروق ذات دلالـة إحصائيـة بـين أفـراد العينة وفقـا للتخصـص عـلى مقيـاس التفكـير الإيجابـي تتفـق نتائـج الدراسـة مـع نتائـج دارسـة (تركـي: 2012).
الهـدف الرابـع: إيجـاد الفـروق بـين أفـراد العينـة عـلى مقيـاس الدافعيـة للإنجـاز وفقـا للنـوع والتخصص.
ولتحقيـق الهـدف تـم اسـتخدام الاختبـار التائـي لدلالـة الفـروق بـين أفـراد العينـة وفقـا للنـوع والتخصـص كمـا هـو مبـين في الجـداول التاليـة:

جدول رقم (14) نتائج الاختبار التائي لدلالة الفروق بين أفراد العينة وفقا للنوع على مقياس الدافعية للإنجاز

النوع	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	درجة الحرية	قيمة f	مستوى الدلالة
ذكور	3.7336	0.65865	1.209	98	0.785	0.378
إناث	3.5594	0.71481				

يتضح من الجدول السابق أنها لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة وفقا للنوع على مقياس الدافعية للإنجاز، اختلفت نتائج الدراسة مع نتائج دراسة (الصافي: 2000).

جدول رقم (15) نتائج الاختبار التائي لدلالة الفروق بين أفراد العينة وفقا للتخصص على مقياس الدافعية للإنجاز

التخصص	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	درجة الحرية	قيمة f	مستوى الدلالة
أدبي	3.3569	0.73842	5.307	98	17.791	0.000
علمي	3.9954	0.42246				

يتضح من الجدول السابق أنها توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة وفقا للتخصص على مقياس الدافعية للإنجاز.

- **التوصيات والمقترحات**

1 - أن تتبنى الجامعات إقامة دورات وبرامج لتنمية التفكير الإيجابي لدى طلبة الجامعات.

2 - الاهتمام بتدريب الطلبة على مهارات التفكير الإيجابي الفعال، لأن ذلك يؤدي إلي تطور مستوى معيشتهم في الحاضر والمستقبل.

3 - التأكيد على دور البرامج الإرشادية ؛ لتنمية دافعية الإنجاز لدى الطلاب.

4 - إجراء دراسة مماثلة تشمل جميع السنوات الجامعية والمقارنة بينها.

5 - إجراء دراسة مقارنة تشمل طلاب المرحلة الثانوية وطلاب الجامعة.

6 - إجراء دراسات مماثلة عن التفكير الايجابي وعلاقته ببعض المتغيرات كالصحة النفسية والقبول الاجتماعي والإنجاز الدراسي واليات الدفاع النفسي.

7 - إجراء دراسة لمعرفة علاقة دافعية الإنجاز، بمفهوم الذات ومستوى الطموح لدى الطلاب.

الخاتمة

بحث التفكير الايجابي: تناولت الدراسة مستوى التفكير الإيجابي وعلاقته بالدافعية للإنجاز لدي طلبة السنة الرابعة الموارد وكلية الآداب بجامعة طبرق لسنة (2020) وقد تناولت الدراسة مقدمة عن التفكير الايجابي ومشكلة الدراسة، وأهمية الدراسة ،وأهداف الدراسة وحدود الدراسة، ومصطلحات الدراسة، وتطرقت الدراسة إلي تعريفات التفكير الإيجابي، سمات الشخص الإيجابي، نظريات التفكير الإيجابي، تعريف الدافعية للإنجاز، نظريات مفسرة لدافعية، الدراسات السابقة. وقد تم استخدام المنهج الارتباطي، وقد تحدد مجتمع الدراسة (328) عضو هيأة تدريس، والعينة التي طبق عليها المقياس بلغ قوامها (100) طالب وطالبة، وتم التحقق من الخصائص السيكو مترية لأدوات الدراسة، وقد تم استخدام بعض المعالجات الإحصائية كالمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ،والاختبار التائي، معامل ارتباط سيبرمان براون. وقد أسفرت الدراسية عن مجموعة من النتائج منها ـ أن أفراد العينة لديهم مستوى مرتفع من التفكير الايجابي حيث بلغ مستوى التفكير الايجابي(83 %) ـ أن أفراد العينة لديهم مستوى مرتفع من الدافعية للإنجاز حيث بلغ مستوى الدافعية (88 %). توجد علاقة ذات دلاله إحصائية بين مستوى التفكير الإيجابي ومستوى الدافعية للإنجاز حيث بلغ معامل ارتباط سيبرمان (0.74) كما بلغ معامل بيرسون (0.77). ـ توجد فروق ذات دلاله إحصائية بين أفراد العينة وفقا للنوع على مقياس التفكير الإيجابي ـ لا توجد فروق ذات دلاله إحصائية بين أفراد العينة وفقا للنوع على مقياس الدافعية للإنجاز ـ توجد فروق ذات دلاله إحصائية بين أفراد العينة وفقا للتخصص على مقياس قلق التفكير الايجابي. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة وفقا للتخصص علي مقياس الدافعية للإنجاز.

قائمة المراجع

1 – محمد، جبر، (2013)، دور المناهج الدراسية في تنمية التفكير الايجابي ومهارات الاستذكار لدى طالبات كلية التربية للبنات في ضوء بعض المتغيرات. مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية. العدد 13.

2 – مصطفى باهي حسين، أمينة إبراهيم شلبي، (1999)، الدافعية نظريات وتطبيقات، القاهرة، مركز الكتاب للنشر.

3 – ناصر حسين، (2018)، محددات التفكير الإيجابي والسلبي وعلاقتها بسمتي الشخصية المتفائلة والمتشائمة، كلية التربية الأساسية، جامعة المثني، مجلة اوروك العلوم الإنسانية، العدد الأول، المجلد الحادي عشر.

4 – جمال محمد الخطيب، (2003)، تعديل السلوك دليل العاملين في المجالات النفسية والتربوية والاجتماعية، الإمارات العربية متحدة، مكتبة الفلاح.

5 – الشناوي عبد المنعم زيدان، (1997)، علاقة وضع الضبط بالدافع للإنجاز لدى طلبة وطالبات الجامعة الكويت، المجلة التربوية، العدد (42) .

6 – أماني سعيدة ،(2005)، فاعلية برنامج لتنمية التفكير الإيجابي لطالبات المعرضات للضغوط النفسية، مجلة كلية التربية بالإسماعيلية، جامعة قناة السويس.

7 – عبد الله بن طه الصافي، (2000)، عزو النجاح والفشل الدراسي وعلاقته بدافعية الإنجاز مجلة جامعة أم القرى، المجلد (12) العدد (2).

8 – قحطان الطاهر، (2005)، تعديل السلوك، ط(1)، القاهرة، للطبع والنشر.

9 – عبد الرحمن عدس، (1998)، علم النفس التربوي، عمان، دار الفكر.

10 – عيشة علاء و، نعيمة بوزاد، (2016)، التفكير الايجابي لدى الطلبة الجامعيين دراسة ميدانية، مجلة العلوم النفسية والتربوية المجلد 3 العدد 2 .

11 – زياد بركات غانم، (2005)، التفكير الإيجابي لدى طلبة الجامعة دراسة مقارنه في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية والتربوية، دراسات عربية في علم النفس.

12 – على حمد الله مجيد، (1990)، مستوى دافع الإنجاز الدراسي لطالبات كليات التربية بالجامعات العراقية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية، جامعة صلاح الدين.

13 – منتهى مطرش و، سوزان دريد، (2014)، التفكير الإيجابي وعلاقته بالدافعية الأكاديمية الذاتية والاتجاه نحو مهنة التدريس لدى طلبة كليات التربية بجامعتي بغداد والمستنصرية. مجلة البحوث التربوية والنفسية 41.

14 – على عباس اليوسيفي، (2008)، دافع للإنجاز الدراسي وعلاقته بالقلق الاجتماعي لدى طالبات كلية التربية للبنات، رسالة (غير منشورة) مركز تطور والتدريب الجامعي جامعة الكوفة.

فاعلية استخدام التعليم الالكتروني في تنمية الأداء المهاري لطلاب كلية التربية بجامعة طبرق في ظل انتشار فيروس كورونا COVID-19

إعداد : نجلاء الناجي عبد العاطي محمد.
محاضر مساعد- قسم الحاسوب – كلية التربية - جامعة طبرق.

الاستلام 25/ 12/ 2020 القبول 10/ 2/ 2021

المستخلص :
يهدف البحث إلى معرفة فاعلية التعليم الالكتروني في تنمية الأداء المهاري لطلاب كلية التربية في جامعة طبرق في ظل انتشار فيروس كورونا لاسيما وهم يدرسون مقرر مبادئ الحاسوب ، وتكونت عينة الدراسة من 17 طالبا وطالبة ، واستخدمت الباحثة تصميم المجموعة الواحدة Group Pre-test Pos-tes Design الذي يعتمد تطبيق أداة البحث تطبيقاً قبلياً، ثم إجراء المعالجة التجريبية وهي استخدام التعليم الالكتروني والذي يتمثل في استخدام المنصة التعليمية Easy Class للتمكن من تخزين المحاضرات على شبكة الإنترنت وبثها من خلاله ،ثم تطبيق أداة البحث بعدياً، ولقد توصلت نتائج الدراسة إلى أنه يوجد فرق دال إحصائي عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات الطلاب بالمجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والبعدي لبطاقة الملاحظة لصالح التطبيق البعدي.
الكلمات المفتاحية : التعليم الالكتروني ، فيروس كورونا ، جامعة طبرق.

Abstract
The aim of current research is identify the effectiveness of using e-learning in developing the skills performance of computer studentsat the Faculty of Education, University of Tobruk in light of the spread of the Corona virus, Covid- 19. who are studying the computer principles and applications, and the study sample consisted of all 17 students studying the computer principles and applications, the researcher used a one-group pretest-posttest design, which depends on applying the search tool prior to application, then conducting experimental treatment which is the use of e-learning, which is to use the educational platform (class-

room), then the post application of the tool, the results of the study indicated that there is a statistically significant difference at the level of (0.05) between the average scores of the students in the experimental group in the pre and post application of the note card in favor of the post application.

Key words: E–Learning, Corona Virus, Tubruk University.

المقدمة

فوجئ العالم مع نهاية عام 2019 بتوارد إصابات تنفسية مجهولة السبب تشبه الأمراض المعدية، حيث لم يكن هناك أي علم بوجود فيروس جديد قبل بدء تفشيه في مدينة ووهان الصينية، وقد تحوّل هذا الفيروس كوفيد19- الآن إلى جائحة تؤثر على العديد من بلدان العالم[1].

وبعد أن عبر المدير العام لمنظمة الصحة العالمية ، في مؤتمر صحفي في جنيف، عن قلقه إزاء مستويات تفشي الفيروس المثيرة للقلق، ومستوى خطورته ومستويات انعدام التحرك المقلقة في العالم، وقال إنه يمكن تصنيف مرض كوفيد- 19 على أنه جائحة [2]، قررت وزارة التعليم بالحكومة الليبية تمديد تعليق الدراسة في المؤسسات التعليمية العامة والخاصة، وذلك ضمن الإجراءات الاحترازية التي سبق وأن اتخذتها الوزارة لمواجهة جائحة كورونا ضمن القرار رقم (102) لسنة 2020 [3].

وفي ظل إغلاق آلاف المدارس والجامعات حول العالم، لجأت كثير من المؤسسات التعليمية في دول عربية إلى خيار التعليم الالكتروني، لضرورة استمرار المناهج الدراسية المقررة وسد أي فجوة تعليمية قد تنتج عن تفاقم الأزمة.[4]

ومثلما اجتاح هذا الوباء حواجز الزمان والمكان، جاءت الدعوات إلى "التعليم الالكتروني" التي صاحبت انتشار الفيروس- لتجتاح هي الأخرى حواجز المكان والزمان. [5] فالتعليم الالكتروني يعد أحد النماذج الحديثة نسبيا للتعليم، حتى أضحت بعض الجامعات والمعاهد تقدم برامج متكاملة بطريقة إلكترونية، وما أحدثته جائحة كورونا من إجراءات حجر مختلفة وما صاحبها من إيقاف للتعليم التقليدي، جعلت التركيز منصبا على التعليم الالكتروني بشكل كبير جدا.[6]

ونظرا للدور الكبير الذي يلعبه التعليم الالكتروني في تنمية التحصيل والاتجاه والأداء ومهارات

التعلم الذاتي، بحسب ما توصلت إليه الدراسات السابقة مثل دراسة كل من

(1) خلف العقلة : جائحة كورونا Covid-19 وتداعياتها، نشرية الألسكو العلمية: جامعة الدول العربية ،العدد3 ، 2020.

(2) الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية ، متاح على : https://www.who.int/ar

(3) قرار وزارة التعليم بالحكومة الليبية ، متاح على : https://www.facebook.com/Ministry.of.Education.lyrvhv

(4) مي أبو مغلي و مهى شعيب : التعليم في ظل الحجر الصحي أثناء جائحة كوفيد19- ،مركز الدراسات اللبنانية ،2020.

(5)هاني زايد: التعليم من بعد ،2020 ، متاح على: https://www.scientificamerican.com

(6) جمال السالمي: التعليم الالكتروني في دراسات المعلومات، مجلة الدراسات التكنولوجيا، جامعة السلطان قابوس – عمان ، 2020، المجلد (2) ، العدد (9).

وفـاء أبوعقـل [7]2012، وفـاء محمـد2017 [8] ، وسـحر رمضـان 2018 [9] ، وبنـدر عبدالرحمـن2020 [10] فقـد رأت الباحثـة ضرورة معرفـة فاعليـة اسـتخدامه في تنميـة الأداء المهـاري لطـلاب كليـة التربيـة وذلـك لضمـان اسـتمرارية عمليـة التعليـم والتعلـم في ظـل ظـروف تفـرض التباعـد الجسـدي بـين الطلبـة حفاظـا عـلى سـلامتهم مـن الإصابـة بفـيروس كورونـا.

مشكلة البحث :

جـاءت فكـرة البحـث مـن خـلال مـا لمسـته الباحثـة في أثنـاء الظـروف التـي يعانـي منهـا العالـم بأكملـه في الوقـت الحـالي المتمثلـة في انتشـار فـيروس كورونـا وانقطـاع الذهـاب إلى الجامعـات ، وحيـث أن جامعـة طـبرق واحـدة مـن الجامعـات التـي خضعـت إلى تجربـة التعليـم الالكترونـي في ظـل أزمـة كورونـا ،الأمـر الـذي ترافـق معـه تولـد الشـكوك حـول فاعليتـه ، وهنـا ظهـرت الحاجـة الملحـة لمعرفـة فاعليـة اسـتخدام التعليـم الالكترونـي في ظـل هـذه الأزمـة ،وبذلـك تحـدد مشـكلة الدراسـة في السـؤال الرئيـس الآتـي :

مـا فاعليـة اسـتخدام التعليـم الالكترونـي في تنميـة الأداء المهـاري لطـلاب كليـة التربيـة بجامعـة طـبرق في ظـل انتشـار فـيروس كورونـا Covid-19؟.

أهداف البحث :

يهـدف هـذا البحـث إلى التعـرف عـلى فاعليـة التعليـم الالكترونـي في ظـل انتشـار فـيروس كورونـا في تنميـة الأداء المهـاري للطـلاب الذيـن يدرسـون مقـرر "مبـادئ الحاسـوب " بكليـة التربيـة في جامعـة طـبرق.

أهمية البحث : ترجع أهمية البحث إلى أنه :-

يستمد أهميته كونه معاصراً لظاهرة واقعية وهي انتشار فيروس كورونا.

يقدم برنامج جديد قائم على التعليم الالكتروني لطلاب جامعة طبرق.

قد يسهم في الارتقاء بمستوى التعليم وتحسينه في جامعة طبرق .

الاستفادة من نتائج هذه الدراسة في ظواهر مشابهة كالحروب والأزمات.

حـدود البحـث : اقتـصر البحـث عـلى طـلاب السـنة الأولى بكليـة التربيـة بجامعـة طـبرق ، للعـام الجامعـي 2019/ 2020م ، باسـتخدام منصـة EasyClass للتمكـن مـن تخزيـن المحـاضرات عـلى شـبكة الإنترنـت كأحـد المنصـات التعليميـة الالكترونيـة .

(7) وفـاء أبوعقـل: أثـر اسـتخدام التعلـم الالكترونـي في تدريـس العلـوم عـلى التحصيـل الـدراسي لـدى دراسي جامعـة القـدس المفتوحـة ،المجلـة الفلسـطينية للتعليـم المفتـوح، المجلـد (3) ، العـدد (6)،2012.

(8) وفـاء محمـد: فاعليـة الصـف بالمقلـوب إيـزي كلاس لتنميـة مهـارات التفكـير الناقـد في مقـرر العلـوم لـدى طالبـات المرحلـة المتوسـطة في مدينـة الرياض، المجلـد (6)، العـدد(2) ،2017.

(9) سـحر رمضـان: فاعليـة بيئـة تعليميـة إلكترونيـة في تنميـة مهـارات تصميـم الاختبـارات الالكترونيـة لـدى طالبـات كليـات التربيـة بالجامعـة الإسـلامية بغـزة، رسـالة الماجسـتير غـير منشـورة، كليـة التربيـة ، الجامعـة الإسـلامية بغـزة ،2018 .

(10) بنـدر عبدالرحمـن (2020) .أثـر التعلـم الالكترونـي في تحسـين مهـارات التعلـم الذاتـي لـدى طلبـة تقنيـات التعليـم والاتصـال في جامعـة الحائـل، مجلـة الجامعـة الإسـلامية للدراسـات الإسـلامية والنفسـية – السـعودية ، المجلـد (28) والعدد(1).

مصطلحات البحث : تم تعريف مصطلحات البحث إجرائيا كما يلي:

1. الفاعلية :العمل على بلوغ أعلى درجات الإنجاز وتحقيق أفضل النتائج بأقل التكاليف [11].

وتعرفها الباحثة بمستوى تحقيق النتاجات التعليمية خلال التفاعل بين طلاب السنة الأولى بكلية التربية بجامعة طبرق " باستخدام التعليم الالكتروني في ظل ظروف تفرض التباعد الجسدي بين الطلبة حفاظا على سلامتهم من الإصابة بفيروس كورونا 19-.

2 .التعليم الالكتروني: هو جزء من بيئة الفصول الافتراضية التي تقوم في الأساس على التواصل المباشر بين المعلم والمتعلمين لتحقيق فائدة التعلم التي ستحدث نتيجة لاستخدام التقنية لتعليم المتعلمين داخل الفصول. [12]

وتعرفه الباحثة بأنه إنشاء فصول افتراضية على المنصة التعليمية EasyCass لتمكن من تخزين المحاضرات على شبكة الانترنت وبثها من خلاله ، وكذلك التواصل مع الطلاب عبر الحائط والمشاركة بالرد والتعليق و الإعجاب ، وكذلك مشاركة الملفات والروابط ، وإنشاء المجموعات .

3. الأداء المهاري :يستخدم مفهوم مهارة ليدل على أن الشخص الماهر هو الشخص الجدير القدير في أحد ميادين العلم التي ترتبط بعملية الإنتاج ، والتي تتألف عادة من عدد من القدرات المرتبطة أو المستقلة ،كما يمكن وصف هذا الشخص بأنه على درجة من الكفاءة والجودة في الأداء. [13]

وتعرفه الباحثة بأنه : قدرة الطلاب على أداء مهارات الجداول الالكترونية وممارستها باستخدام برنامج Microsoft Excel بسرعة ودقة وإتقان وبأقل عدد من الأخطاء .

الإطار النظري:

التعليم الالكتروني ضرورة حتمية لارتقاء العمل التربوي، فالتطور المعرفي التكنولوجي السريع أثر على منظمات المجتمع وهيئاته ، ما أدى إلى ضرورة البحث في المجال التربوي عن أفضل الطرق التي تساعد المتعلمين على التعلم، وتوفر بيئة تعليمية تفاعلية تناسب احتياجات المتعلمين في القرن الحادي والعشرين، وتساعدهم في تطوير قدراتهم حتى يكونوا قادرين على التعامل مع متغيرات العصر. [14]

فهو طريقة للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشبكاته

(11) ماجد الكيلاني: التربية والتجديد،2005. موقع بصاير. https://cutt.us/qjmvT

(12) شريف الأتربي :التعلم بالتخيل ، إستراتيجية التعليم الالكتروني وأدوات التعلم ، العربي للنشر، القاهرة ،2019.

(13) فؤاد أبو حطب ، وآمال صادق : علم النفس التربوى ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ،2002،ص 9.

(14) ياسمين ناصر :التعليم الالكتروني ضروريته وحتميته، مدونة تعليم جديد، 2020 ، متاح على : https://www.new-educ.com/

ووسائطه المتعددة من صوت وصورة ورسومات وآليات بحث ومكتبات إلكترونية وكذلك بوابات الانترنت . [15]

ومن مزايا هذا التعليم الالكتروني والذي ظهر في السنوات القليلة السابقة : [16]

زيادة إمكانية الاتصال بين الطلبة فيما بينهم وبين الطلبة والمعلمين .

المساهمة في وجهات النظر المختلفة ما زاد من فرصة الاستفادة من الآراء .

سهولة الوصول إلى المعلم، حيث أتاح التعليم الالكتروني إمكانية الوصول إلى المعلم .

الاستمرارية في الوصول إلى المناهج في أي وقت وذلك لأنها متاحة الكترونياً.

يساعد في التركيز على الأفكار الهامة والضرورية للمادة الدراسية .

وعلى الرغم من مميزات التعليم الالكتروني إلا أنه له بعض السلبيات، وهي تختلف من بلد لآخر بحسب متغيرات وظروف متعددة، ومنها على سبيل المثال [17] :

1.التكلفة المادية اللازمة لأية جزئية في منظومة التعلم الالكتروني.

2. العامل البشري ، مثل عدم إلمام المعلمين والمتعلمين بالمهارات الضرورية .

3. معيقات فنية ، أي متعلقة بالتعامل مع الأعطال أو توقف التقنيات المفاجئ عن العمل.

4 . الخصوصية و السرية وهل يوجد اختراق للمحتويات و الامتحانات.

تقنيات التعليم الالكتروني : يعتمد التعليم الالكتروني على العديد من التقنيات الالكترونية، فقد وضعت منظمة اليونسكو مجموعة من البرامج التي تساعد على التعلم عن بعد، ومنه [18] :

1. تطبيق "بلاك بورد" (Black Board):وهو تطبيق يعتمد تصميم المقررات والمهمات والواجبات والاختبارات وتصحيحها الكترونيًّا، والتواصل مع الطلاب من خلال بيئة افتراضية وتطبيقات يتم تحميلها عن طريق الهواتف الذكية.

2. تطبيق Google Classroom: الذي يسهِّل التواصل بين المعلمين والطلاب سواء داخل المدرسة أو خارجها، وقد لجأت بعض الكليات المصرية إلى توفير الاشتراك (مجانًا) لكل طلابها .

3. تطبيق: seesaw وهو تطبيق رقمي يساعد الطلاب على توثيق ما يتعلمونه في المدرسة وتقاسمه مع المعلمين وأولياء الأمور وزملاء الدراسة، وحتى في العالم.

4. تطبيق Mindspark:الذي يعتمد على نظام تعليمي تكيُّفي عبر الإنترنت، يساعد الطلاب على ممارسة الرياضيات وتعلمها.

وفي هذه الفترة التي يمر بها العالم من ظهور فيروس كورونا ورفع الإجراءات الوقائية في عديد من الدول العربية، تعالت الدعوات المطالبة باستخدام التعليم

(15) حسن زيتون : رؤية جديدة في التعلم- التعليم الالكتروني- المفهوم، الدار الصوتية للتربية، الرياض،2005 ،ص24.

(16) طارق عامر: التعليم عن بعد والتعليم المفتوح ،دار اليازوري ،2015، ص 22 و 23.

(17)كمال جنبي: التعليم الالكتروني والتعليم من بعد،2005 ، متاح على: https://www.kutub.info/library/book/2878

(18) هاني زايد : مرجع سابق.

الالكتروني كوسيلة أساسية لضمان استمرار العملية التعليمية وعدم ضياع سنة دراسية على الطلاب.

وقد بينت منظمة الصحة العالمية يمكنك الحد من احتمالات إصابتك بعدوى كوفيد19- أو نشرها باتخاذ بعض التعليمات والاحتياطات الآتية [19] :

تنظيف اليدين جيداً وبشكل متكرر وتجنب لمس العينين والفم والأنف.

تغطية الفم عند السعال بثني المرفق أو بمنديل ورقي.

حافظ على مسافة متر واحد على الأقل (3 أقدام) بينك وبين الآخرين.

وقد التزمت جامعة طبرق بتعليمات التباعد الجسدي وأوقفت التعليم وجهاً لوجه، وقدمت مصادر تعليمية بديلة للطلاب في هذه الفترة ومنها التعليم الالكتروني لاستكمال باقي مقررات عام 2019 – 2020م .

الدراسات السابقة :

بعد الاطلاع على الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الدراسة بالبحث، جرى ترتيبها من الأقدم إلى الأحدث كما يلي:

دراسة آيات 2012 [20] التي هدفت إلى كشف عن فاعلية برنامج تدريبي مقترح لتنمية مهارات تصميم المقررات الالكترونية القائمة على الشبكة العنكبوتية لدى أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة، كما أعدت الباحثة برنامجا تدريبيا وقائمة مهارات لرصد الأداء المهاري، وأن أهم نتائجها وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.01) بين متوسط درجات المجموعة التجريبية في القياسين القبلي والبعدي لصالح القياس البعدي .

دراسة إميل نضير2013 [21] التي هدفت إلى التعرف على أثر الموقع الالكتروني المقترح في تنمية التحصيل و المهارات الأدائية نحو مقرر الاستيراد والتصدير لطلاب الصف الثانوي التجاري، وبينت النتائج أثر الموقع الالكتروني في تنمية التحصيل والمهارة الأدائية نحو المقرر لطلاب الثانوي التجاري.

دراسة سهى حمدي 2017 [22] هدفت إلى التعرف على فاعلية الصف المقلوب بمنصة إيزي كلاس في تدريس الدراسات الاجتماعية على تنمية مهارات البحث الجغرافي

(19) دليل توعي صحي شامل :منظمة الصحة العالمية، النسخة الأولى 5/ 3/ 2020 ،متاح: على.https://www.unrwa.org/sites/default/files/health_awareness_on_coronavirus_civid-19_-_public_-_arabic.pdf

(20) آيات محمود محمد: فاعلية برنامج تدريسي مقترح لتنمية مهارات تصميم المقررات الالكترونية القائمة على الشبكة العنكبوتية لدى أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات والبحوث التربوية ، جامعة القاهرة ،2012.

(21) إميل نظير: 2013 ،أثر موقع إلكتروني في تنمية التحصيل والمهارات الأدائية لمقرر الاستيراد والتصدير لطلاب الثانوي التجاري، معهد الدراسات والبحوث التربوية ، جامعة القاهرة،2013 .

(22) سهى حمدي: فاعلية الصف المقلوب بمنصة إيزي كلاس في تدريس الدراسات الاجتماعية على تنمية مهارات البحث الجغرافي لدى تلاميذ المرحلة الإعدادي، مجلة كلية التربية ، جامعة الأزهر ، العدد174، الجزء الثاني،2017.

لـدى تلاميـذ الصـف الثالـث الإعـدادي وتـم إعـداد اختبـار وتطبيقـه عـلى المجموعتـين وأشـارت النتائـج أن اسـتخدام منصـة إيـزي كلاس سـاهمت في تنميـة مهـارات البحـث الجغـرافي لـدى تلميـذات المجموعـة التجريبيـة .

وقـام Sahu 2020 [23] بدراسـة هدفـت إلى معرفـة تأثـير إغـلاق الجامعـات بسـبب فـيروس كورونـا عـلى التعليـم ، وقـد أظهـرت نتائـج الدراسـة أنـه عـلى الجامعـات تنفيـذ القوانـين لإبطـاء انتشـار الفـيروس, ويجـب أن يتلقـى الطـلاب والموظفـون معلومـات منتظمـة مـن خـلال البريـد الالكترونـي.

وقـام Favale, Soro, Trevisan, Drago, Mellia 2020 [24] بدراسـة هدفـت الى تحليـل تأثـير تطبيـق الإغـلاق عـلى حركـة المـرور في الحـرم الجامعـي والتعلـم الالكترونـي في أثنـاء جائحـة COVID-19، والتعـاون في اسـتخدام المنصـات الخاصـة بالتعلـم عـن بعـد، وأشـارت النتائـج بعـد تحليـل التغيـرات التـي تمـت دراسـتها إلى إثبـات قـدرة الانترنـت عـلى التعامـل مـع الحاجـة المفاجئـة ومـع سياسـة التباعـد الاجتماعـي.

يتبـين مـن خـلال الدراسـات السـابقة أنهـا بحثـت في فاعليـة التعليـم الالكترونـي في تنميـة التحصيـل والاتجـاه و الأداء ومهـارات التعلـم الذاتـي ، كمـا أنهـا اعتمـدت عـلى المنهـج التجريبـي ، وطبقـت الاختبـارات والمقـالات وبطاقـات الملاحظـة لجمـع البيانـات ، وتتشـابه هـذه الدراسـة عـلى الدراسـات السـابقة في تحدثهـا عـن التعليـم الالكترونـي إلا أنهـا تتميـز عنهـا في تناولهـا فاعليـة اسـتخدام التعليـم الالكترونـي في تنميـة الأداء المهـاري لطـلاب الحاسـوب بكليـة التربيـة جامعـة طـبرق في ظـل انتشـار فـيروس كورونـا .

فروض البحث :

بعـد الاطـلاع عـلى الأدبيـات المتعلقـة بمتغـيرات البحـث تـم صياغـة الفـروض عـلى النحـو الآتـي :

1 . يوجـد فـرق دال إحصائيـاً عنـد مسـتوى (0.05) بـين متوسـطي درجـات الطـلاب بالمجموعـة التجريبيـة في التطبيـق القبـلي والبعـدي لبطاقـة الملاحظـة لصالـح التطبيـق البعـدي.

2 . يحقـق التعليـم الالكترونـي فاعليـة في تنميـة الأداء المهـاري للطـلاب كليـة التربيـة لا تقـل قيمتهـا عـن (0.6) وفقـاً لنسـبة الفاعليـة لمـاك جوجيـان .

(23) Sahu, P. Closure of Universities Due to Coronavirus Disease (COVID- 19): Impact on Education and Mental Health of Students and Academic Staff. Medical Education and Simulation, Centre for Medical Sciences Education, The University of the West Indies, St. Augustine, TTO.2020

(24) Favale, T., Soro, F., Trevisan, M., Drago, I., Mellia, M. (2020). Campus traffic and e-Learning during COVID-19 pandemic.Computer Networks.176.

منهج البحث وإجراءاته :

1 . منهج البحث :

اتبعت الباحثة كل من المنهج الوصفي التحليلي في مرحلة التحليل ومرحلة التصميم ومسح الدراسات السابقة والأدبيات التي تمت في مجال التعليم الالكتروني، واستخدمت الباحثة المنهج التجريبي في مرحلة التقويم البنائي والنهائي على عينة البحث لكي يتم معرفة مدى فاعلية استخدام التعليم الالكتروني في تنمية الأداء المهاري لدى طلاب كلية التربية .

2 . التصميم التجريبي للبحث :

استخدمت الباحثة في هذا البحث Group Pre-test Pos-test Design، حيث تم تطبيق بطاقة الملاحظة تطبيقاً قبلياً، ثم إجراء المعالجة التجريبية وتطبيق بطاقة الملاحظة بعدياً.

3 . مجتمع البحث وعينته :

تم تطبيق أداة البحث والمعالجة التجريبية على عينة البحث والتي تكونت من (20) طالب وطالبة من السنة الأولى بكلية التربية ،وتم اختيارهم عشوائياً من بين(40) طالب وطالبة ،وتم استبعاد (3) طلاب لعدم انتظامهم في المتابعة وبالتالي أصبح العدد النهائي لعينة البحث (17) طالب وطالبة من السنة الأولى بكلية التربية ، والذين يدرسون مقرر "مبادئ الحاسوب" للعام 2019 – 2020م.

4. أدوات البحث : تتمثل في إعداد بطاقة ملاحظة الأداء المهاري الخاص بالتعامل مع برنامج الجداول الالكترونية Excel ، ولقد اتبعت الباحثة الخطوات الآتية في بناء بطاقة الملاحظة :

أ) تحديد الهدف من البطاقة :

تهدف البطاقة إلى ملاحظة الجانب الأدائي للطلاب في أثناء التعامل مع برامج الجداول الالكترونية Excel .

ب) صياغة مفردات البطاقة :

وتجدر الإشارة إلى أن البطاقة قد صممت في صورتها المبدئية تتضمن خانات لأبداء الرأي والتعديلات المفتوحة ، وذلك لوضع بطاقة الملاحظة في صوره واضحة ودقيقة ، ولقد تكونت بطاقة الملاحظة في صورتها الأولية من 12 مهارة رئيسة تحتوي كل مهارة على عدد من المهارات الفرعية، وقد بلغ عدد المهارات المكونة لبطاقة الملاحظة (35) مهارة متفرعة منها.

ج) الصدق الظاهري لبطاقة الملاحظة:

لقد تم عرض بطاقة الملاحظة ومناقشتها مع المتخصصين في المجال لأخذ رأيهم في مدى مناسبة كل مهارة فرعية للمهارة الأساسية التي تندرج تحتها وصحة المفردات من الناحية اللغوية ومدى وضوحها وملائمتها لمستوى الطلاب ، وقد تم تعديل بعض المهارات وحذف بعضها الآخر، وقد أجمع السادة المحكمون

على صلاحية البطاقة لقياس الجانب الأدائي للطلاب وملائمتها لكل مهارة من المهارات ، وقد تكونت بطاقة الملاحظة في صورتها النهائية من 10 مهارات رئيسة تحتوي كل مهارة على عدد من المهارات الفرعية ،وقد بلغ عدد المهارات المكونة لبطاقة الملاحظة (38) مهارة متفرعة منها.

د) ثبات بطاقة الملاحظة:

تم تطبيق بطاقة الملاحظة على العينة الاستطلاعية التي طبقت عليها التعليم الالكتروني ومن خلال تطبيق أسلوب الملاحظين تم تخصيص بطاقتين ملاحظة في حساب الثبات وتم تخصيص بطاقة ملاحظة لكل طالب ، وقام الملاحظان بوضع علامة ((P أمام مستوى كل مهارة ، بعد ذلك تم حساب نسبة الاتفاق بين الملاحظين باستخدام معادلة كوبلرCoper، وقد حصلت بطاقة الملاحظة على نسبة اتفاق بلغت88% وهي نسبة اتفاق جيدة مما يعني ثبات بطاقة الملاحظة وصلاحيتها للتطبيق .

5.خطوات تصميم وتنفيذ التعليم الالكتروني :

لقد تم اختيار أنموذج ADDIE نظراً لبساطته وفاعليته وقابليته للتطبيق العملي، حيث تتلخص مراحل هذا النموذج في خمس مراحل رئيسة وهي :

مرحلة التحليل، وتشمل :

- تحديد خصائص الجمهور المستهدف: والذي يتمثل في الطلاب الذين يدرسون مقرر مبادئ الحاسوب بكلية التربية جامعة طبرق.
- تحديد الحاجات : وتتمثل حاجات المتعلمين في الرغبة في استكمال مقررات من خلال التعليم الالكتروني في ظل جائحة كورونا كوفيد19-.
- تحديد الأهداف العامة : حيث تم تحديد الأهداف العامة في تنمية الأداء المهاري لطلاب السنة الأولى بكلية التربية جامعة طبرق.
- تحليل البيئة التعليمية : وتمثلت في تقديم (وحدة من مقرر الجداول الالكترونية Excel) من خلال رفع دروس هذه الوحدة في شكل فيديوهات على منصة إيزي كلاس .

مرحلة التصميم ، وتضم :

تحديد الأهداف الإجرائية :من المتوقع أن يكون طالب السنة الأولى بكلية التربية قادرا على أن :

1. كيفية التعامل مع الجداول الالكترونية .
2. كيفية التعامل مع المعادلات والدوال .
3. بعض المهارات الخاصة .

تصميم الشكل العام للمنصة التعليمية إيزي كلاس والتسجيل عليها ثم تجهيز المنصة لرفع دروس الأكسل عليها .

إعادة صياغة المحتوى العلمي في ضوء الأهداف العامة ، وقد تمت مراعاة

البساطة والتتابع المنطقي في عرض المعلومات وتسلسل عناصر كل موضوع بحيث تسير من البسيط إلى المركب .

تحديد الأنشطة : تم تكليف الطلاب ببعض الواجبات والتكليفات وأوراق عمل واستقبالها منهم إلكترونياً.

تحديد مصادر التعلم : حيث تم الاعتماد على عدد من مصادر التعلم متمثلة في :

1. دليل للطالب ويتمثل في مقطع فيديو تعليمي يوزع على الطلاب يشرح كيفية استخدام منصة إيزي كلاس والتعامل معها .

2. عدد من العروض التقديمية والروابط والفيديوهات من Yo Tube، بالإضافة إلى الاستعانة بفيديوهات معطاة على (CD) للطلاب اللذين في مناطق يضعف بها الانترنت أو لايتوفر بها لمتابعة دروسهم، إلى جانب الإيزي كلاس .

تحديد أساليب التقويم ، وتتمثل في :

أولا: التقويم القبلي: قامت الباحثة بتطبيق بطاقة الملاحظة على الطلاب قبل دراسته باستخدام التعليم الالكتروني، حيث بدأ التطبيق يوم الثلاثاء الموافق15سبتمبر2020، بعد قرار وزارة الصحة باستئناف الدراسة، وتم أخذ الإجراءات الوقائية وتحقيق التباعد الجسدي بين الطلبة حفاظا على سلامتهم من الإصابة بفيروس كورونا19-، ومن ثم تسجيل الدرجات التي حصل عليها الطلاب بعد تطبيق بطاقة الملاحظة .

ثانياً: التقويم البنائي : حيث تم تكليف الطلاب ببعض الواجبات وأوراق عمل و استقبالها منهم الكترونياً.

ثالثا :التقويم النهائي : لقد تم التطبيق البعدي لبطاقة الملاحظة بعد انتهاء الطلاب من دراستهم باستخدام التعليم الالكتروني وتم تسجيل الدرجات، وبذلك انتهت التجربة يوم الخميس 24سبتمبر2020م ،ومن ثم إجراء التحليلات الإحصائية المناسبة لاستخلاص النتائج.

ج. مرحلة التطوير: ويكون بشكل مستمر في شكل مجموعة من الروابط الالكترونية وفيديوهات تعليمية على المنصة التعليميةEasyCass .

د. مرحلة التنفيذ: وتمثل ذلك في إنشاء فصول افتراضية على المنصة التعليمية EasyCass لتمكن من تخزين المحاضرات على شبكة الإنترنت وبثها من خلاله ، وكذلك التواصل مع الطلاب عبر الحائط والمشاركة بالرد والتعليق والإعجاب ، وكذلك مشاركة الملفات والروابط ، وإنشاء المجموعات ، وكذلك تقديم الواجبات وتصميم الاختبارات وتصحيحها وتقديم التغذية الراجعة ، ولقد قامت الباحثة بإرسال رمز دخول خاص بالفصل ، وتشكيل غرفة مغلقة، كما أنشأت الباحثة مجموعة من الدروس المعطاة ودليل للطالب وفيديوهات على (CD) للطلاب اللذين في مناطق التي بها ضعف بالانترنت أولا يتوفر بها الانترنت من متابعة دروسهم ،إلى جانب منصة EasyClass .

هـ . مرحلة التقويم: وتشمل مراجعة جميع المراحل السابقة، من خلال عرض المنصة التعليمية على مجموعة من المتخصصين للتعرف على مدى مناسبته وصلاحيته للتطبيق ،وكذلك إجراء تجربة استطلاعية للتعليم الالكتروني على مجموعة من طلاب السنة الأولى بكلية التربية عددهم ستة طلاب ، واستغرق تطبيق التجربة الاستطلاعية أسبوعا واحداً ، تم فيها بث المحاضرات على شبكة الانترنت من خلال الفصول الافتراضية على منصة EasyClass ، وتم الاستعانة بمعامل قسم الحاسوب بالكلية في تطبيق بطاقة الملاحظة عليهم، ولقد أسفرت عن وضوح خطوات العمل في المنصة التعليمية ووضوح المادة العلمية وتقبل الدارسين له وزيادة حماسهم للدراسة من بعد، وفي ضوء التجربة الاستطلاعية، أصبح استخدام التعليم الالكتروني عبر منصة EasyClass صالحاً للتطبيق على العينة الأساسية للبحث .

*إجراء التجربة الميدانية للبحث:

بعد أن تم اختيار العينة الأساسية للبحث وعددهم(17) طالبا وطالبة من طلاب السنة الأولى بكلية التربية، تم التطبيق في معمل قسم الحاسوب بكلية التربية على النحو الآتي:

1 . مرحلة تطبيق أداة البحث قبلياً على أفراد العينة : وذلك قبل إجراء المعالجة التجريبية، وتمثلت أداة البحث في بطاقة الملاحظة وتطبيقها عليهم قبلياً في يوم الثلاثاء 15 ديسمبر2020م، وتسجيل الدرجات.

2 . مرحلة تطبيق المعالجة التجريبية: وفيها تم الإعلان عن بث المحاضرات على شبكة الانترنت من خلال الفصول الافتراضية على منصة EasyClass، وذلك لمدة أسبوعين ليتسنى لهم دراسة الموضوعات في ظل ظروف تفرض التباعد الجسدي والحجر الصحي .

3 . مرحلة تطبيق أداة البحث بعدياً: بعد الانتهاء من الدراسة باستخدام التعليم الالكتروني قامت الباحثة وبعض أساتذة القسم بتطبيق أداة البحث في بطاقة الملاحظة على الطلاب بعديا، يوم 24/9 /2020م، وتسجيل الدرجات ، بعد ذلك تم استخدام اختبار T.test لحساب الفرق بين متوسطي درجات الطلاب عينة البحث في التطبيق القبلي والبعدي لأدوات البحث .

6. الأساليب الإحصائية المستخدمة في البحث :

تمت المعالجة الإحصائية للبيانات التي حصلت عليها الباحثة باستخدام حزمة البرامج الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) لاختبار صحة الفرض، وتم استخدام معامل الثبات باستخدام معادلة كوبر"

معامل الثبات = " ، كما تم حساب فاعلية التعليم الالكتروني باستخدام نسبة الفاعلية "لماك جوجيان" = (الدرجة البعدية – الدرجة القبلية) / (الدرجة النهائية – الدرجة القبلية).

7 . تحليل النتائج ومناقشتها وتفسيرها :

للإجابة على السؤال الذي ينص على " ما فاعلية استخدام التعليم الالكتروني في تنمية الأداء المهاري لطلاب كلية التربية بجامعة طبرق في ظل انتشار فيروس كورونا Covid-19؟"قامت الباحثة باختبار صحةالفروض البحثية لتقديم الإجابة على هذا التساؤل كما يلي:

النتائج المتعلقة بالفرض الأول للبحث:

لاختبار صحة الفرض الأول الذي ينص على أنه " يوجد فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات الطلاب بالمجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والبعدي لبطاقة الملاحظة لصالح التطبيق البعدي"، قامت الباحثة بتطبيق اختبار (T-Test) للعينات المرتبطة، وذلك باستخدام حزمة البرامج الإحصائية "SPSS" التي سبق الإشارة إليها، والجدول الآتي يعرض نتائج تطبيق اختبار "ت":

جدول (1) : اختبار "ت" للعينات المترابطة لدلالة الفروق بين متوسطي درجات الطلاب من عينة البحث في القياس القبلي والبعدي لبطاقة الملاحظة

التطبيق	المتوسط	الانحراف المعياري	الفرق بين المتوسطين	قيمة (ت) المحسوبة	درجات الحرية	مستوى الدلالة
قبلي	12.38	2.28	15.65	25.031	19	0.001>
بعدي	36.17	1.97				

ومن الجدول السابق نلاحظ أن قيمة "ت" تساوي (25.031) عند درجة حرية (19)،والدلالة المحسوبة كمبيوترياً لها (0.001) وحيث أن هذه الدلالة المحسوبة أقل من (0.05) فإن قيمة "ت" دالة عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات الطلاب في التطبيق القبلي والبعدي لبطاقة الملاحظة لصالح التطبيق البعدي، أي إن استخدام التعليم الالكتروني ذو أثر فعال في تنمية الأداء المهاري لطلاب الكلية.

النتائج المتعلقة بالفرض الثاني للبحث:

لاختبار صحة الفرض الذي ينص على أنه "يحقق التعليم الالكتروني فاعلية في تنمية الأداء المهاري لطلاب كلية التربية جامعة طبرق لا تقل قيمتها عن (0.6) وفقاً لنسبة الفاعلية لماك جوجيان" ، وللتحقق من صحة هذا الفرض قامت الباحثة بحساب متوسط نسبة الفاعلية "لماك جوجيان" تنمية الأداء المهاري للطلاب في أثناء التعامل مع برامج الجداول الالكترونية Excel لطلاب كلية التربية بجامعة طبرق.

جدول (2) : متوسط نسبة الفاعلية "لماك جوجيان" فيتنمية الأداء المهاري

متوسط التطبيق القبلي لبطاقة الملاحظة	متوسط التطبيق البعدي لبطاقة الملاحظة	الدرجة النهائية	متوسط نسبة الفاعلية لماك جوجيان
12.38	36.17	38	0.93

من الجدول السابق يلاحظ أن نسبة الفاعلية لماك جوجيان تساوي (0.93) وهي أعلى من القيمة المحكية (0.6) وهذا يدل على أن استخدام التعليم الالكتروني يحقق فاعلية كبيرة في تنمية الأداء المهاري لطلاب كلية التربية في ظل انتشار فيروس كورونا أعلى من القيمة المحكية (0.6) لماك جوجيان.
وقد يرجع ذلك إلى استخدام أنموذج ADDIE للتعليم الالكتروني لبساطته وقابليته للتطبيق ، وتجهيز المعلومات بطريقة منظمة وميسرة وعرض خطوات أداء المهارات بشكل صحيح عند تنفيذ التعليم الالكتروني ، كما أن الجيل الحالي من الطلاب يتميزون بتعلق بالتكنولوجيا واستخدام التطبيقات الحديثة، ويتوفر لدى غالبهم هواتف ذكية وأجهزة حاسوب وشبكة انترنت، وأيضاً تفاعل الطلاب مع بعضهم البعض وعدم شعورهم بالوحدة والعزلة في ظل ظروف تفرض الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي، وقد

اتفقت هذه النتيجة مع دراسة كل من : مهنى محمد [25] 2020 ، وهاني2020 [26] ، و [27] Yulia2020، و2020 Basilaia, Kvavadze [28] .

التوصيات والمقترحات :

في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها في هذه الدراسة، فإن الباحثة تقترح إجراء مزيد من البحوث والدراسات كما يلي :

1 . دراسة متغيرات تجريبية أخرى وقياس فاعليتها في التعليم الالكتروني كالتحصيل والاتجاه .
2. إعداد برامج تعليمية ونشرها عبر الإنترنت وقياس فاعليتها .
3. دراسات ترتبط بتنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس بجامعة طبرق في إنتاج

(25)مهنى محمد إبراهيم : التعليم العربي وأزمة كورونا، المجلة الدولية في العلوم التربوية ، المجلد(3)، العدد(4)،2020.

(26) هاني زايد، مرجع سابق.

(27) Yulia, H. : Online Learning to Prevent the Spread of Pandemic Corona Virus in Indonesia. ETERNAL (English Teaching Journal).2020.

(28) Basilaia, G., &Kvavadze, D. (2020). Transition to Online Education in Schools during a SARS-CoV-2 Coronavirus (COVID-19) Pandemic in Georgia. Pedagogical Research, 5(4), em0060. https://doi.org/10.29333/pr/7937 Retrieved, 27/5/2020.

البرامـــج التعليميـــة.

4. تزويد الكليات بالبرامج الحديثة والأصلية للاستفادة منها في التعليم الالكتروني .
7. توظيف تكنولوجيا التعليم الالكتروني في التعليم الجامعي.
8. نـــشر ثقافـــة اســـتخدام التعليـــم الالكترونـــي فيمـــا بـــين أعضـــاء هيئـــة التدريـــس بجامعـــة طـــبرق.
10. قيام جامعة طبرق بطرح مواد تكسب الطالب مهارات وتقنيات التعليم.
11. الإفـــادة مـــن نتائـــج هـــذا البحـــث عـــلى المســـتوى التطبيقـــي إذا مـــا دعمـــت البحـــوث المســـتقبلية هـــذه النتائـــج.

أولا :المراجع العربية :

1. إميل نظير:2013 ، أثر موقع إلكتروني في تنمية التحصيل والمهارات الأدائية لمقرر الاستيراد والتصدير لطلاب الثانوي التجاري، معهد الدراسات والبحوث التربوية ،جامعة القاهرة،2013 .
2. آيات محمود محمد: فاعلية برنامج تدريسي مقترح لتنمية مهارات تصميم المقررات الالكترونية القائمة على الشبكة العنكبوتية لدى أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ،معهد الدراسات والبحوث التربوية ،جامعة القاهرة ،2012.
3. بندر عبدالرحمن .(2020) .أثر التعلم الالكتروني في تحسين مهارات التعلم الذاتي لدى طلبة تقنيات التعليم والاتصال في جامعة الحائل ،مجلة الجامعة الإسلامية– السعودية ،المجلد (28) والعدد(1).
4. جمال السالمي: التعليم الالكتروني في دراسات المعلومات، مجلة الدراسات التكنولوجيا، جامعة السلطان قابوس – عمان ،2020،المجلد(2) ،العدد(9).
5. حسن زيتون : رؤية جديدة في التعلم والتعليم الالكتروني ،الدار الصوتية للتربية،الرياض،2005.
6. خلف العقلة :جائحة كورونا Covid- 19 وتداعياتها ، نشرة الألسكو العلمية: جامعة الدول العربية ، العدد الثالث ،يوليو 2020.
7. دليل توعوي صحي شامل :منظمة الصحة العالمية، النسخة الأولى https://www.unrwa.org/sites/default/files/health_awareness_:5/3/2020 .on_coronavirus_civid-19_-_public_-_arabic.pdf
8. سحر رمضان: فاعلية بيئة تعليمية إلكترونية في تنمية مهارات تصميم الاختبارات الالكترونية لدى طالبات كليات التربية بالجامعة الإسلامية بغزة، رسالة الماجستير غير منشورة، جامعة غزة ، 2018.
9. سهى حمدي: فاعلية الصف المقلوب بمنصة إيزي كلاس في تدريس الدراسات الاجتماعية على تنمية مهارات البحث الجغرافي لدى تلاميذ المرحلة الإعدادي، مجلة كلية التربية ،جامعة الأزهر ،العدد174، الجزء الثاني،2017.
10. شريف الأتربي : التعلم بالتخيل ،استراتيجية التعليم الالكتروني ،العربي للنشر، القاهرة ،2019.
11. طارق عامر: التعليم عن بعد والتعليم المفتوح ، دار اليازوري ،2015، ص 22 و 23.
12. فؤاد أبو حطب ،وآمال صادق:علم النفس التربوى ،القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ،2002،ص 9.
13. قرار وزارة التعليم بالحكومة الليبية ،متاح على : https://www.facebook.com/Ministry.of.Education.lyrvhv

14. كمال جنبي: التعليم الالكتروني والتعليم من بعد،2005 ،متاح على: https:// www.kutub.info/library/book/2878
15. ماجد الكيلاني: التربية والتجديد،2005. موقع بصاير. https://cutt.us/qjmvT
16. مهنى محمد إبراهيم : التعليم العربي وأزمة كورونا، المجلة الدولية في العلوم التربوية ،المجلد(3)، العدد(4)،2020.
17. الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية ،متاح على : https://www.who.int/ar
18. مي أبو مغلي و مهى شعيب :التعليم في ظل الحجر الصحي أثناء جائحة كوفيد19- ،مركز الدراسات اللبنانية ،2020.
19. هاني زايد: التعليم من بعد، متاح-https://www.scientificamerican.com/ar /abic/articles.
20. وفاء أبوعقل : أثر استخدام التعلم الالكتروني في تدريس العلوم على التحصيل الدراسي لدى دراسي جامعة القدس المفتوحة، المجلة الفلسطينية للتعليم المفتوح، المجلد (3)، العدد(6) ،2012.
21. وفاء محمد : فاعلية الصف بالمقلوب إيزي كلاس لتنمية مهارات التفكير الناقد في مقرر العلوم لدى طالبات المرحلة المتوسطة في مدينة الرياض، المجلد (6)،العدد(2) ،2017.
22. ياسمين ناصر: التعليم الالكتروني ضروريته وحتميته، مدونة تعليم جديد، 2020 ،متاح على : https://www.new-educ.com/

ثانيا :المراجع الأجنبية:

23. Basilaia, G., &Kvavadze, D. Transition to Online Education in Schools during a SARS-CoV-2 Coronavirus (COVID-19) Pandemic in Georgia. Pedagogical Research, 5(4), em0060. https://doi.org/10.29333/pr/7937 Retrieved, 27/5/2020.
24. Favale, T., Soro, F., Trevisan, M., Drago, I., Mellia, M. Campus traffic and e-Learning during COVID-19 pandemic.Computer Networks.176.2020.
25. Sahu, P. Closure of Universities Due to Coronavirus Disease (COVID- 19): Impact on Education and Mental Health of Students and Academic Staff. Medical Education and Simulation, Centre for Medical Sciences Education, The University of the West Indies, St. Augustine, TTO.2020
26. Yulia, H. : Online Learning to Prevent the Spread of Pandemic Corona Virus in Indonesia. ETERNAL (English Teaching Journal).2020.

الملـــــــحق

بطاقة ملاحظة الأداء المهاري الخاص بالتعامل مع برنامج الجداول الالكترونيةExcel

م	المهارة	مستوى المهارة	
		أدى	لم يؤدِ
أولا	فتح مصنف جديد في برنامج أكسل		
1	يقوم بالضغط على (زر شعار الأوفيس) ثم		
2	يقوم باختيار الأمر (جديد)		
3	قم بالضغط على الخيار (فارغ وحديث)		
4	يقوم بالضغط على (مصنف فارغ)		
5	يقوم بالضغط على الزر (إنشاء) الموجود في أسفل يسار الواجهة		
ثانيا	تحديد الخلية		
1	يضغط على الزر الأيسر للماوس باستمرار		
2	تمرير الماوس على الخلايا المراد تحديدها مع الاستمرار في الضغط		
ثالثا	تعبئة الخلايا بلون معين		
1	يحدد الخلايا المراد تعبئتها بلون معين		
2	يضغط على شكل الدلو في شريط الأدوات		
3	يختار اللون المناسب .		
رابعا	كيفية التنقل عبر الخلايا		
1	يختار الخلية المطلوب إدخال البيانات فيها		
2	يضع مؤشر الفأرة فوق الخلية المطلوبة وانقر عليها		
3	يستخدم مفاتيح الأسهم الأربعة في نقل مؤشر الخلية الحالية إلى الخلية		
4	ينقر في مربع اسم الخلية		
5	يكتب اسم الخلية المطلوبة جعلها الخلية الحالية		
6	يضغط على المفتاح إنترنت		
خامسا	تعيين عرض معين لعمود		
1	يحدد العمود المراد زيادة حجمه		
2	يختار (تنسيق)		
3	يضغط على عرض العمود		

4	يدخل الحجم الجديد الذي نرغب فيه		
5	يمسح القيمة الموجودة داخل مربع النص		
6	يقوم بكتابة القيمة الجديدة		
7	يضغط على الزر موافق لقبول القيمة الجديدة		
سادسا	إدراج صف جديد		
1	يقوم بتحديد الصف الذي قبله وذلك بالضغط عليه ضغطة واحدة		
2	يقوم باختيار الأمر (إدراج)		
سابعا	حفظ البيانات .		
1	ينقر على زر شعار الأوفيس		
2	يمسح اسم الملف الإفتراضيBook1		
3	يكتب بدلاً منه الاسم الجديد للملف		
4	يختيار الموقع المناسب لتخزين الملف فيه		
5	ينقر على الزر" حفظ "		
ثامنا	حذف صف		
1	يحدد الصف المراد حذفه		
2	يختار الأمر حذف ثم حذف صفوف الورقة .		
تاسعا	جمع قيم موجودة في عدد من الخلايا		
1	يحدد الخلية المراد ظهور المجموع بها		
2	يكتب الصيغة الحسابية للخلايا التالية =B1+C1+D1+E1		
3	يضغط على المفتاح Enter لرؤية الناتج داخل الخلية		
عاشرا	كيفية إنهـــــاء برنامج أكسل		
1	يضغط على زر شعار الأوفيس		
2	يختار الزر (إنهـــاء أكسل) الموجود في أسفل القائمة		
3	يضغط على الزر (نعم)		

تقدير الذات وعلاقته بالاندماج التربوي لدى عينة من ذوي الإعاقة البصرية داخل مدارس التعليم الأساسي العام بمدينة إجدابيا

إعداد:
عمر عبد الحميد مفتاح المغربي - محاضر - كلية الآداب - جامعة إجدابيا
أمال محمد عبد القادر الحبتي - مساعد محاضر - كلية الآداب - جامعة إجدابيا

الاستلام 13/ 12/ 2020 القبول 10/ 2/ 2021

الملخص:

هدفت الدراسة الحالية للتعرف على تقدير الذات لدى ذوي الإعاقة البصرية وعلاقته بالاندماج التربوي داخل مدارس التعليم الأساسي العام بمدينة إجدابيا واستخدمت مقياس من (45) فقرة بلغ ثباتها (0.87) و عينة عشوائية من(27) من ذوي الإعاقة البصرية المدمجين في المدارس العامة واستخدمت الوسائل الإحصائية المناسبة وتوصلت الدراسة لنتائج منها وجود انتشارلتقدير الذات و للاندماج التربوي، ووجود علاقة ارتباطيه موجبة بينهما ، ووجود فروق داله إحصائية لمتغير النوع لصالح الإناث ، ووجود فروق داله إحصائية لمتغير الحالة الاجتماعية لصالح التلاميذ الذين يعيشون مع والديهم .

الكلمات المفتاحية : تقدير الذات ، الاندماج التربوي ، ذوي الإعاقة البصرية .

Abstract:

The present study aimed to identify the self-esteem of people with visual impairment and its relationship to educational integration within the general basic education schools in the city of Ajdabiya. It used a scale of (45) items with a stability of (0.87) and a random sample of (27) people with visual disability integrated in public schools and used statistical methods The study found the results of a prevalence of self-esteem, educational integration, a positive correlation between them, and the existence of statistically significant differences for the gender variable in favor of females, and the existence of statistically significant differences for the marital status variable in favor of students who live with their parents.

Key words: self-esteem, educational inclusion, people with visual impairment.

مقدمة:

يعد تقدير الذات حاجة أساسية لدى الفرد سواء أكان مبصرا أم مكفوفا فهي بمثابة الدافعة له نحو تأكيد ذاته، وإن وعي الفرد يعني إدراكه لما لديه من خواص وصفات، وتقييمه الذاتي لهذه الصفات والخواص لأن معرفة الفرد لذاته في حد ذاتها إنجاز، وفي هذه الدراسة سوف نتناول موضوع تقدير الذات وعلاقته بالاندماج التربوي لدى عينة من ذوي الإعاقة البصرية، ولقد شهدت العقود الماضية تطورات متلاحقة في تعليم الطلاب من ذوي الإعاقة البصرية هذا التطور من وجهة نظر الأشخاص المعاقين بصرياً وتربيتهم يعكس تطوراً آخراً في اتجاهات المجتمع نحوهم ، والانتقال في أسلوب التعليم من المؤسسات الخاصة ، إلى المناداة والاعتراف بحقهم في التعليم بالمدارس العامة ، ورفع شعار المدرسة للجميع ، ويأخذ المصطلح ذاته بعداً اجتماعياً تربوياً حيث يصف ذا الاحتياجات الخاصة بأنه كل فرد يحتاج إلى خدمات خاصة كي ينمو أو يتعلم أو يتدرب أو يتوافق مع متطلبات حياته اليومية الأسرية أو الوظيفية أو المهنية حتى يتمكن من المشاركة في عمليات التنمية وبأقصى طاقاته كمواطن ، ولأن الدمج في اللغة هو " دَمَجَ الشيءُ دُموجاً إذا دخل في الشيءِ واستحكم فيه ، وكذلك انْدَمَجَ وادَّمَجَ ، بتشديد الجال ، وادمج ، كل هذا إذا دخل في الشيءِ واستتر فيه "[1]

فمفهوم الدمج يأتي مواكباً لذلك مشيراً إلى أن المعاق يجب أن يعيش حياة آمنة في كل مكان يتواجد فيه، وأن يشعر بوجوده وقيمته كعضو في أسرته ومدرسته ومجتمعه وأن يتحقق له قدر من التوافق والاندماج الشخصي والاجتماعي، بجانب تواجده في المدرسة وفي الصف الدراسي مع العاديين، وأن يستفيد مثله مثل العاديين من جميع الخدمات التربوية والتثقيفية والرياضية والترويحية والطبية وإيجاد فرص عمل مع باقي العاديين في المؤسسات المهنية المختلفة كل حسب قدراته ووفق إمكاناته.

هذا وكي يتم اتخاذ التدابير اللازمة والمناسبة لتطبيق الدمج، ويتحقق له النجاح لا بد من توضيح الايجابيات لتدعيمها وتنميتها وأيضاً معرفة السلبيات لاتخاذ الإجراءات الكفيلة بمواجهتها والوقاية منها. ولمواكبة هذا التطور شرعت جمعية الكفيف – بنغازي في دمج الطلاب المعاقين بصريا في المدارس العامة في شكل خطوات تمهيدية بدأت منذ عام (1985م) وترسخت عام (2002 م) عندما استحدثت الجمعية (مكتب الاندماج التربوي) ولما كان المعلم هو أحد أهم عناصر العملية التعليمية ، لذلك فقد استهدف هذه الدراسة التعرف على مدى الاندماج التربوي للطلبة المعاقين بصرياً في مدارس التعليم العام و التعرف على الفروق من حيث النوع، والحالة الاجتماعية.

(1) مصطفى ،إبراهيم و أحمد الزيات وحامد عبد القادرومحمد النجار(2010)، المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، بالقاهرة ، مصر .

1 - مشكلة الدراسة :-

إن التلميذ المعاق بصريا يعيش عالما ضيقا محدودا نتيجة لعجزه ويود لو استطاع التخلص منه والخروج إلى عالم المبصرين ، فهو لديه حاجات نفسيه لا يستطيع إشباعها ، واتجاهات اجتماعية تحاول عزله عن مجتمع المبصرين ، ويواجه مواقف فيها أنواع من الصراع والقلق ، كل هذا يؤدي بالتلميذ المعاق بصريا إلى أن يحيا حياه نفسيه غير سليمة ، قد تؤدي به إلى سوء التكيف مع البيئة المحيطة به والدراسة الحالية تحاول أن تعرف إلى أي مدى يصل صعوبة اندماج المعاقين بصريا في التعليم العام أو البرامج التعليمية الخاصة بهم لاعتبارات اجتماعية ومجتمعية ، والمشكلات النفسية والسلوكية التي تحول دونهم لمسايرة أقرانهم في المستوى التعليمي ، وعدم توفر مدارس كافية لاحتوائهم ، وعدم توفر مناهج خاصة تناسبهم ،وكذلك ضعف أو قلة المعلمين على تدريس مثل هذه الفئة (فئة المعاقين بصريا) وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات الأتية :

1 – هل هناك علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين تقدير الذات والاندماج التربوي لدى عينة من ذوي الإعاقة البصرية بمدارس التعليم الاساسي العام في مدينة إجدابيا؟

2 – ما مستوى انتشار تقدير الذات لدى عينة من ذوي الإعاقة البصرية داخل مدارس التعليم الأساسي العام بمدينة إجدابيا؟

3 – ما مستوى انتشار الاندماج التربوي لدى عينة من ذوي الإعاقة البصرية داخل مدارس التعليم الأساسي العام بمدينة إجدابيا؟

4 – هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير النوع على مقياس تقديرا لذات والاندماج التربوي ؟

5 – هل هناك فروق ذات دلاله إحصائية تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية على مقياس تقدير الذات والاندماج التربوي ؟

2 ـ أهمية الدراسة:

– تكمن أهمية الدراسة الحالية في كونها ترتبط بشريحة مهمة من شرائح المجتمع وهم تلاميذ ذوي الإعاقة البصرية بمدارس الشق الثاني من التعليم الأساسي العام والذين كغيرهم من أفراد المجتمع لهم الحق في الحياة وفي النمو بأقصى ما تمكنهم منه قدراتهم وطاقاتهم.

– كما تكمن أهميتها في دراسة الجوانب النفسية والاجتماعية التي يمر بها المكفوفين والتغلب على العديد من الاضطرابات النفسية والاجتماعية مثل الشعور بالنقص، والعزلة ، أو انه غير مقبول اجتماعيا وغيرها .

– هذا إلى جانب أن هذه الدراسة لها فوائد نظرية وأخرى تطبيقية، فمن الناحية النظرية يمكن أن تلقي بالضوء على نوعية الخدمات المتعلقة بالعوامل التي تؤثر في مستوى تقدير الذات، وعلاقته بالاندماج التربوي لدى عينة من فئة المكفوفين

بصريا داخل المجتمع ، كما أن تحليل وتفسير النتائج المترتبة على هذه الدراسة يعد إثراء في ميدان علم النفس الاجتماعى وفروعه .

- أما من الناحية التطبيقية ، فإن النتائج التي تتوصل إليها هذه الدراسة ، يمكن أن تساهم في إمداد جهات الاختصاص المنوطة برسم سياسات التخطيط الاجتماعي ، والسياسي بالمعلومات العلمية الواقعية ، كذلك فإن الدراسة في هذا الموضوع تعد مجالاً هاماً في البحث العلمي ، وتسهم في إيضاح الكثير من التساؤلات العلمية من ناحية وإثارة تساؤلات أخرى تبنى عليها أبحاث مستقبلية من ناحية أخرى .

3 ـ أهداف الدراسة :

1 - الكشف عن العلاقة بين تقدير الذات والاندماج التربوي لدى عينة من ذوي الإعاقة البصرية بمدارس التعليم الأساسي العام فى مدينة أجدابيا .

2 - معرفة مستوى انتشار تقدير الذات لدى عينة من ذوي الإعاقة البصرية داخل مدارس التعليم الأساسي العام بمدينة إجدابيا .

3 - معرفة مستوى انتشار الاندماج التربوي لدى عينة من ذوي الإعاقة البصرية داخل مدارس التعليم الأساسي العام بمدينة إجدابيا .

4 - التعرف على ما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير النوع على مقياس تقديرالذات والاندماج التربوي .

5 - التعرف على ما إذا كانت هناك فروق ذات دلاله إحصائية تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية على مقياس تقدير الذات والاندماج التربوي .

4. حدود الدراسة :

الحدود الموضوعية : تقدير الذات وعلاقته بالاندماج التربوي لدى عينة من ذوي الإعاقة البصرية داخل مدارس التعليم الأساسي العام بمدينة إجدابيا .

الحدود المكانية : مدارس التعليم الأساسي العامة بمدينة أجدابيا

الحدود الزمنية : تم تطبيق الدراسة في العام الدراسي(2018 - 2019)

5 ـ مصطلحات الدراسة :

- تقدير الذات: تعرّف بأنها تقدير الفرد لقيمته ولأهميته مما يشكل دافعاً لتوليد مشاعر الفخر ، والانجاز، واحترام النفس ،وتجنب الخبرات التي تسبب شعور بالنقص. (2)

- الاندماج التربوي: هو إحدي الاتجاهات الحديثة في التربية الخاصة والتي تقوم علي أساس وضع فئة من المعاقين من ذوي الاعاقات البسيطة في بعض الصفوف المدرسية الأساسية ، وفي بعض المواد التعليمية بشرط أنها ستفيد المعاق من

(2) الفقي ،ابراهيم (2000) قوة التحكم في الذات ، المركز الكندي للبرمجة اللغوية والعصبية ، القاهرة ، ص:33

البرامج المقدم له . [3]

- الإعاقة البصرية : لقد اختلف الباحثين والمهتمين بموضوع الإعاقة ، وفئة ذوي الاحتياجات الخاصة حول إيجاد تعريفٍ موحدٍ للإعاقة البصرية، وبالتالي اختار الباحثان هذا التعريف كونه تعريفا شاملا ، بحيث تعد الإعاقة البصرية حالة من الضعف في حاسة البصر بحيث يحد من قدرة الفرد عمى استخدام حاسة بصره (العين) بفعالية وكفاية واقتدار، الأمر الذي يؤثر سلبا في نموه وأدائه، وتشمل هذه الإعاقة ضعفا وعجزا في الوظائف البصرية، وهي البصر المركزي والمحيطي والذي يكون ناتجا عن تشوه تشريحي ،أو الإصابة بأمراض، أو جروح في العين .[4]

وفي الجانب الطبي " يعتبر الإنسان المعاق بصريا كل شخص لا تزيد حدة البصر المركزي لديه عن 20/200 ،في أفضل العينين بعد التصحيح، أو هو الشخص الذي لديه مجال بصري محدود جدا، بحيث لا يزيد بصره المحيطي عن 20 درجة ، ومن الناحية التربوية يعرف الكفيف : الشخص الذي يعجز عن استخدام بصره في الوصول إلى المعرفة ، ويعتمد على حواسه الأخرى في عملية التعليم." [5]

أي هو الشخص الذي لا يستطيع الرؤية أو أنه فقد القدرة على الرؤية بشكل كامل ، أو الشخص الذي يستطيع إدراك الضوء فقط ، ومن أجل ذلك يتعين عليه أن يعتمد بشكل كامل على الحواس الأخرى ، حتى تساعده على عملية التعلم ، و من ناحية أخرى " الإعاقة البصرية مصطلح تندرج تحته – من الناحية الإجرائية – جميع الفئات التي تحتاج برامج وخدمات التربية بسبب وجود نقص في القدرات البصرية ، والتصنيفات الرئيسة لهذه الفئات هي المكفوفين وضعاف البصر "[6]

أ ـ الكفيف : " هو الشخص الذي تقل حدة إبصاره بأقوى العينين بعد التصحيح عن(6/60 مترا 200/20 قدم) أو يقل مجاله البصري عن زاوية مقدارها (20) درجة " [7].

(3) مسعود ، وائل (1984) أهمية دمج الأطفال المعاقين في المدارس العامة في الأردن، ورقة عمل مقدمة للحلقة الدراسية لواقع ومستقبل ورعاية المعاقين ،عمان ، الأردن ،ص:18 .

(4) أبودية ، هناء خميس(2013م) واقع توظيف تكنولوجيا المعلومات في تعليم الطلبة المعاقين بصريا بالكلية الجامعية للعلوم التطبيقية ورقة بحثية مقدمة بالمؤتمر الدولي للعلوم التطبيقية ما بين 24 – 26 سبتمبر 2013 ،كلية العلوم التطبيقية، غزة ، ص: 5 .

(5) موسى، إخلاص محمد عبد الرحمن حاج (2016) أثر الإعاقة السمعية والإعاقة البصرية عند شخصية المعاق : دراسة حالة المعاقين المسجلين باتحاد الصم واتحاد الملتقى الدولي الأول: " ذوي الاحتياجات الخاصة في الجزائر بين الواقع والمأمول".جامعة الشهيد حمة لخضر. الوادي 13 – 2017 نوفمبر 14 المكفوفين بود مدني للفترة مارس-ديسمبر 2012 ."مجلة العلوم النفسية والتربوية، المجلد 2 ، العدد1 ،جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي ، الجزائر ، ص:126

(6) أبو دية (2013) مرجع سبق ذكره ، ص: 9.

(7) القحطاني، عبد الله (2003) اتجاهات معلمي المرحلة الابتدائية نحو دمج الطلبة المكفوفين في المرحلة الابتدائية

ب ـ ضعيف البصر : " هو الشخص الذي تتراوح حدة إبصاره بين (6/24 و 6/60 مترا – 200/20 ، 80/20 قدم بأقوى العينين بعد إجراء التصحيحات الممكنة " [8].

3 – التعريف الإجرائي لتقدير الذات : هو التقييم الذي يضعه التلاميذ لأنفسهم من خلال إجاباتهم على مجموعة العبارات الواردة في مقياس تقدير الذات.

الدراسات السابقة

أولا :- دراسات تناولت تقدير الذات :

- دراسة جبريل (1993) بعنوان تقدير الذات لدى الطلبة المتفوقين وغير المتفوقين دراسيا .

هدفت الدراسة للتعرف على الفروق في تقدير الذات لدى المتفوقين وغير المتفوقين دراسيا، وأيضا للتعرف على الفروق في تقدير الذات بين الذكور والإناث في المرحلة الثانوية ، تكونت عينة الدراسة من (600) طالب وطالبة نصفهم من ذوى التحصيل المرتفع والنصف الآخر من ذوى التحصيل المتدني ، وبالتساوي ذكور وإناث وقد استخدم الباحث مقياس تقدير الذات للباحث نفسه، وفى معالجته الإحصائية طبق الباحث تحليل التباين الثنائي، والمتوسط الحسابي حيث أظهرت النتائج، وجود فروق في تقدير الذات بين الطلبة المتفوقين والغير متفوقين،وأيضا عدم وجود فروق في الدرجة الكلية لتقدير الذات تعزى لمتغير الجنس .[9]

- دراسة: ناصر،(1994) بعنوان: تقدير الذات وعلاقته بمركز الضبط المدرك .

هدفت الدراسة إلى التعرف على تقدير الذات ، وعلاقته بمركز الضبط وتكونت عينة الدراسة من (152) طالبا وطالبة وقد استخدم الباحث (مقياس حالة تقدير الذات - مقياس الضبط المتعدد) وأشارت النتائج إلى: أن هناك علاقة موجبة دالة إحصائيا عند مستوى دلالة (0.001) بين حالة تقدير الذات والضبط الداخلي ، ووجود فروق دالة إحصائيا على مقياس حالة تقدير الذات وكذلك الضبط المتعدد.[10]

- دراسة عبد ربه (2010) بعنوان: الخجل وعلاقته بتقدير الذات ومستوى الطموح لدى المعاقين بصريا.

هدفت الدراسة إلى التعرف على الخجل ، وعلاقته بتقدير الذات ، ومستوى الطموح لدى الطلبة المعاقين بصريا بالمرحلة الإعدادية والثانوية، كما هدفت إلى التعرف على مستوى تلك المتغيرات، ومدى علاقة الخجل بكل من تقدير الذات ومستوى

مع أقرانهم العاديين ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن ، ص: 12

(8) موسى ،(2016) مرجع سبق ذكره ، ص: 132

(9) جبريل ، عبد الخالق موسى (1993) تقدير الذات لدى الطلبة المتفوقين و غير المتفوقين دراسيا مجلة دراسات . السلسلة أ . العلوم الإنسانية . تصدر عن عمادة البحث العلمي . الجامعة الأردنية .عمان ، الأردن .

(10) ناصر ، أيمن غريب،(1994) حالة تقدير الذات وعلاقتها بمركز الضبط المدرك . مجلة علم النفس، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، السنة (8) العدد (31) ، بولاق ، القاهرة ، مصر .

الطمـوح وتوصلـت الدراسـة إلى: أن الـوزن النسـبي للخجـل كان فـوق المتوسـط ، وأن الـوزن النسـبي لتقديـر الـذات كان مسـتوى عـال ، وأن الـوزن النسـبي للطمـوح كان بمسـتوى عـال ، وأن العلاقـة بـين الخجـل وتقديـر الـذات ضعيفـة جـدا ، وكذلـك بـين الخجـل ومسـتوى الطمـوح ضعيفـة ووجـود فـروق ذات دلالـة إحصائيـة في مسـتوى الخجـل تعـزى لمتغـير الجنـس، وعـدم وجـود فـروق ذات دلالـة إحصائيـة في مسـتوى تقديـر الـذات تعـزى لمتغـير الجنـس ، وعـدم وجـود فـروق ذات دلالـة إحصائيـة في مسـتوى الطمـوح تعـزى لمتغـير الجنـس .[11]

- دراسـة يونـسي (2012) بعنـوان: تقديـر الـذات وعلاقتـه بالتحصيـل الـدراسي لـدى المراهقـين المبصريـن والمراهقـين.

هدفـت الدراسـة إلى الكشـف عـن العلاقـة بـين تقديـر الـذات والتحصيـل الـدراسي لـدى عينـة المراهقـين المبصريـن والمراهقـين المكفوفـين مـن خـلال قيـاس تقديـر الـذات لـدى هاتـين العينتـين ، كمـا سـعت الدراسـة إلى المقارنـة بـين المراهقـين المبصريـن ، والمراهقـين المكفوفـين في كل مـن ؛ متغـير تقديـر الـذات والتحصيـل الـدراسي، حيـث تكونـت عينـة الدراسـة مـن (40) مراهـق منهـم(20) مراهـق مبـصر و(20) مراهـق كفيـف، وأسـفرت النتائـج الدراسـة عـن عـدم وجـود علاقـة ارتباطيـه بـين تقديـر الـذات الرفاقـي والتحصيـل الـدراسي، أمـا تقديـر الـذات الـكلي والعائـلي والمـدرسي فقـد وجـد أن هنـاك علاقـة ارتباطيـة بـين تقديـر الـذات والتحصيـل الـدراسي لـدى عينـة المراهقـين المبصريـن، أمـا لـدى عينـة المراهقـين غـير المبصريـن فقـد أسـفرت النتائـج عـن عـدم وجـود علاقـة ارتباطيـة في تقديـر الـذات الرفاقـي والعائـلي مـع التحصيـل الـدراسي، أمـا في تقديـر الـذات الـكلي والمـدرسي فقـد وجـد أن هنـاك علاقـة ارتباطيـة بينـه وبـين التحصيـل الـدراسي، ووجـود فـروق ذات دلالـة إحصائيـة بـين المراهقـين المبصريـن والمراهقـين المكفوفـين في كل مـن بعـد تقديـر الـذات العائـلي والمـدرسي لصالـح المراهقـين المبصريـن، وعـدم وجـود فـروق في تقديـر الـذات الرفـاق بـين المراهقـين المبصريـن والمكفوفـين ، وكذلـك وجـود فـروق ذات دالـة إحصائيـة في درجـات التحصيـل الـدراسي لصالـح المراهقـين المبصريـن.[12]

- دراسـة عيـسي (2015) بعنـوان: تقديـر الـذات وعلاقتـه بالسـلوك العدوانـي وقلـق المسـتقبل وبعـض المتغـيرات الديموغرافيـة .

هدفـت هـذه الدراسـة إلى الكشـف عـن تقديـر الـذات ، وعلاقتـه بالسـلوك العدوانـي وقلـق المسـتقبل وبعـض المتغـيرات الديموغرافيـة لـدي عينـة مـن طـلاب جامعـة دنقـلا ، واسـتخدم الباحـث المنهـج الارتباطـي كمـا تـم اختيـار عينـة عشـوائية طبقيـة مـن

(11) عبـد ربـه عـلي شـعبان (2010) الخجـل وعلاقتـه بتقديـر الـذات ومسـتوى الطمـوح لـدى المعاقـين بصريـا ، رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة . جامعـة الإسـلامية بغـزة ، فلسـطين.

(12) يونـسي ، تونسـية (2012) تقديـر الـذات وعلاقتـه بالتحصيـل الـدراسي لـدى المراهقـين المبصريـن و المراهقـين المكفوفـين رسـالة ماجسـتير ، دراسـة ميدانيـة بولاتـي تيـزي وزو ، كليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية ، جامعـة مولـود معمـري ، الجزائـر.

كليات جامعة دنقلا ، وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة ذات دلالة ارتباطية في جميع أبعاد السلوك العدواني ماعدا التقدير الذاتي العائلي ، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير النوع في أبعاد تقدير الذات ، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير النوع في قلق المستقبل لصالح الذكور،تقدير الذات العائلي ، ووجود علاقة ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المستوى العلمي ووظيفة ولي الأمر في تقدير الذات ، والسلوك العدواني ، ووجود علاقة ارتباطية موجبة بين قلق المستقبل والسلوك العدواني .[13]

- دراسة : باكيني2017 بعنوان: تقدير الذات وعلاقته بالتوافق النفسي لدى المراهق .

هدفت الدراسة إلى الكشف عن طبيعة العلاقة التي تربط تقدير الذات والتوافق النفسي لدى المراهق الموهوب المتفوق دراسيا، اختيرت عينة الدراسة بطريقة قصدية وشملت(30) تلميذا وتلميذة، واعتمد الدراسة على المنهج الوصفي الارتباطي وتوصلت نتائجها إلى: لا توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين تقدير الذات ، والتوافق النفسي لدى المراهق الموهوب، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير الذات والتوافق النفسي لدى التلميذ المراهق الموهوب تعزى لمتغير الجنس[14]

ثانيا / دراسات تناولت عملية الدمج :-

دراسة سان جستر (1986 م) مقارنة برامج الدمج مقابل البرامج الفردية لدى الطلبة ذوي الصعوبات التعلم من وجهة نظر الآباء والمعلمين – بسوريا .

هدفت الدراسة إلى مقارنة برامج الدمج مقابل البرامج الفردية لدى الطلبة من ذوي صعوبات التعلم من وجهة نظر الآباء والمعلمين ، بحيث تم وضع (17) طالب في صفوف مدمجة ووضع (45) طالب في صفوف مفردة ، وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها أن أغلبية أولياء أمور الطلبة كانوا على قناعة تامة بفكرة دمج الطفل ، فقد أظهروا مستوى مرتفعاً من الرضا عن برامج الدمج [15].

- دراسة عبدالله (1998) اتجاهات معلمي المدارس الأساسية ومديريها نحو دمج المعاقين في المدارس العادية في محافظة نابلس في فلسطين . حيث هدفت على التعرف على أثر كل من الجنس، وسنوات الخبرة، والمؤهل العلمي،والتخصص العلمي،

(13) عيسي ، أنور أحمد(2015) تقدير الذات وعلاقته بالسلوك العدواني وقلق المستقبل وبعض المتغيرات الديموغرافية ، كلية التربية أطروحة دكتوراه ، جامعة دنقلا، السودان.

(14) باكيني ، حكيمة(2017) تقدير الذات وعلاقته بالتوافق النفسي لدي المراهق الموهوب رسالة ماجستير غير منشورة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي ، الجزائر .

(15) سان جستر (1986 م) مقارنة برامج الدمج مقابل البرامج الفردية لدى الطلبة ذوي الصعوبات التعلم من وجهة نظر الآباء والمعلمين بسوريا .

والوظيفة الحالية ، على اتجاهات مديري ومعلمي المدارس نحو دمج المعاقين في المدارس العادية ، وقد تكونت عينة الدراسة من مديري ومعلمي المدارس الأساسية ، بطريقة العينة المقصودة، حيث أظهرت نتائج الدراسة أن لدى مديري ، ومعلمي المدارس الأساسية في محافظة نابلس اتجاهات إيجابية نحو دمج المعاقين في المدارس العادية ، كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق في أثر متغيرات الجنس، وسنوات الخبرة ، والتخصص العلمي ، والمؤهل العلمي في اتجاهاتهم نحو دمج المعاقين في المدارس العادية. (16)

ـ دراسة القحطاني (2003 م) بعنوان : اتجاهات معلمي المرحلة الابتدائية نحو دمج الطلبة المكفوفين في المرحلة الابتدائية مع أقرانهم العاديين .

هدفت الدراسة إلى تقييم المعلمين في المرحلة الابتدائية نحو دمج الأفراد المعاقين بصريا في المرحلة الابتدائية مع أقرانهم العاديين ، وتكونت عينة الدراسة من (232) من المعلمين في مدينة الرياض، وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المعلمين تعزى لمتغير العمر لصالح الأعمار الأصغر والتي تتراوح بين (20 – 30) سنة ، كذلك لم تظهر النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المعلمين تعزى لمتغير الخبرة ، وكذلك أظهرت النتائج على أنه يمكن دمج الأفراد المكفوفين ضمن المدارس العامة مع أقرانهم العاديين ، وذلك لاتجاهات المعلمين نحو دمج الأفراد المكفوفين .(17)

دراسة محمد (2004) بعنوان : دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في المدارس العادية وارتباطه ببعض المتغيرات . هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع تجربة الدمج في المدارس العادية ، ومعرفة الآثار السلبية النفسية التي يتعرض لها الطلاب المعوقون في المدارس العادية ، والضغوط النفسية التي يتعرض لها المعلمون أيضاً ، أجريت الدراسة في تبوك بالسعودية وتضمنت العينة (36) مديرا (45) معلما متخصصاً ، و (250) تلميذا و (204) من أولياء أمور التلاميذ ، وقد تم الاعتماد على الإستبانة ومقياس الاحتراق النفسي الذي طبق على المعلمين ، وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها سياسة الدمج المتبعة في السعودية وأوضحت بضرورة تذليل العقبات التي تحول دون الاستفادة الكاملة من هذه التجربة ، ومحاولة درء المشكلات النفسية . (18)

(16) عبد الله ، عثمان.(1998 .) اتجاهات معلمي المدارس الأساسية ومديريها نحو دمج المعاقين في التعليم العام ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس: فلسطين.

(17) القحطاني، عبد الله (2003) اتجاهات معلمي المرحلة الابتدائية نحو دمج الطلبة المكفوفين في المرحلة الابتدائية مع أقرانهم العاديين ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن .

(18) محمد ، أحمد علي بديوي (2004) دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في المدارس العادية وارتباطه ببعض المتغيرات. المؤتمر السنوى الثانى عشر - التعليم للجميع – مصر .

التعليق على الدراسات السابقة

يتضح من استعراض الدراسات السابقة أنها تناولت موضوعات لها صلة بموضوع الدراسة حيث أن منها قد تناول تقدير الذات وكذلك دراسات دمج ذوى الاحتياجات الخاصة من ناحية الاثار النفسية التى يعترضها لها كلاً من الطالب المعوق والمعلم وولى أمر الطالب وهذا ما يتفق مع الدراسة الحالية من حيث الموضوع بشكل مباشر وغير مباشر ، فى حين اختلفت أغلب هذه الدراسات مع الدراسة الحالية من حيث العينة بحيث كانت أغلبها توجه إلى وجهة نظر المعلمين ، وأولياء أمور الطلبة المعوقين بصرياً ، دون التركيز على المعوق نفسه ، وما أهم المعوقات التى تعيق دون إندماجه تربوياً فى المدرسة والمجتمع ولذا تسعى الدراسة الحالية إلى معرفة العلاقة بين مفهوم الذات ، والاندماج التربوي لذوي الإعاقة البصرية ، ومدى انتشار مستوى تقدير الذات لديهم للاندماج التربوي .

إجراءات الدراسة:

1 – منهجية الدراسة : استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي ، وذلك لمناسبته للدراسة الحالية ولقد قام الباحثان بجمع المعلومات والبيانات عن طريق الاستبيان، ومن ثم بتحليلها ، واستخلاص النتائج .

2 – مجتمع الدراسة : تكون مجتمع الدراسة من (45) تلميذا وتلميذة للعام الدراسي 2018 م – 2019 موزعين على مدرستين طبق فيها الاندماج التربوي و لصغر حجم المجتمع سوف يتم اعتماده جميعا في الدراسة الحالية.

3 ـ عينة الدراسة :- لعدم تواجد المجتمع بأكمله في مرحلة الدراسة اضطر الباحثان للجوء إلى استخدام أسلوب العينة العشوائية البسيطة حيث بلغ حجم العينة التي تمت تعبئتها (27) من التلاميذ الذين تم تواجدهم في تلك الفترة بمرحلة التعليم الأساسي العام منقسمين إلى(12) ذكور، و(15) إناث

4 ـ أداة جمع البيانات : لقد اعتمد الباحثان فى هذه الدراسة على استخدام الاستبانة لجمع البيانات الخاصة بالاندماج التربوي والتي أعتمد فيها على مقياس(ليكرت الخماسي) و تحوي على (45) فقرة فقد اعتمد الباحثان في مقياس تقدير الذات على مقياس (كوبر سميت) ولقد تم ادخال بعض التعديلات عليه من قبل الباحثان حتى يتمشى مع البيئة الليبية وقد بلغت عدد فقراته (22) و تم توزيع المقياس على مجموعة من المحكمين والخبراء ذوي الاختصاص لتحكيمه ، ولقد تم إضافة فقرة واحدة وتعديل فقرتين فأصبحت عدد فقرات المقياس (23) فقرة و بلغ قيمة ثباته على مقياس ألفا كرونباخ (0.73) وأما مقياس الاندماج التربوي تم تصميم استبانة للاندماج التربوي مكونة من (22) بلغ ثبات فقراتها (0.87) ، والتي تعد هذه القيم في كلا المقياسين قيمة مرتفعة ومطمئنة ، ليصبح العدد الإجمالي لفقرات مقياس الدراسة (45) فقرة ، ومن ثم

أصبحت الأداة جاهزة للتطبيق .
الأساليب الإحصائية :- تم تحليل البيانات إحصائيا من خلال استخدام الحزمة الإحصائية (SPSS) عن طريق الأساليب الإحصائية التي تتناسب مع طبيعة البيانات المجمعة وهي : -1المتوسطات الحسابية . -2 الانحراف المعياري .-3 المتوسط الفرضي . -4 درجة الحرية .-5 مستوى الدلالة. -6 قيمة T .
عرض النتائج وتفسيرها : تعد هذه المرحلة من أهم مراحل البحث العلمي حيث يتم فيها عرض النتائج التي تم التوصل إليها وفق الترتيب لساؤلات الدراسة لتصبح ذات معنى ودلالة ، والخروج بنتائج علمية وحقائق قد تكون محل ثقة علمية .
التساؤل الأول والذي صيغته : هل هناك علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين تقدير الذات والاندماج التربوي لدى عينة من ذوي الإعاقة البصرية بمدارس التعليم الاساسي العام فى مدينة إجدابيا ؟
للتأكد من الإجابة على هذا التساؤل ، تم حساب معامل الارتباط بيرسون من حيث العلاقة بين تقدير الذات والاندماج التربوي ، والجدول التالي يوضح ذلك :

جدول رقم (1) يوضح قيمة معامل بيرسون لمعرفة العلاقة بين تقدير الذات والاندماج التربوي .

المتغير	معامل الارتباط
تقدير الذات	0.80
الاندماج التربوي	

يتبين من الجدول السابق أن هناك علاقة ارتباطيه قوية موجبة بين تقدير الذات و الاندماج التربوي ، وقد بلغ معامل الارتباط بيرسون (0.80) وهي نسبة عالية بين المتغيرين لدى تلاميذ ذوي الإعاقة البصرية لدمجهم مع الطلبة الاسوياء في المدراس العامة ، فكلما زاد تقدير الذات لديهم صاحبته زيادة في الاندماج التربوي ،وكلما انخفض تقدير الذات لوحظ انخفاض في عملية الدمج التربوي لديهم ، والعلاقة بينهم علاقة طردية حسب استجابات أفراد العينة وتتفق هذه النتيجة مع ما أظهرته دراسة (ناصر،1994) ودراسة (يونسي ،2012) ولتختلف مع دراسة (باكيني ،2017) ودراسة (عبد ربه ، 2010) ويعزو الباحثان ذلك إلى الثقة التي زرعت بالتلاميذ من ذوي الإعاقة البصرية من قبل معلميهم ، وأقرانهم المبصرين ، وشكل المعاملة الجيدة من المدرسة التي يدرسون بها .
التساؤل الثاني والذي صيغته : ما مستوى انتشار تقدير الذات لدى عينة من ذوي الإعاقة البصرية داخل مدارس التعليم الأساسي العام بمدينة إجدابيا ؟

وللإجابة على هذ التساؤل تم ، إيجاد حساب المتوسط الحسابي والوسط الفرضي والانحراف المعياري والقيمة التائية والجدول التالي يوضح ذلك :

جدول رقم (2) يوضح المتوسط الحسابي والوسط الفرضي والانحراف المعياري والقيمة التائية لمعرفة مستوى انتشار تقديرا لذات

المتغير	حجم العينة	المتوسط الفرضي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة T	مستوى الدلالة
تقدير الذات	27	135	139.128	28.130	26	40.103	.000

يتضح من الجدول السابق أنه يوجد انتشار في تقدير الذات عند مستوى دلالة (000 .) ، حيث بلغت قيمة (40.103) (T) ومتوسط حسابي قدره (139.128) ،وبلغ الانحراف المعياري (28.130) ، بينما بلغت درجة الحرية (26) ، وتتفق هذه النتيجة مع ما أظهرته دراسة (عبد ربه ،2010) ودراسة (سان جستر ،1986) وتختلف هذه النتيجة مع ما أظهرته دراسة (محمد ،2004) ، وقد يرجع السبب في ذلك إلى مدى تقبل المكفوف لذاته برغم الإعاقة وثقته الكبيرة بنفسه وتفاعله واندماجه مع المجتمع المدرسي (الطلبة العاديين) مما أدى إلى بناء شخصية فعاله ومتوافقة مع قدراته وخصائصه وروحه المعنوية والنفسية المتمثلة في سهولة تعامله وتفاعله مع المحيطين به .

التساؤل الثالث والذي صيغته : ما مستوى انتشار الاندماج التربوي لدى عينة من ذوي الإعاقة البصرية داخل مدارس التعليم الأساسي العام بمدينة إجدابيا ؟ للتأكد من إجابة هذا التساؤل ، تم حساب الوسط الحسابي والانحراف المعياري والوسط الفرضي والقيمة التائية والجدول التالي يوضح ذلك :

جدول رقم (3) يوضح المتوسط الحسابي والوسط الفرضي والانحراف المعياري والقيمة التائية لمعرفة مستوى انتشار الاندماج التربوي .

المتغير	حجم العينة	المتوسط الفرضي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة T	مستوى الدلالة
الاندماج التربوي	27	135	137.327	23.070	26	57.532	.000

يتضح من الجدول السابق أنه يوجد انتشار في الاندماج التربوي عند مستوى دلالة (000 .) حيث بلغت قيمة (57.532) (T) وبلغ المتوسط الحسابي (137.327

) ، وبلـغ الانحـراف المعيـاري (23.070)، بينمـا بلغـت درجـة الحريـة (26)، وتتفـق هـذه النتيجـة مـع مـا أظهرتـه دراسـة(سـان جسـتر، 1986) واختلفـت مـع دراسـة (محمـد، 2004) ، ويرجـع السـبب في ذلـك إلى مـدى تقبـل الكفيـف لفكـرة الدراسـة في المـدارس العامـة مـع الطلبـة العاديـين ، أو مـا يعـرف بالاندمـاج التربـوي ، بمعنـى أن هـذا الاندمـاج يسـاعده في تقبـل ذاتـه أثنـاء الدراسـة مـع الطلبـة الأسـوياء ربمـا راجـع إلى إحساسـهم بالطمأنينـة ، والأمـن ، والإسـتقرار ممـا ينعكـس عـلى تقديرهـم لذاتهـم .

التسـاؤل الرابـع والـذي صيغتـه : هـل هنـاك فـروق ذات دلالـة إحصائيـة تعـزى لمتغـير النـوع عـلى مقيـاس تقديـر الـذات والاندمـاج التربـوي ؟

للإجابـة عـلى هـذا التسـاؤل تـم إيجـاد المتوسـط الحسـابي والانحـراف المعيـاري ، والقيمـة التائيـة لمعرفـة الفـروق بـين المتغيريـن والجـدول التـالي يوضـح ذلـك :

جدول رقم (4) يوضح المتوسط الحسابى والانحراف المعيارى والقيمة التائية لمتغير النوع .

المتغير	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة T	مستوى الدلالة
ذكور	12	42.696	29.146	25	3.238	.000
إناث	15	50.576	30.333			

يتضـح مـن الجـدول أنـه توجـد فـروق بـين الذكـور والإنـاث ذات دلالـه إحصائيـة عنـد مسـتوى دلالـة (000.) ، حيـث بلغـت قيمـة 3 . 238 (T) وبلـغ المتوسـط الحسـابي لـدى الذكـور (42.696) ، وبلـغ المتوسـط الحسـابي لـدى الإنـاث (50.576) ، وبلـغ الانحـراف المعيـاري لـدى الذكـور (29.146) ، بينمـا بلـغ الانحـراف المعيـاري لـدى الإنـاث (30.333) ، ممـا يـدل عـلى أن تقديـر الـذات وعلاقتـه بالاندمـاج التربـوي لـدى الإنـاث أكثـر مـن الذكـور ، وتتفـق هـذه النتيجـة مـع مـا أظهرتـه دراسـة (عبـد ربـه ،2010) ودراسـة (يونـسي ، 2012) وتختلـف مـع مـا أظهرتـه دراسـة (جبريـل ،1993) ودراسـة (نـاصر ، 1994) ودراسـة (عيـسى ، 2015) ، ربمـا يرجـع السـبب في سـهولة تقبـل وجهـات نظـر الآخريـن لهـن ، ورحابـة صدورهـن داخـل الفصـول الدراسـية والمجالـس الاجتماعيـة الأخـرى ، وسـهولة تكوينهـن للصدقـات داخـل الفصـل الـدراسي وخارجـه ، وكذلـك في امتلاكهـن الـروح الايجابيـة والثقـة بأنفسـهن و ذاواتهـن ، ولا توجـد صعوبـة لديهـن في اندماجهـن مـع الطلبـة العاديـين في المـدارس العامـة وتبـادل الآراء بينهـم .

التسـاؤل الخامـس والـذي صيغتـه : هـل هنـاك فـروق ذات دلالـة إحصائيـة تعـزى لمتغـير الحالـة الاجتماعيـة عـلى مقيـاس تقديـر الـذات والاندمـاج التربـوي ؟

جدول رقم (5) يوضح المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية لمتغير الحالة الاجتماعية

المتغير	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة T	مستوي الدلالة
يعيش مع والديه	17	153.542	21.19	25	2.175	.000
فاقد أحد والديه	10	101.12	18.11			

يتبين من الجدول السابق حسب استجابات أفراد العينة بأن المتوسط الحسابي لطلاب ذوي الإعاقة البصرية الذين يعيشون مع والديهم بلغ (153.542) بانحراف معياري قدره (21.19) ، في حين متوسط الحسابي للطلاب الذين فاقدي أحد والديهم سواء بالوفاة أوبالإنفصال بلغ (101.12) بإنحراف معياري (18,11) وبلغت قيمة 2.175) T)وهي دالة إحصائية عند مستوى (.000)مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية لصالح التلاميذ الذين يعيشون مع والديهم على التلاميذ الذين فقدوا أحدهما بالإنفصال أو بالوفاة وتتفق هذه النتيجة مع ما أظهرته دراسة (عيسى، 2015) ودراسة(سان جستر، 1986) وتختلف مع دراسة (محمد، 2004) وقد يرجع السبب إلى عدم شعورهم بالراحة الكاملة وكذلك إحساسهم بالنقص إضافة إلى إصابتهم بالإعاقة البصرية مما يعد هذا الشعور علامة من العلامات التي تؤثر في سلوكهم واندماجهم مع الطلبة العاديين وتقديرهم لذاتهم .

أجريت هذه الدراسة الحالية على عينة من ذوي الإعاقة البصرية للتعرف على تقدير الذات لديهم وعلاقتها بالاندماج التربوي داخل مدارس التعليم الأساسي العام بمدينة إجدابيا وقد أسفرت عن الأتي :

1 – توصلت الدراسة الحالية إلى وجود علاقة ارتباطية بلغت (0.80) على معامل بيرسون ، وهي علاقة قوية وموجبة بين تقدير الذات والاندماج التربوي لدى عينة الدراسة .

2 – كشف الدراسة الحالية عن وجود انتشار لتقدير الذات لدى عينة الدراسة والاندماج التربوي وذلك لثقة عينة الدراسة في النفس ، وتقبل فكرة اندماجهم في المدارس العامة مع الطلبة العاديين .

3 – بينت الدراسة الحالية عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية على متغير النوع لصالح الإناث في تقدير الذات ، والاندماج التربوي لدى عينة الدراسة .

4 – أظهرت نتائج الدراسة الحالية عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية لصالح التلاميذ الذين يعيشون مع والديهم من ذوي افعاقة البصرية عن التلاميذ الذين يعيشون مع أحد الوالدين بسبب الإنفصال أو الوفاة .

التوصيات والمقرحات

- زيادة الدراسات المتعلقة بالاندماج التربوي وبعض المتغيرات الأخرى لدى عينة من الإعاقة البصرية وخاصة في المدارس العامة بهدف زيادة الاهتمام بالمرحل الدراسية ومن يعمل بها .
- دمج الطلاب المعاقين بصريا في المدارس العامة مع الطلاب العاديين من بداية السلم التعليمي .
- ضرورة تدعيم العمل مع المعاقين بصريا وإعطائهم المكانة اللازمة على جميع المستويات بحيث يؤثر ذلك إيجاباً على تقبلهم لأنفسهم مع الآخرين .
- العمل على كيفية اندماج هذه الفئة في المجتمع وكيفية تحقيق ذاواتهم وأهميتهم .
- حققت هذه التجربة في مدينه اجدابيا ناجحا بعد نجاحها في مدينه بنغازي ، لذا نأمل تجربتها في أغلب مناطق البلاد مع توفر البيئة الخصبة كرفع من زيادة الوعي في المدارس العامة والخاصة بكيفية التعامل مع المعاقين بصريا .

المراجع :

1 – أبودية ، هناء خميس(2013م) واقع توظيف تكنولوجيا المعلومات في تعليم الطلبة المعاقين بصريا بالكلية الجامعية للعلوم التطبيقية ورقة بحثية مقدمة بالمؤتمر الدولي للعلوم التطبيقية ما بين 26-24 سبتمبر 2013 ،كلية العلوم التطبيقية، غزة ، فلسطين .

2 – السيد ، فؤاد بهي (2005) علم النفس الإحصائي وقياس العقل البشري ،ط4، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر .

3 – الحريبي، عواض محمد (2003) العلاقة بين مفهوم الذات والسوك العدواني لدى الصم ،دراسة مقارنه رسالة ماجستير غير منشورة ، أكاديمية نايف للعلوم العربية والأمنية- الرياض ، المملكة العربية السعودية .

4 – الفقي ،إبراهيم (2000) قوة التحكم في الذات ، المركز الكندي للبرمجة اللغوية والعصبية ، القاهرة ، مصر .

5 – القحطاني، عبد الله (2003) اتجاهات معلمي المرحلة الابتدائية نحو دمج الطلبة المكفوفين في المرحلة الابتدائية مع أقرانهم العاديين ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية،عمان، الأردن

6 – باكيني ، حكيمة(2017) تقدير الذات وعلاقته بالتوافق النفسي لدي المراهق الموهوب رسالة ماجستير غير منشورة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي ، الجزائر .

7 – جبريل ، عبد الخالق موسى (1993) تقدير الذات لدى الطلبة المتفوقين و غير المتفوقين دراسيا مجلة دراسات ، السلسلة أ ، العلوم الإنسانية، تصدر عن عمادة البحث العلمي . الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن .

8 – سان جستر (1986 م) مقارنة برامج الدمج مقابل البرامج الفردية لدى الطلبة ذوي الصعوبات التعلم من وجهة نظر الآباء والمعلمين بسوريا ، دمشق ، سوريا .

9 – عبد الله، عثمان.(1998 .) اتجاهات معلمي المدارس الأساسية ومديريها نحو دمج المعاقين في التعليم العام ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس: فلسطين.

10 – عبد ربه علي شعبان (2010) الخجل وعلاقته بتقدير الذات ، ومستوى الطموح لدى المعاقين بصريا ، رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة الإسلامية بغزة ، فلسطين.

11 –عيسي ، أنور أحمد(2015) تقدير الذات وعلاقته بالسلوك العدواني وقلق المستقبل وبعض المتغيرات الديموغرافية ، كلية التربية أطروحة دكتوراه ، جامعة دنقلا، السودان.

12 – ناصر ، أيمن غريب،(1994) حالة تقدير الذات وعلاقتها بمركز الضبط

المدرك . مجلة علم النفس، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، السنة (8) العدد (31) ، بولاق ، القاهرة ، مصر .
13 - محمد ، أحمد علي بديوي (2004) دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في المدارس العادية وارتباطه ببعض المتغيرات ، المؤتمر السنوى الثانى عشر، التعليم للجميع ، مصر .
14 - مسعود ، وائل (1984) أهمية دمج الأطفال المعاقين في المدارس العامة في الأردن، ورقة عمل مقدمة للحلقة الدراسية لواقع ومستقبل ، ورعاية المعاقين ،عمان ،الأردن .
15 - مصطفى ، إبراهيم و أحمد الزيات وحامد عبد القادرومحمد النجار(2010)، المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ،القاهرة ،مصر .
16 - موسى، إخلاص محمد عبد الرحمن حاج (2016) أثر الإعاقة السمعية والإعاقة البصرية عند شخصية المعاق : دراسة حالة المعاقين المسجلين باتحاد الصم واتحاد الملتقى الدولي الأول: " ذوي الاحتياجات الخاصة في الجزائر بين الواقع والمأمول".جامعة الشهيد حمة لخضر. الوادي 13 - 2017 نوفمبر 14 المكفوفين بود مدني للفترة مارس-ديسمبر 2012 ."مجلة العلوم النفسية والتربوية، المجلد 2 ، العدد01 ،جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي ، الجزائر .
17 - يونسي ، تونسية (2012) تقدير الذات وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى المراهقين المبصرين و المراهقين المكفوفين رسالة ماجستير ، دراسة ميدانية بولاتي تيزي وزو ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة مولود معمري ، الجزائر.